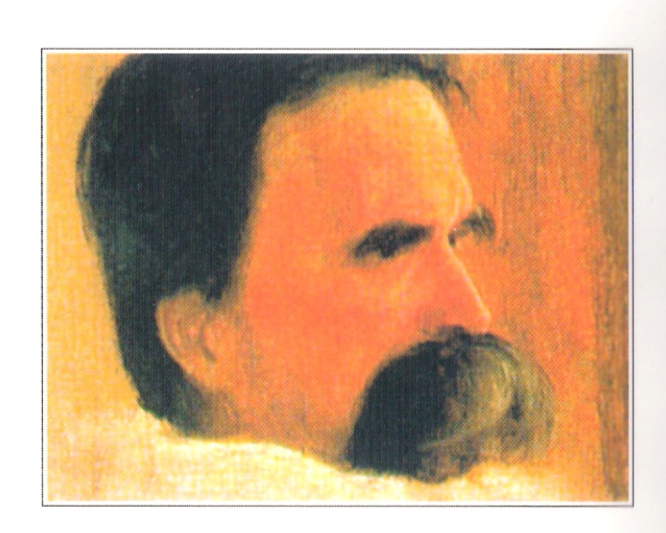
فريدريش نيتشه

ديوان نيتشه



ترجمة: محمد بن صالح

منشورات الجمل

شعر

فريدريش نيتشه

ديوان نيتشه

هذا الكتاب

أنا لا أكتبُ باليد وحدها،
الرِّجلُ أيضاً تريد على الدّوام أن تكتب.
صلبة، حُرّة وشُجاعة، تريد أن تكون،
مرّة على الحقول ومرّة، على الورقة.





فریدریش نیتشه: **دیوان نیتشه**

فريدريش نيتشه

ديوان نيتشه

ترجمة: محمد بن صالح

منشورات الجمل

فريدريش نيتشه: **ديوان نيتشه**، ترجمة: محمد بن صالح، الطبعة الثانية ٢٠٠٩

تلفون وفاكس: ٦٦٨١١٨ ١ ٠٠٩٦١، ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

تقديم عام

أوّلُ ما كتب نيتشه، قصيدة تركها بدون عنوان (١٨٥٨) وجعل مطلعها:

مرآة هي الحياة
ذواتَنا فيها نرى
لذلك ندعوها بالرّغبة الأولى
عن التطلّع إليها لا ننقطع

وآخرُ ما كتب، قصيدة عن الماء (١٨٨٨) وجاء في نهايتها:

يركض. . . كالمجنون لا يعلم أين. . .

وليس من باب المجاز في شيء قول بعضهم: إنّ الشّاعر في كلّ حياته لا يكتب غير قصيدة واحدة، وما تبقّى إن هو إلاّ تنويعات على نفس النّغم. ونضيف: ولعلّ قبولنا بهذا المأثور يفرض علينا أن نذعن إلى مأثور آخر يقول: إذا أردتَ معرفة عمق البحيرة، فعليك أن تأخذ مجرى النّهر عكسيّا حتّى تدرك العين التي من عمقها يطلع الماء.

هذه البحيرة، قصيدة نيتشه، هي من الكثافة والغرابة والتّناقض وتعاقب الأحوال / إذ تُولد من ركام الوقت، عندما الذّات، حرّة من كلّ قيد، تُعدم الحواجز كي تعانق في الكونيّ ذاتها باعتماد الموسيقى. . ./ ما يدفع إلى التعلّق بهذا المأثور وكأنّه حبلُ النّجاة.

هكذا نُشرّع لهذا التّقديم، فما حمّل شاعر، في حدود ما نعلم، قصيدة من هموم الوجود كما فعل نيتشه: حمّلها صقيعَ يُتمهِ والبحثَ مبكّرا عن الدّفء في الموسيقى بما هي الجوهر في الكلمة، والتحرّر من جفاف الفيلولوجيا وارتباكات العصر والجسد... وحمّلها الأعنف: أن تقول النّبوءة، أن تبشّر بقدوم الذي لن يأتي إلاّ صورة: السّوبرمان.

هكذا نُشرّع لهذا التّقديم: سنأخذ مجرى النّهر عكسيّا وسنشير إلى طريقنا هذه بالعلامات الرّئيسيّة التّالية، تلك التي نراها على بعض قدرة تضمن لنا وقفة على باب القصيدة: اللغة العسيرة، والعصر المضطرب، والفكر الماثل في العتمة، والابداع المرتدّ؛ والجسد المتوتّر.

١

اللغة العسيرة

من أردأ مقاربات اللغة، يقول بعضهم، تلك التي تعاينها بما هي أداة تواصل أو بما هي أداة تعبير، لأنّنا في الحالتين نخون ما نسمو به عن الحيوان، فنخون ذواتنا بما هي «أناوات» تختلف وتتمايز ضمن تقاطع على غاية الغموض لعناصر فيزيائيّة، معرفيّة، شعوريّة، لا شعوريّة، تكوّنت منها ذواتنا.

أن نقارب اللغة بما هي أداة تعبير، فذلك يعني أنّنا بالغنا في ادّعاء المعرفة، فأخذنا التّعب بعيدا، فقلنا بإمكانية معرفتنا لذواتنا والعالم. وأن نرى اللغة أداة تواصل فذلك يعني أنّنا ذهبنا في الغباء حتّى أقصاه، فقبلنا أن تكون اللغة مجرّد تقطيعات صوتية ثابتة الدّلالة.

ليست اللغة قابلة للتّعريف بمجرّد التّواصل أو التّعبير، لأنّها، عند

تعمّقها، الصّعوبة في التّواصل والتّعبير؛ ولعلّ أجمل ما في اللغة، في هذا المجال، أنّها المستحيل «الذي يستحيل القبول به مستحيلا»: هي معاينتنا أنّها لا تقول ما نحمّلها قوله، وهي قرارنا أن تقول ما نحمّلها قوله: إنّها معاناتنا التي لا تنتهي.

خلال سنوات الفيلولوجيا، عاين نيتشه أنّ المنشغلين باللغة وزّعوها في قطبين بما هي موضوع للمقاربة: قطب يعتبرها موضوعا معلوما، وبالتّالي يُقصر مقاربته لها في البحث عن علاقتها بمختلف المواضيع المحسوسة، وقطب يخضعها لدراسة «داخليّة» باعتبارها موضوع تقصّ؛ ومنذ بداياتها كانت الفلسفة على هذا التوجّه، من حيث أنّها تتقدّم إلينا بما هي في الجوهر تأمّل.

من سنوات الفيلولوجيا، من سنوات تعلّمها ومن سنوات تعليمها، أدرك نيتشه أنّ اللغة أبعد من مجرّد وضع أسماء على الأشياء، وأنّه، بالتّالي، كان على الكثير من عمق الإدراك عندما رأى في اللغة معاناة في قول الذّات والوجود، وذلك منذ سنوات المُراهقة /كتب أولى قصائده ولمّا يبلغ الرّابعة عشرة من عمره/. ولذلك كان تعلّقه بالفلسفة «ما قبل السّقراطية» شديدا، فما الذي يقوله ذلك العصر المجيد في أوجه عدا أنّه اللغة بما هي المعاناة التي لا تنتهي؟ قصائد ترفّعت عن وسائل العقل النّسقيّ في التّدليل، واعتدّت بما عانته من توتّر الجسد عند أصحابها: هكذا جاءت شذرات هيراقليطس وأكسينوفان وإسخيلوس... ثمّ كانت المهزلة منذ أن حاول أفلاطون كتابة القصيدة فلم يفلح، فانحاز على الشّعراء بكلّ ما أوتي من جهد الحوار النّسقي.

هذه الثّنائية، ثنائية العقل البرهانيّ النّسقي-الأبولّوني، والجسد المتوتّر المنفعل- الدّيونيزوسي، توضّح لنا، ولو إلى حدّ، حرارة انحياز نيتشه لديونيزوس، للغة بما هي في الجوهر: خلق للمعنى،

يقول: تكمن أهمّية اللغة، بالنّسبة إلى تطوّر الحضارة، في أنّ الإنسان أودع فيها عالما خاصّا به، إلى جانب العالم الآخر، وهو موقف أعتبره من المتانة بما يكفي حتّى يكشف عن كوامن ما بقي من العالم وينصّب نفسه عليه... لقد كان يظنّ بالفعل أنّه مبدع الكلمات ولم يكن له من التّواضع ما يجعله يتفطّن إلى أنّه لم يفعل سوى إسناد تسميات للأشياء. وعلى عكس ذلك كان يتصوّر أنّه، بواسطة الكلمات، يعبّر عن أسس علمه بالأشياء... لكن بعد تلك الحقبة بكثير، وفي أيّامنا هذه فقط، بدأ النّاس يلمحون أنّهم باعتقادهم في اللغة، روّجوا خطأ فادحا، ولكن لحسن الحظّ فات الأوان.

٢

العصر المضطرب

كُلُّ عصرٍ يُعطي لمبدعيه/ لبعضهم على الأقلّ/ لأولئك الذين تعمّقوا ذواتهم وإقامتهم، ما به المأساة تتجذّرُ: كلّ عصر يُعطي للمبدع ما به ينبهر وأيضا ما به يتمرّد: يتسلّم المبدع مكتسبات عصره، ومن خلالها مكتسبات ما سبق عصره، يتسلّمها مِن وراء المكانة الرّفيعة التي اختارتها لها/ أو أُجبِرت عليها/ العامّة في بحثها المضني عمّا يوفّر لها راحة أو منفعة، يتسلّمها مُعطى جاهزا لا يكشف عن طبيعة ولادته أو عن مراحل نموّه وتطوّره، بل يقترح ذاته كما لو أنّه هبة السّماء. لكنّ المبدع لا يتفاعل مع المكتسبات إلاّ من أُفق النّموذج الذي كان قد خلقه مِن معاناته لزمن مضى أو للصّورة التي يتوجّب أن يكون عليها الآتي من خلال معاناته؛ والنّموذج/ أو المثال، أو الصّورة تعريفا/ أبعدُ ممّا يُوفّره الرّاهن أو لا يَكون... والنّتيجة: صراع عنيفٌ بين حرس المكتسبات والمبدع لاينتهي الاّ في المأساة، إذ ينتصر الحرس لما توفّره المكتسبات من «منافع آنية» شرّعت لبقائها.

هكذا ينتهي الأمر بالمبدع إلى الانهيار: هكذا يتعيّن، في بعض أبعاده، موتُ سقراط، وقتلُ الحلاّج، وانتحار تراكل، وجنون هولدرلين...

غير أنّ الوقت الذي غلّب الحرس على المبدع، وهذه طُرفته، هو الذي يثأر له: إذ يختنق الحرس من تكلّس المكتسبات، أو مِن اكتمال نُضجِهِ، أو من انقطاعِهِ عن أن يكون مُنتِجًا، فيستدعيه بما هو النّموذج/ المثال، الصّورة/ لعصر آخر يعيّن طموحاته أو يؤرّخ لتحوّلاته... نيتشه كان بينهم العلَمَ، قال إنّه لن يُفهم قبل فجر الألف الثالثة!

انتهى القرن الثّامن عشر مُخلّفا وراءه ريحا هائلة بدونها يصعب فهم التوتّر الذي ملأ القرن التّاسع عشر وكذلك انفجارات القرن العشرين، وهذه الرّيح سُمّيت في أهمّ دلائلها بالأنوار، وهذه في خلاصتها الأساسية: عزمُ الذّات على إعادة بناء ذاتها باعتماد قدراتها، لا باعتماد موروثها؛ والإيمان بقدرة هذه الذّات على التقدّم اللامحدود نحو حرّيتها وكرامتها، والوعي بالمسؤولية الكبرى لهذا العزم الإرادي، والشّجاعة في إخضاع كلّ الموروث لامتحان العقل، والايمان بتضامن مصالح الإنسانية بأسرها، ذاك الذي يقوم على كاهل العقل المتطوّر باستمرار.

هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى خلّف القرن الثامن عشر أيضا ردّة فعل هائلة تجاه تلك الرّيح، تجاه ذلك العقل الذي انتهى به اعتداده بذاته إلى آلية الفكرة والمنجز الحسّي؛ خلّف الرّومنسيّة: مقاربة الذّاتِ بما هي فردية متميّزة خاضعة للظّرف الذي تُقيم فيه، تستبطِن الموروث باستمرار لتنجز تجربتها الذّاتية، لتبدع رؤياها: فلا تعالٍ على الماضي ولا قطع معه، ولا فصل بين النّظر والتّجريب، بل احتراز من الواقع الموضوعي وانحياز للخيال: للعالَم بما هو صورة؛ وهي بذلك أكثر

من مجرّد ردّة فعل سلبية تجاه تيّار فكريّ وجد في ظرفه ما يسهّل انتشاره، بل هي رؤيا تقترح ذاتها على الرّاهن كمقابل روحاني لتأليه العقل.

غير أنّ الرّومنسية ما استطاعت الانتصار على العقل فانهارت أمام الوضعيّة: التيّار الذي قلّص العقل في جزئه التّجريبي والمنادي بكفاية البحث في ما هو «مادّي موضوعي»، وإلغاء القول بما يتخفّى عن الظّواهر.. .انهزمت الرّومنسية بفعل مُغريات الآلية وما توفّرهُ من «تبسيط» للظّواهر، ومغريات الآلة وما توفّره مِن «منفعة» حسّية مباشرة.

هكذا كانت، في أهمّ دلائلها، نهاية القرن الثّامن عشر، وهكذا كانت بداية التّاسع عشر: تقلّص العقل في بعض جوانبه، أي في العلم، وهزيمة في محاولة استعادة الرّوح بما هي المحرّك للذّات في استعادة حضورها... لذلك قُلنا إنّ التوتّر ملأ التّاسع عشر.

هذا التوتّر لا يراهُ نيتشه مِن خلالِ خصائصهِ «الجزئية أو الجانبيّة» وإنّما من خلال المشترك في مسبّباته وتمظهراته؛ من خلال الانحلال: إنّ انسان التّاسع عشر، قال، طرح عنه ما كان له مِن قيم عُليا ظلّ يعتقد أنّه كان مخدوعا فيها... فإلى اليأس، فإلى الإنكار، فإلى التّشكيك.

هذا التوتّر لا يراه نيتشه من خلال خصائصه «الجزئية أو الجانبية» لأنّ خصومته مع عصره كانت ضدّ المشروع الحضاري برمّته. إنّ إنسان التّاسع عشر، قال: كائن ضيّع حرقة كبريات الأسئلة فضيّع الدّلالة من وجوده، فهو إذ تنازل عن ديمومة التّساؤل: مَن أكون؟ ضيّع بذلك الوعي بضرورةِ خلق المعنى وضرورة عدم الوقوف في ذلك عند حدّ معيّن، وكان الحاصل من ذلك أنّ القيم ما عادت كذلك، **فسيطرت العامّة، بما هي سطحية التّفكير وعدم المبالاة وسوء استعمال العلم،**

على الفضاءات كلّها حتّى غدت هي النّموذج والقاعدة، وإذن، قال: «كلّ شيء يسقط في الماء، ولاشيء يغوصُ في الأعماق.»

٣

شوبنهور والانتهاء في العتمة

في كتابه الأوّل، ولادة المأساة، نعاين تأكيدا من قبل نيتشه مضمونه أنّ الوجود والعالم ليس لهما من تبرير إلاّ بما هما ظاهرتان جماليتان. وعوض التّشريع لربوبية (أي تبرير وجود إله طيّب وقادر مقابل الشرّ المنتشر في العالم.) فإنّ العالم يشرّع لذاته بذاته، لا كإبداع، ولا من خلال أفق غائية تاريخية أو أخلاقية، ولكن بحسب معايير جمالية خالصة يتقدّم الكاتب لإبراز دلالتها ونتائجها.

كيف نفسّر هذا التّمجيد للفنّ الذي بات مماثلا للفعل الميتافيزيقي الذي كان في قديم الأزمنة من مشمولات رجال الدّين والفلاسفة عند تساؤلهم عن أسباب الوجود، كما عند هيغل الذي لا يعطي للفنّ، في تاريخ تطوّر الوعي، مكانة متميّزة، بل يجعله بعد الفلسفة والحقيقة المسيحيّة.

أمّا عند شوبنهور فإنّ التّرتيب التّفاضلي لصور المعرفة يأتي على نظام آخر: بالنّسبة إليه توضع الفنون، وخاصّة الموسيقى، في القمّة. ولأنّ نيتشه لا يخفي تأثّره بشوبنهور، على الأقلّ في كتابات الشّباب / خاصة ولادة المأساة، واعتبارات غير آنية/ ، فإنّه لا بدّ من التوقّف، وبشيء من التأنّي عند أهمّ ركائز التّفكير عند هذا الفيلسوف، في الحياة بما هي إرادة، وفي نزعته التّشاؤميّة وخاصة في موقفه من الموسيقى والشّعر، لندلّل على هذا التأثّر عند نيتشه ولنعاين لحظته القاطعة معه.

يقطع شوبنهور مع التصوّر المثاليّ للذّات باعتبارها عقلا يفكّر

ويتمثّل وبالتّالي يحتوي الوجود الخارجيّ بأكمله، فهذا التصوّر عنده وهمٌ مردّه أنّ العقلانيّين، إذ تصوّروا أنّ الإنسان عقل خالص لا يقوم بغير التّفكير، أهملوا أنّه يمتدّ بجذوره في هذا العالم، إذ يجد نفسه فيه كفرد، فإنّ معرفته التي هي الأصل في العالم كامتثال تتوقّف على جسد، تأثّراته هي نقطة البدء في كلّ ما تقوم به من عيانات في هذا العالم. ومن هذا الجسد يتهيّأ لنا العبور إلى العالم الموضوعي، عالم الإرادة، فنحن إذا لجأنا إلى التأمّل الباطن المباشر، اكتشفنا أنّ كلّ التأثّرات والأفعال النّفسيّة مردّها إلى مصدر واحد هو الإرادة، وعلى هذا، فهي والجسد واحد: الجسد هو الإرادة منظورا إليها من الدّاخل، والإرادة هي الجسد منظورا إليه من الخارج، وهذا يعني أنّ فعل الجسد هو فعل الإرادة والعكس صحيح؛ لكنّ العقلانيّين توهّموا فصلا بينهما، ثمّ انهاروا في فعل المُفاضلة.

يقطع مع التصوّر المثاليّ للذّات ليؤسّس للموضوع باعتباره الإرادة بما هي الجوهر للوجود، فما الوجود عنده إلاّ الإرادة متحقّقة في الواقع.

يؤسّس للموضوع باعتباره الإرادة، ويحدّد معالمها فيجعلها واحدة ذات صور متعدّدة، ويجعلها الوحيدة بين الأفكار التي لا تستند في وجودها إلى أيّة ظاهرة، لأنّها تصدر عن شعور الإنسان وهو يتعرّف كفرد على ذاته بطريقة مباشرة وخارج ثنائيّة الذّات والموضوع.

يحدّد معالم الإرادة فيجعلها واحدة ذات صور متعدّدة، ويجعلها بلا شعور وبلا عقل، لأنّ الشّعور عنده شرطه العقل، وهذا عرضيّ لا يدخل في صميم الكائن العضويّ الحيّ، لأنّه مجرّد أداة لتنظيم الرّوابط بيننا وبين العالم الخارجي، على نقيض الإرادة التي هي الكائن ذاته بعد أن تحقّقت موضوعيّا، وعلى هذا الأساس يجعل شوبنهور الملكات

العقليّة مرتهنة بقوّة الإرادة، فالعقل، يقول، يتعب بينما الإرادة لا تعرف التّعب، وذلك لأنّه خاضع لقوّة التصوّر الذّاتي فلا يعمل إلاّ إذا دفعته الإرادة التي تسوده، ولولا الإرادة لاستغرق في الكسل، ثمّ إنّه إذا عمل احتاج إلى راحة أو انتهى في التبلّد أو الجنون، على نقيض الإرادة التي لا تعرف الرّاحة ولا الشّيخوخة. ثمّ هي تقدّم للعقل ما به يصبح متحصّلا على بعض الجمال، فإذا أضيف الشّوق إلى الإدراك قوي هذا فازداد عمقا.

يؤسّس للموضوع باعتباره الإرادة ويحدّد معالمها فيعطيها الأولويّة على حساب العقل، فيقلب بذلك الوضع الذي كنّا عليه، فيكون بذلك أوّل القائلين بالنّزعة الإراديّة، وإن كان الرّواقيّون قد سبقوه في القول بذلك عندما أرجعوا كلّ شيء إلى الفعل، وعندما قالوا إنّ الأجسام هي وحدها التي تؤثّر، لأنّ الفعل لا يتمّ إلاّ بالأجسام، وعندما قالوا إنّ الشّعور حسّ باطن تدرك به النّفس توتّرها، أي فعلها في الأجسام. وبذلك يكون أوّل القائلين بالإرادة على الرّغم من توفّر روح هذه القولة في عصره، فقد قال فخته إنّ المثاليّة الحقيقية تنظر إلى العقل بوصفه فاعلا لا منفعلا، وإنّ العقل فعل وفعل فحسب، وقال شلنغ، إنّ العقل فعل فحسب، أي إرادة، لأنّه لا وجود للرّوح إلاّ باعتبارها تريد، وهو يحدّد الإرادة بأنّها القوّة المطلقة، وبأنّها الفعل الخالق.

يسبقه الرّواقيّون، ويشاركه بعض المعاصرين له في القول بالإرادة، وتنتسب هذه إليه قبل غيره، لأنّه لم يسقط في المصالحة مع العقل كما ساد تحديده منذ سقراط، إضافة إلى ما تميّزت به إرادته من انتهاء في الفاجعة.

يقطع مع الذّات كما تصوّرها العقلانيّون، ويؤسّس للموضوع باعتباره الإرادة فيعطيها الأولويّة ويجعل العقل مرتهنا بها، وينتهي مقيما

في التّشاؤم؛ ففي رؤياه أنّ الإرادة إذ تأتي من أعماق اللاشعور وتفتح على الحياة، تجد العالم لا متناهيا ومملوءا بالمتعبين والمُجهَدين، ولما كانت مسكونة بالحلم اللامتناهي فإنّها تهرع عائدة من حيث أتت. ولأنّ رغباتها لا تنتهي، لأنّ كلّ إشباع يولّد شهوة جديدة، فهي لا تجد ما يهدّئ من جموحها، فتظلّ على دوام السّعي إلى تحقيق ما تنزع إليه دون التّحصيل على ما يشبع رغباتها، فلا يبقى لها سوى الرّضى بالكآبة: أن تحافظ على حياتها البائسة وأن تعاين الموت القابع أمامها.

لذلك لا يرى السّعادة إلاّ وهما، ولا يرى الحياة إلاّ شرّا، ولا يراها إلاّ من جوهر الشّقاء قُدّت: تعد ولا تفي بالوعد، وتغري القادم لتنتهي به في الاستياء... ولذلك فهي لا توجب سوى الانصراف عنها، ولا أدلّ على بؤسها من فعل الزّمان، ذاك الوحش الضّاري الذي لا شاغل له سوى أن يحيل الفرح إلى ألم. وعن القول إنّ السّعادة موجودة، لأنّ معيارها اللذّة وهذه ماثلة لأكثر من عيان، فإنّ ردّه على ذلك هو، أنّ هذا القول لا يعدو أن يكون من باب التوهّم: فما اللذّة سوى ذاك التّذبذب بين الحالتين، حالة الألم قبل أن تدرك وحالة الملل بعد أن تشبع، وكلتا الحالتين ألم، ونحن نحسّ بالألم لا بخلوّنا من الألم، وبالجزع لا بالأمن، ونحن نشعر بالرّغبة كما نشعر بالجوع، لكنّ الرّغبة لا تلبث أن تُشبع حتّى تندثر، وحدهما الألم والحرمان بإمكانهما أن يحدثا تأثيرا إيجابيّا وبالتّالي أن يكشفا عن ذاتيهما، أمّا المتع فهي سلبيّة: فنحن لا نستطيع أن نقدّر الخيرات العظمى الثّلاثة التي نحظى بها في الحياة وهي الصحّة والشّباب والحرّية طالما كنّا مالكين لها، ولكي ندرك قيمتها لابدّ لنا من فقدانها أوّلا.

وليس هذا التّشاؤم عارضا لأنّه لاحق بالإرادة، وبذلك لا أمل في الخلاص وستبقى الإنسانيّة مقيمة في أشكال لؤمها وفسادها إلاّ بالنّسبة،

ربّما، إلى بعض العباقرة من المبدعين، أولئك الذين استطاعوا المعاناة العميقة لهذه الحياة، فاستطاعوا أن يخلقوا المعنى، وهو هنا تلك المغامرة باقتراح الخلاص من هذا الشرّ باعتماد الإيمان بالحبّ: حبّ الإنسانيّة.

هكذا نفهم تنبّؤه بأنّ الحضارة إذا أمكن لها أن تقوم مِن خلف الشرّ الذي يقبع داخلها: إذا أريد لها أن تقوم على فهم الوجود بما هو إرادة وأن تعاش بما هي كذلك، فإنّه علينا بقولها إبداعًا: بالإيقاع والصّورة في توتّر كلّ منهما، وفي توتّر التفاعل بينهما، باستدعاء ما يجسّد ذلك حسيّا أي باستدعاء المسرح: فالموسيقى عنده **فنّ مستقلّ بذاته عن بقيّة الفنون كلّها تمام الاستقلال. ففيها لا نجد تقليدًا أو تكرارًا لأيّة صورة للكائنات الموجودة بالعالَم، ولكنّ لها مع ذلك من الجلال والرّوعة وقوّة التّأثير في أعماق الإنسان، والنّفاذِ إلى أخفى خفاياه، وكأنّها لغة عامّة العموم قد فاقت في وضوحها العالم المرئيّ نفسه - ما يجعلنا نعدّها المعبّر الأكبر عن جوهر الوجود وحقيقة العالم.**

كذا نفهم تنبّؤه بأنّ الحضارة، إذا أمكن لها أن تقوم من خلف الشرّ الذي يقبع في داخلها، لا تقبل إلاّ رؤى الشّعراء، لأنّ الشّعر عنده هو الفنّ الذي يحرّك الخيال بواسطة الألفاظ، والألفاظ عنده دلالات على تصوّرات، ومهمّة الشّعر أن يترجم عن الصّور بالرّسوم، وعليه إذن أن يعبّر عن التصوّرات والمعاني المجرّدة في رسوم محسوسة تقولها اللغة المجازية.

بالشّعر نعبّر عن الصّور باعتبارها التحقّق الموضوعي للإرادة. ولذلك نراه شديد الإلحاح على قدوم الشّعراء، وعلى قدومهم في تلك الصّور الغريبة في المجيء، فقد أعلن أنّنا في الشّعر ندرك التحقّق

الموضوعيّ التامّ للإرادة في أعلى درجات التّعبير عند الشّعراء، بما هو تحريك للخيال بواسطة الألفاظ، يقدر على إدراك الطّبيعة الإنسانيّة العامّة، قال: **على من يريد أن يعرف الإنسانيّة في جوهرها الباطن، في صورتها، متحقّقة ومتطوّرة باستمرار، أن يبحث عنها في الآثار الخالدة لكبار الشّعراء، ففيها صورة أكثر أمانة وأعظم وضوحا من تلك التي يعرضها المؤرّخون**، لأنّ المؤرّخ لا يتجاوز في إرادته معرفة الإنسان في أحداثه وأعراضه دون أن يدرك الصّورة. ويلحّ أكثر، فيضيف: إنّه على الشّاعر، حتّى يقدر على إبداع المدينة، أن يكون واعيا بقيمته، واثقا من عبقريّته، شديد الاعتداد بذاته، عظيم الرّوح، مؤمنا بأنّ التّواضع فضيلة من تعوزه الفضائل، وأن يكون مع ذلك قادرا على التخفّي وراء قصيدته، وهذا لا يتوفّر إلاّ مع القصيدة التي تتجاوز الشّعر الغنائيّ والقصصيّ والملحميّ إلى الشّعر المسرحيّ، لأنّه وحده القادر على إعطاء السّيادة للموضوعيّ، للصّورة عن الطّبيعة الإنسانيّة العامّة.

يقول نيتشه: **هناك أيضا سؤال... وهو معرفة ما إذا كان ضروريا اعتبار شوبنهور بتشاؤمه، أعني بمشكلة قيمة الحياة، ألمانيا، لا أظنّ ذلك...**: وهو لا يظنّ ذلك، لأنّ شوبنهور انتهى عند التّشاؤم دون ان يقدر على تحويله إلى ما يسبّب الفرح، حيث النّحيب على رحيل ديونيزوس لا يجد معناه إلاّ في كونه ترحابا بعودته حاملا معه الرّبيع الحافل بالرّؤى.

لذلك يقطع معه لأنّه يقف عند تمجيد كلّ ما يسمح للإرادة أن تتّحد ذاتيّا كإرادة للحياة، دون أن يعتبر ما يمكنه أن يدعّم القوى التّوكيديّة في إرادة القوّة، وعندما يرى التّاريخ ثابتا لا يتغيّر إلاّ على مستوى ظاهره، فينتهي في الشّفقة دون أن يدرك القوّة وينتهي في التّشاؤم دون أن يدرك السّرور.

٤

فاغنر والابداع المرتدّ

كان نيتشه في مطلع حياته الإبداعية، وكان فاغنر في أوج حياته الموسيقية يوم التقيا أوّل مرّة في مدينة بال / سويسرا/ وسرعان ما كان الإعجاب الشّديد.

رأى نيتشه في صاحبه عبقريّة توفّرت على الموسيقى والفكر معا، وجمعت الشّعر والمسرح في إبداعات درامية رائعة تذكّر بالمأساة اليونانية يوم اكتمالها في أثينا: قوّة الأفكار، الجرأة على التّناول العميق لقضايا السّقوط والخلاص، تناول الموت كخيانة لأوج الاكتمال؛ وكلّ هذا في تجميع تفاعلي رائع للنصّ الأدبي والموسيقي والدّيكور والحركة على الرّكح، ليبدع من ذلك آثارا ذات إبعاد شاسعة ومواضيع متعدّدة بحيث يستحيل تحديد دلالاتها وفق أيّ فكر نسقي. إنّها الدّراما الموسيقية حيث كلّ البنية التقليدية للسّمفونية تنهار، أو هي ما نسمّيه اليوم بالأثر الفنّي الشّامل، الذي يتقدّم إلينا لا كموضوعٍ واضح المعالم وإنّما كإرادة قاطعة مع كلّ ما هو منطقي، لتقول الوجود بما هو إرادة غير قابلة لأن تحدّد بالفكر أو الشّعور.

عن هذه الموسيقى كتب نيتشه إلى بعض أصدقائه: **صدّقني إذا قلتُ لك إنّ شوبنهور وغوته وإسخيلوس وبندار مازالوا على قيد الحياة...**

وجد نيتشه في فاغنر مبدعا على الصّورة التي بشّر بها شوبنهور: وجد الموسيقى بما هي الأداة الأقدر والأبهى على إتقان التّفاعل مع القوّة اللاعقلية: مع الحياة بما هي في الجوهر إرادة، لما في الابداع من حرّيّة يقولُها وقعُهُ في الذّات، من سحريّة تحرّر صاحبها من أقبية العقل كي تبدع لذاتها الصّورة عن الوجود كما يشترط طبع التوتّر في

الجسد. قال إنّ موسيقاه قادرة على خلق حضارة جديدة... **لقد كان ديونيزوس يتحدّث إليّ... إنّ الرّوح الدّيونيزوسي قد أفاق واجدا كثافته في إبداع فاغنر.**

لكنّ روعة الإعجاب هذه تنتهي في مرارة الاستياء.

ثمّ كان مشروع «بايرويت»: فرصة وفّرتها لفاغنر روائعه وثقافة عالية لملكِ بافاريا لودفيغ الثّاني منحت المشروع ما به يولد مادّيا.

رأى الشّاعر في هذا المشروع الضّخم ما يعد بتنشئة نخبة من الشّباب المبدع في مختلف الفنون، يتقدّمون إلى النّاس بمنجزات فنّية تصدر عن روح فاغنر بما هي الموسيقى وفق دلالة الفنّ الشّامل فقال إنّه يكفي أن يُدرك بعض المئات من الشّباب خطورة هذه القرية الجميلة حتّى تقوم الحضارة كما يأمل أن يراها.

يأتي نيتشه لمشاهدة عروض بايرويت فتصعقه الصّدمة: لم يجد شيئا ممّا ينتظر، بل وجد مسرحا سطحيّا يقوده دجّال شعبي يستجدي الحاضرين بما يرضيهم... قال إنّه لم يرَ فيه غير عجوز يمثّل مهزلة مُثله العليا.

يصبح فاغنر عنده سببا مرضيّا على أعضاء الجسم أن تحرّك ضدّه كلّ دفاعاتها: يصبح الصّورة عن الانحطاط.

يقطع نيتشه مع فاغنر ويعطينا تعريفه للموسيقى:

إنّ الذي يعيش على إيقاع الموسيقى الرّاقية يُدرك، في ذاته أوّلا ومن ثمّة في الآخرين، إلى أيّة درجة هو في العادة عاجز عن أن يضع مقابل هذه الحياة الدّاخلية، النقيّة والرّاقية والتي مع ذلك تملؤها الموسيقى حياة، صورة، مظهرا يصدر عن تلك الحياة، فهو في هذه المحاولة لا يملك غير الشّعور المضني بأنّه لم يتبيّن إلاّ ركاما من التشنّجات والإفراطات...

إنّ كلّ ما يستوجب إيقاعا، كحياة الأفراد في كليّتها، وسياسة الشّعوب، والعلاقات المنفعيّة، وتنازع الطّبقات، وتناقض الشّعب واللاشعب، يقيسه المرء، المُغذّى لا شعوريّا بالموسيقى، ويحكم فيه بمعيار الموسيقى، وهو ما لم يكتف اليونانيّون باعتباره، بل هم اشترطوه أيضا. ولا شكّ أنّ الأمر لا يعني مجرّد الإيقاع في الموسيقى، ولكنّه يعني أيضا، النّزاهة.

هذا التّعريف للموسيقى نحتاجه ضرورة في كلّ قراءة لقصيدة نيتشه.

٥

في توتّر الجسد

يتقدّم الجسد إلى الوعي كموضوع على الكثير من الطّرافة: فهو موضوع يسهل الإقرار بوجوده /من منّا ينكر أنّ له جسدا/ كما هو موضوع يسهل إنكاره، وفي الحالة الثّانية يلعب السّؤال الفلسفي دورا مصيريّا.

يحترز أفلاطون /و معه عموم الفلسفة المثالية/ من كلّ ما يمثل أمامه مرئيّا، لأنّ المرئيّ هو ظِلٌّ ما يتوجّب تأمّله، وأخطر المرئيّات هو الجسد: إنّه يمثل بين الذّات والعالم مدّعيا أنّه الواسطة الضّرورية بين الرّوح والأفكار التي تريد الذّات تأمّلها: إنّه الشّاشة التي تنعكس عليها التمثّلات وترتسم... لذلك كان الجسد بالنّسبة إلى الفيلسوف المثالي مزعجا، ولذلك أُعلنت الحرب عليه في أكثر من عصر ومجال، وتمّ سجنه في فضاء معرفيّ ضيّق جدّا: إذا كانت الرّوح لا تقدر إلاّ أن تتجسّد، اذا كان لابدّ على الوعي من عبور الجسد، فليكن ذلك «في السرّ»، وعلى الفلسفة أن تعلّمنا التخلّص منه.

إنّ تجربة وضع الجسد «بين قوسين» تؤكّد أنّه يستحيل على الذّات

بأن تتقدّم كروح خالصة: أن أعرف جسدي / في منظور ديكارت/ يعني أن أتنازل عن صرامة المثالية، وذلك بأن أقرّ ببعض دور للجسد يجعل معرفتي بالعقل أفضل، وهذه المعرفة بالعقل هي ما يسمح لي بأن أعيد غزو الجسد، فإنّ البداهة تقول: أنت لا تغزو إلاّ ما تكون قادرا على معرفته، كذا أُحيّد الجسد، كذا أغزوه.

مع نيتشه يكفّ الجسد عن أن يكون عائقًا، بل يصبح الشرط الأساسيّ للمعرفة وللوجود، وهو لم يُوصف بفيلسوف الانقلابات الكبرى بلا سبب، فهو القادر على قلب القيم إلى درجة تحويلها إلى نقيضها.

في منظور نيتشه، يكون فهما معكوسا للواقع، أن نضع الرّوح في موقع السّيادة للوعي، وأن نجعل من هذا الفهم مبدأ للوجود. ففي الحقيقة، يقول، إنّ ما هو أوّلُ: هو الجسد. هذه الأولوية التي يعطيها نيتشه للجسد هي أكثر من مجرّد ترتيب تفاضلي، وبالتّالي فهي تفرض الاهتمام بها: إنّها قبل كلّ شيء تقف بالضدّ للفهم الدّيكارتي لأوّليّة الرّوح على الجسد.

في منظور نيتشه، ما يجب اعتباره، ما له الأوّليّة هو الجسد: كلّ شيء يمرّ عبر الجسد، وكلّ فكرة منه تنبثق، وكلّ وعي يصبح بواسطته ممكنا؛ وما الرّوح إلاّ إفراز بسيط للجسد، ولعلّها مجرّد تضخّم وهميّ للذّات على الإنسان المتيقّظ أن يعرف كيف يفضحه. في - هكذا تكلّم زرادشت - يعلن البطل على لسان نيتشه:

لكنّ الإنسان المتيقّظ، الذي، يعلم، يقول: «أنا جسم حتما، ولا شيء آخر؛ وما روحي إلاّ كلمة لتعيين حالة للجسد.

إنّما الجسد عقل هائل، تعدّدية ذات معنى واحد، حرب وسلم، قطيع وراع.

أداة لجسدك، هو ذا، يا أخي، عقلك الصّغير الذي تسمّيه «روحا»، أداة صغيرة ولعبة لعقلك الكبير.

«أنا» تقول معتزًا بهذه الكلمة. لكنّ ما هو أعظم-ما لا تريد اعتقاده- إنّما هو جسدك: إنّه لا يقول «أنا» لكنّه يصنع الأنا.

هذا التّمجيد للجسد، اذ يأتي ممّن عذّبه جسده طيلة حياته، لا يسبّب المفاجأة بقدر ما يدعو إلى التوقّف بغاية الكشف عن دواعيه وأبعاده.

يقول نيتشه إنّه في كلّ أطوار حياته، كانت شدّة الألم عنده هائلة لا تُطاق:

- ورث عن والده قصر النّظر؛ كانت عيناه، على حدّ تعبيره، تغوص حتّى ثلاثة أرباعهما في ليل مظلم، وتتورّمان لأقلّ مجهود تبذلانه، حتّى أنّه اضطرّ منذ باكر شبابه أن يلجأ إلى من يقرأ له ويكتب تحت إملائه.

- في عامه الثّالث والعشرين، وخلال تأديته للخدمة العسكرية يقع من فوق فرسه فيصاب في صدره.

- يتطوّع في حرب السّبعين ضدّ فرنسا ممرّضا فيصاب بمرض الدّوسنتريا، ويلازمه هذا المرض طيلة حياته عابرا به العديد من المراحل «الجسديّة»، وهذه يكون لها دورها في إبداع رؤياه؛ فيعيشها في شكل حملات عديدة كانت على الكثير من العنف نتوقّف عند ثلاثة منها:

- الأولى، وكانت على إثر اصابته بالدّوسنتريا، وقد جعلته آلامها يعتقد أنّ رسالته انقضت وأنّ مغادرته للحياة قد آنت؛ فيكتب إلى أخته: **أعتقد أنّي أديتُ مهمّتي في الحياة كما يؤدّيها رجل لم يُمنح ما يكفيه من الوقت**. وهذه الحالة المتميّزة بالكآبة تلازمه عشرة أعوام كاملة.

– والثّانية، وقد جاوزت الأربعة أعوام، حدث له فيها انقلاب هائل يناقض بالكامل حالته السّابقة: صار يحسّ بأنّ وجوده فيّاض، وأنّ مزاجه في درجة عالية، وصار يُقبل على الحياة في فرح كبير، فكانت أغزر سنواته إنتاجا سمّاها مرحلة الوحي والإلهام: **هل عند واحد من النّاس**، قال، **في نهاية التّاسع عشر، فكرة واضحة عمّا كان الشّعراء في عصور التّاريخ القويّة، يسمّونه الوحي والإلهام؟ لئن كان الجواب بالنّفي فها أنا أصفه لهم... في هذه الحالة، حالة الوحي، يشعر المرء بأنّه يسمع -ولا يبحث، ويأخذ- ولا يسأل عمّن يعطي، والفكرة تنبثق كالبرق مضيئة ضروريّة، لا تتردّد في صورتها وشكلها... وكلّ ما هو موجود يريد حينئذ أن يستحيل إلى كلمات... هذا هو الوحي كما جرّبتُهُ.**

– والثّالثة تبدأ من عام ١٨٨٨ إلى آخر حياته، وفي هذه المرحلة تتحوّل حال نيتشه إلى نقيضها: من اليأس والشّكوى إلى الحبور والغبطة. في هذه المرحلة أُصيب نيتشه بما اتّفق علماء النّفس على تسميته باليوفوريا، وهي حالة مرضيّة يشعر المرء فيها بالابتهاج دون سبب ظاهر، وهي عادة ما تسبق السّاعات الأخيرة قبل الموت. واذن، يُفهم هذا التحوّل على أنّه خروج من العالَم الموضوعي، والشّروع في الإقامة في العالَم الذّاتي: عالَم الإيقاع والصّور: عالَم الرّؤيا إذ تقطع مع المشترَك وتنتصر عليه.

في أوائل الشّهر الأوّل من عام ١٨٨٩ يُصاب بالجنون.

لا أستطيع القراءة! لا أستطيع الكتابة إلاّ نادرا جدّا، لا أعاشر أحدا! لا أستطيع سماع الموسيقى!.. ألمٌ متواصل، وعلى مدى ساعات شعور قريب جدّا إلى دوار البحر، شلل نصفي يجعل النّطق صعبا بالنّسبة إليّ، وعلى سبيل الإلهاء نوبات حادّة... آه لو كان في

وسعي أن أصف لكم ما هو متواصل في كلّ ذلك، ألم الرّأس المبرّح الذي لا يتوقّف، وألم العينين، وهذا الشّعور العام بالشّلل من الرّأس حتّى القدمين.

نعيد بتعمّد مقصود فنقول: إنّ المرض لازمه طيلة حياته عابرا به عديد المراحل «الجسدية» كانت تُقبل عليه حملات وكان لها دورها في ابداع رؤياه، فماذا كان الحاصل؟

يمكن لهذا الحاصل أن يُسمّى بـ«فلسفة المرض» وهذه تتجسّد في أشعاره أكثر ممّا في كتاباته النثريّة.

في هذه «الفلسفة»:

أنّ الحالات الشاذّة هي التي تكوّن المبدع، وهي حالات وثيقة الصّلة بالظّواهر المرضيّة، فالإنسان في جوهره حيوان مريض، وذلك متأتٍّ من كونه أكثر الحيوان جُرأة وتجديدا، ومن كونه كثير التجارب على نفسه، دائم الكفاح ضدّ الحيوان والطّبيعة من أجل السّيطرة الكاملة.

– وأنّ المرض هو أوّل شيء هداه إلى سواء السّبيل: وفّر له ما به تتميّز رؤياه: تحليل دقائق الإنسان، وذلك لأنّ المرض قد أخلى بينه وبين نفسه، فأمكنه بذلك تعرّفها وفهمها.

– وأنّ المرض هو الذي يشعره بالصحّة: **أنا أعرف الحياة معرفة جيّدة، قال، لأنّني كنت على وشك فقدانها.**

– وأنّ المرض ليس وحده الشّرط في سموّ العبقرية، وهو ليس غاية تُطلب لذاتها، بل وسيلة ليصل الإنسان إلى الصحّة، لأنّ المرء لا يمكنهُ أن يحيا الحياة كاملة إلاّ إذا تملّك الطّرفين ونعِمَ بهما جميعا، بل إنّ جوهر الحياة المليئة السّامية هو في التّجاذب بين الصحّة والمرض، وهذا التّجاذب لا تعبير عنه بأجمل ممّا توفّره القصيدة إذ يعظم شأنها:

إذ تولد من ماهية التوتّر في الجسد: **إلى الأمام هكذا! قلتُ لذاتي، غدا تكونين سليمة الجسم، ويكفيك اليوم أن تتصوّرِي أنكِ كذلك... فكانت إرادة ذاتها، وكان تمثّل الصحّة وسيلتي إلى الشّفاء.**

في قصائده تجاذب خلاّب بين السّرور والألم، وكأنّه يجاهد في سبيل التّحصيل على حالة ثالثة يتجاوز فيها الحدّين.

٦

على باب القصيدة

كتب نيتشه القصيدة، والنّثر الشّعري، والعديد من المقطوعات أو الشّذرات التي لا يمكن تصنيفها، والتي تشهد على انشغاله العميق بانجاز كتابة متميّزة كلّيا عن النّثر الفلسفي الاستدلالي. هذه الكتابة الجديدة لا تتوافق، لا مع الشّعر التقليدي، ولا مع الجفاف النّسبي للأمثال أو الحِكم.

من الشّعر التّقليدي، احتفظ نيتشه بالكثافة والإيجاز؛ وهذا المكثّف اللغوي أو الموجَز اللغوي هو الإشارة عن كتابة وصفية أكثر منها استدلالية، تترجم عن إيقاعٍ موسيقيّ عالٍ بأنغامهِ المحزنة والمفرحة، أو بصفاء التأمّل. ومن النّثر الفلسفي احتفظ بضرورة الابتعاد عن الغنائيّة وحتّى عن بسيط الانسجام: كأنّها جاءت ملخّصة لمراحل حياة صاحبها، في تناقضاتها وتعدّد مناخاتها.

في هذه المعاناة التي تجاوزت الأربعين عاما، نعاين ثلاث مراحل واضحة الاختلاف.

المرحلة الأولى/ مرحلة الشّباب ١٨٥٨-١٨٧١/ ، وفيها تقترب القصائد من الرّومانسية، جاءت تقليدية في شكلها، بعضها على شيء من المغالاة البلاغية والعاطفية، ومجملها يرزح تحت وقع الكآبة المثقِلة

حتّى اللجاجة، لكنّ النّبوغ يطفو عليها، أو يخترقها: مرّات في نبرات عميقة، ومرّات في تبسيط رائع لخطوطها الرّئيسيّة؛ كلّ ذلك في تعبيرية سابقة عن أوانها، وخاصة منها تلك التي تقول المشاهد المهولة عن الخريف، أو عن الليالي الموحشة، أو عن الغاب المضيء، أو عن المرتفعات المسكونة بالأشباح، أو عن السّماوات ذات البروق القاطعة تحت الغيوم الدّاكنة...

المرحلة الثّانية / ١٨٧١-١٨٨٤/ والتي يصطلح على تسميتها بمرحلة النّضج، وهي الممتدّة من «ولادة المأساة» إلى «هكذا تكلّم زرادشت»؛ هذه المرحلة طغى عليها النّثر المزخرف، دون أن يمسّ بايقاعها المسهب أو بعمقها الدّرامي، وإلى جانب ذلك، جاءت على قطيعة مع القصيدة التّقليدية، منحازة إلى فنّ السّخرية المرّة، أو ما يسمّى بالألعاب اللاذعة.

في هذه المرحلة، علينا أن ننتبه إلى المسافة المقطوعة منذ الغنائية الحدادية الواهنة لرومانسية سنوات المراهقة، إلى نضارة النّضج المرِح، حيث ينتصر الانتشاء الوضّاء في تسامٍ مطّرد: الدّيونيزوسية الموشّاة بالأسلوب الرّائع. هذه المرحلة، قال بعضهم، لا تُقرأ بأجمل ممّا هي رسوم تحضيريّة للمقاطع الكبرى التي تؤلّف - **ديونيزوس.. الأناشيد** - الأثر الأخير لنيتشه والذي يتألّف بكامله من قصائد ذاتِ تنوّع محيّر على مستوى الشّكل وعلى مستوى دفئها الدّاخلي.

المرحلة الثّالثة / ١٨٨٥-١٨٨٧/ : من - **ديونيزوس.. الأناشيد** إلى السّنة الأخيرة لإبداعه، وهي مرحلة الشّذرات، وهذه جاءت في غالبيتها على غاية الإيجاز، وهي تبرز كأفكار سريعة مكثّفة، أو كصُور جزئية أو كونية وضّاءة في بساطتها، كأنّها اللُمعُ، ضمن توسيمات متعجّلة، أحيانا لاهثة، على نقيض الغزارة والتّنامِي البطيء أحيانا إلى

حدّ الاثقال على السّامع والقارئ، فهي تحليقات واستعادات، ولكنّها أيضا ابتداعات ساطعة تعلن عن أسلوب غير محدّد، لأنّها تتعيّن ما بين القصيدة والقول المأثور أو الحكمة. هذه الكتابة الجديدة، هذه «الرّيشة الرّاقصة» تقول، فيما تقول إنّ غايتها القصوى: أن تتجاوز الشّعر ذاته، مع الاحتفاظ الواضح على أفضل ما في الشّعر والنّثر التأمّلي، والمقطوعة التي تحمل عنوان **الشّعراء** من قصيدة **هكذا تكلّم زرادشت** /انظر المتن/ تكشف عن هذه الغاية بوضوح، وأيضا تقول الأهمّ في علاقته بالشّعراء.. الأقدمون منهم والمحدثون.

١٢ - ٢٠٠١

قصائد الشّباب

/١٨٥٨ - ١٨٧١/

....

مرآة هي الحياة
ذواتنا فيها نرى

لذلك ندعوها بالرّغبة الأولى
عن التطلّع إليها لا ننقطع.

فورتا ١٨٥٨

على الرّبوة العالية،
ملتفّا بمعطف الظّلام أقف.
من هذي الأعالي الموحشة
إلى موطن تغطّى بالزّهور
نظرتي تهوي، أرى نسرا يحلّق
بجرأة الفتوّة يندفع
ملاحقا أشعّة مذهّبة ويصعد
ويوغل في الأتون الأبدي.

خطافا أرغب أن أصير فأنطلق
مع البريق الأوّل للصّبح الجديد
عاليا في الفضاء
فوق الواديّ والغاب والهوّة.

عاليا
يغرّد العندليب فوق الغصون،
يمرّ الجدول
حذوي ويهمس أمنية،
بعذب خريره عاليا تُسمع
داخل قلبي، آه، هل أقدر دوما أن أكون؟
على أشجارك الهائلة،
يا غابة ألمانيا الرّائعة،
على الأرض أشعر أنّي علوت.
يا يوم البهجة فلتسرع
حتّى تجيء الأمنية.

بعذب النّوم ملتحفا
أحلم متقنا كلّ اللّغات: أفهمُ
ما يصدح الطّير الأنيق بهِ
وما به الزّهر الملوّن يهمس،
أسرار عديدة عذبة لي كُشفت.
وحين النّوم عنّي أخيرا رحلْ
برعشة لذيذة،
واصلتُ الطّريق موغلا في الغابة العذبة
وكنت أفكّر.

فيكِ الحرّية
فيكِ الحياة، أيّتها الآية في الجمال

يا غابة ألمانيا!
حيث السّنديان النّبيل يحيط بي
وبهجة خالصة ترنّ حولي،
على العشب النّاعم أتمدّد
مغطّى بالأزهار تقبل في موجات
أنسى همومي كلّها
وأخرج من نعاسي آمنا.

رجوع I

بصرخات الحبور
تتقدّمني القبّرات وخلفها
الرّوح في غبطة تنطلق
إلى بيت الأب،
إلى بيت الأب يوصلكَ ضوء النّهار.

بعيدا
كنتُ في العالم قد رحلتُ
فمن زمن، إلى تلك النّهاية قد وصلتُ
في ذلك اليوم
كان قلبيَ بالأحزان والرّعب مأخوذا بما يرقبني

بعيدا
قادني ضوء النّهار عن بيت الأب
بعيدا، بعيدا
خلفي الأغاني القديمة كانت ترنّ
السّعادة القديمة ماتت.

أيّها العندليب!
أطلق الآن نشيدك
لكلّ العالم غنّه:
حين وصلنا بيت الأب
الألم انتهى وأُضمرتِ الشّكوى.

ساليك[1]

سلام مسائيّ بهيجْ
يحلّق فوق الوادي والجبلِ
بآخر أشعّتها،
تجود علينا الشّمس مبتسمة

الأعالي في النّواحي تتعانق
في افتخار تضيء وفي جلال،
فأخال الفوارس قد خرجوا
من اللّحود، بسالف العافية.

استمعوا!
ها هم من بروج الحصون قد أقبلوا
يطلقون صيحات الفرح،
تتحلّق الأشجار حولهمُ
لرنين الغبطة تستمع.

صدى الأغاني يتداخل
ببهجة الصّيد يحتفل
في انسجام ترسل الأبواق أنغاما لها
صافية متميّزة.

وها هي الشّمس تغرب
وإيقاع النّغمات يندثر
صمت القبور وروعها
من وطأة الأحزان
يعبران الرّدهات العالية.

حزينا يقبع ساليك
في صحرائه الصّخرية، هناك في الأعلى،
أراه: رعشةُ خوف، عمقَ روحي تلج.

أميرة الغاب النّائمة

في الغابة
حيث تهمس القمم
تعالوا نستمع:
طفلة ملكيّة هناك ترقد
نبيلة مهدهدة،
بنسمة ربيعيّة دافئة
وشعرها الذهبيّ توشّى بالزّهور.
نامي،
أيّتها الطّفلة العذبة النّاعمة
أيّتها الأعجوبة، أسيرة قصر الغابة
أيّتها الجميلة،
جميلة الغابة النّائمة

في الغابة حيث يهمس السّنديان
تعالوا نستمع:
ها أنّ جمعا من الأمراء يقتربون،
يسطع الأرجوان والتّاج يضيء
ساحرا، يرنّ صوت المزهر الذّهبي.
نامي،

أيّتها العذبة النّاعمة،
أيّتها الملكيّة الرّائعة
أيّتها الجميلةِ،
جميلة الغابة النّائمة.

في الغابة
حيث تهمس القمم
تعالوا نستمع:
تصدح الأطيار بالنّغم اللذيذ
فتُرجع القمم الصّدى، كأنّها جرس النّذير
ونسيم الرّبيع بصوته النّاعم يشدو.
نامي،
وديعة، ناعمة
أيّتها الملكيّة الرّائعة
أيّتها الجميلة،
جميلة الغابة النّائمة.

بلا موطن

حملتني الخيول السّريعة
بلا ارتباك، بلا وجل
نحو أبعاد فسيحة
ومن رآني عرفني
ومن عرفني سمّاني
السيّد بلا موطن.
فكن جريئا، وكن قدّامي
ولاتخذلني
أيّها النّجم البرّاق، يا حظّي!

فلا يتجرّأنّ عليّ أحد
بعد هذا فيسألني
أين يوجد موطني،
أبدا ما كنت مرتبطا
بالأمكنة أو السّاعات الهاربة
مثلما النّسر حرّ أنا
فكن جريئا، وكن قدّامي
ولا تخذلني
يا شهر أيّار الأنيق، يا حظّي!

أيكون الفناء عليّ حقّا؟
أعليّ أن أقبّل الموت العنيف؟
ذاك ما بالكاد أقبله.
أعليّ أن أدخل اللّحد
والكفّ عن الشّرب إطلاقا؟
فكن جريئا، وكن قدّامي
ولا تخذلني
يا حلما تعدّدت ألوانه، يا حظّي!

نشيد أيّار

بعيدا عن كثافة الغاب
تغنّي الطّيور مفتتنة
والحقول المشمسة تمتدّ
تحت أشعّة أيّار اللطيفة،
في هدوء يوشوش الجدول
وسط الغابة المزهرة،
حيث تبتهج القبّرة
فهل أقدرُ من أيّار على إيهاب ذاته
وبأجمل منه بين الأشهر؟

ما يحزن قلبي
ما يجعله معتّما ومضطربا
أنّ ما كان صحراء شاسعة
وارتعاشا هو الآن بالشّمس مشعّا.
ظريفة تنتصب الأزهار منفَتحَة
حيث تدندن النّحلة
فهل أقدرُ من أيّار على إيهاب ذاته
وبأجمل منه بين الأشهر؟

أيّها الامتلاء اللانهائيّ من خالص الغبطة!
أيّتها البهجة
غطّي قلبي وآلامه، واقتلي، واعدمي
كلّ ما لا يهمس فوق قلبي مثل أنفاس الرّبيع،
فهل أقدرُ من أيّار على إيهاب ذاته
وبأجمل منه بين الأشهر؟

أريد أن أتعمّق
هذا البحر من اللّذه
فهذه الفكرة العذبة
جعلت صدري من الحبور يرتفع
أريد أن أقبّلكَ، وألاّ أفارقكَ
أيّها الرّبيع، تعال وأُدخل، فإنّه
لا أقدَر من أيّار على إيهاب ذاته
وبأجمل منه بين الأشهر!

حنين

الرّنين المسائيّ اللّذيذ
يصدح في الغابة، يعلمني أن لا أحد حقّا وجد،
مسقط رأسه، وبهجة البلد:
فما نكاد نخرج من قماط الأرض حتّى... إليها نعود.

حينما الأجراس تقرع
هكذا، أشعر أنّنا،
ما نزال على الطّريق إلى الوطن الأبد.
سعيد هو،
من بلا مهادنة
قد صارع الأرض واقتلع
ذاته منها وغنّى
نشيد الحنين... نشيد هذي الغبطة؟

آب / ١٨٥٩

رجوع II

كان يوما مؤلما
يوم ودّعتُ فيما مضى
النّهار الذي
كنت من الحزن المتجدّد باطّراد
إليه أعود.
آمال السّفر أُعدمت دفعة واحدة
أيّتها السّاعة التّعيسة... أيّها النّهار المشؤوم!

طويلا بكيتُ
على قبر أبي
ودموع مُرّة
سقطت على الشّاهدة
حزينا ومهجورا
رأيت البيت الأبوي
ذاك ما جعلني أتركه إلى الغابة المعتمة.

في فضائها المستظل
نسيتُ كلّ عذاب

وبأحلام لذيذة
عاد السّلام إلى قلبي.
إشراق الأزهار الصّغيرة
والورد ولهو القبّرات
أضاء نعاسيَ تحت ظلّ الزّان.

في الأقاصي

في الأقاصي
نجوم أعوامي تلمع،
بحزن أتأمّل
سعادتي الغابرة
بفرح كبير، برعشة لذّة
إلى ورائيَ أنظر،
مثيل المسافر على القمم انتصبَ،
وثبّت أنظاره في الأقاصي،
على الضِّياع المُزهِرة
حيث في همس
تمرّ النّسائم العذبة الدّافئة،
وأصاخ السّمع في هلع خفي:
كذا تمتدّ قدّامي عصور
شاسعة وسعيدة وتقتلع فكري،
من التّخوم الكئيبة للفكَر السّالبة،
لتعلو به حتّى السّعادة الأبديّة، سعادة الأقاصي.
أرى العربة النّاريّة مضطربة،
أذكّر القيثارة الذّهبيّة بما باد من النّغمات

فتقترب منّي وتحتويني بضوئها السّحري.
وتذبل، حين أحاول المسك بها،
ويكون عليّ أن أتركها تندثر،
آمالي انعدمت.

١٨٥٩

خريف

ضباب خريفيّ على الأرجاء،
في بخار رماديّ تذوب أطياف القمم،
وتمرّ منزلجة.
عينا محمرّة تغرب الشّمس،
رأسا داكنا على الدّوام معتّما
ينزل في قبره الأجرد.

ضباب خريفيّ على الأرجاء؛
في بخار نديّ من الهلع الليلي
من الحياة متعبة، ترتعد الأغصان.
منتشية بالصّيف، محزونة بالخريف،
تهرب العصافير نحو السّماء.

ضباب خريفيّ على الأرجاء؛
في ضيق تنعق البومة،
شجر الصّنوبر يرتجف، والسّنديان ينوح.
بالليل مغمورة، شاحبة،
صورُ الضّباب ترتعد.
وإلى اللّحد، إلى الخندق.

١٨٦١

«رأسا إلى الوادي
رأسا إلى المرتفع»

في غابة السّنديان
عند منتصف الليل عندما،
يعبر الضّوء الشّاحب للقمر
محتشما في ضحكة الأطياف، يعبر القمم،
عندها، أراك واقفة
وحيدة، أراك على حده.[٢]

صامتة
تُزلج النّسائم خلسة
في حفيف
من الوادي تطلع مختنقة،
وفي همس القصب،
في اللذّة المرعِبَة
مِن المستنقع
تطلع الأرواح صادحة.

اليد متشنّجة
والعين برّاقة

تسحرها الصّخرة المنحدرة.
كأنّ قلبك
تحت الصّخب المتوحّش قابع
حيث الشّاطئ تلطمه الموجة.

فْتات هي الأسوار
أعمدة متكبّرة
تحت ضوء القمر السّاطع،
البرج يرقبه
ضاحكا ملء عينه الفارغة
يسخر منه، يحيّيه، ينحني ويقول:
«رأسا إلى المرتفع
رأسا إلى الوادي،
الشّمس تُقتل والقمر
يهب الحياة، فلم النّظر
شاحبا وداكنا إلى الأعلى؟
خذ المرتفع،
كلّ شيء يجهد نحو الضّياء!»

يتسلّق القمّة، يعلوها
يرصد الهمس الذي يعبر القصب،
يرصد الرّيح تدمدم في الجرود،
يرصد البومة، يلامس جنحها المرتفع.

وتقترب الضّوضاء
نغمة سحريّة، هبوبا، رعشةً كما تَذَبذُبُ القيثار،
هي الآن في حزن أليم تشتكي:
تتنهّد، تنزوي، تماما تغرق.

هذا يأسر قلبه
يصعد، ينحني
يفتح ذراعيه ويحضن العالم،
يغرق، ينزوي، يُعتم،
يمّحي العناق،
يتنهّد ويضيع،
فُتاتا على الأرض يسقط.

فورتا ٣٠/ ١/ ١٨٦٢

أغان

١

كأنّه البحر قلبي شاسع
ووجهك فيه
مُبللاً بالشّمس يبتسم
للأعماق، للوحدة العذبة
حيث في رقّة
تتحطّم الموجة فوق الموجة.

أهو الليل؟
أهو النّهار؟ لا أدري.
لكنّ وجهك المبلّل بالشّمس
كان لي يبتسم
عذبا وفتّانا
وإنّي سعيد مثلما الطّفل.

٢

إنّها الرّيح،
عند منتصف الليل تطرق نافذتي

إنّه المطر النّاعم
ينزل قطرات عذبة فوق سطوحي
إنّه حلم سعادتي
يمرّ على قلبي، ومثلما الرّيح يلفحه
إنّها أنفاس نظرتك
تعبر قلبي كما البلسم من مطر.

٣

في الوحدة ألمح
بروقا ساطعة تخترق
الأزرق المعتم للسّماء الليلية
ألمحها
تفجّر حواجب معقودة داكنة
وسحبا متموّجة.
في الوحدة
يَتَوَهّج فِي البعيد جذع الصّنوبر
حزينا ومفجعا على طريقته.

في عينيكِ الدّامعتين
تمتدّ نظرة في ألم
من كآبة تَبَدّدتْ منك ومنّي في محبّة
من ساعات قد ضاعت
من سعادة هاربة
استعادت ذكرى مشتركة.

٤

في السّاعات الوديعة
غالبا ما أفكّر بما يحزنني
وفي الكثير من الإغراء يرعبني
حين بدون انتظار، بدون أن أعلم
حلم جميل يتمدّد فوقي.

لا أعلم
بما أفكّر هنا وبما أحلم
لا أعلم
كم تبقّى لي من العمر
ومع ذلك
فحين أفتتن بهذه الصّورة
قلبي ينبض برغبة لا مثلها رغبة.

الصّيّادة الصّغيرة

في الصّباح الهادي أحلم
ناظرة إلى السّحب العابرة
يا لعذب الفجر يهزهزه الشّجر.
يتموّج الضّباب ويخفق
على الفجر الورديّ
أوّاه، لا أحد يعلم أنّي حزينة جدّا.

عذبا، يتموّج البحر، ومنتعشا
يمرّ من غير استراحة أو تمهّل،
رعشة مميّزة
تصيبني فأغمض العينين.
الضّباب لا يقدر
أن يرى الفجر الرّماديّ فوقنا
أوّاه، لا أحد قادر أن يفهم
لماذا أنا حزينة جدّا؟

في مرح تهرب أسراب الطّيور
صادحة بفتنة ورشاقة.
كم أرغب أن أطير

إلى حيث قلبي يرغب.
يتكاثف الغيم، يتموّج،
يغطّي الفجر الورديّ
أوّاه، لا أحد يريد أن يختبر
كم أنا حزينة جدّا؟

أرنو وأبكي
لا شراع في الأفق
حزينة جدّا، وحيدة جدّا،
قلبي من الأسى يتحطّم.
تتموّج الغمامة تخفق،
فوق الفجر الورديّ
وحدي في العالم أعرف
لماذا أنا حزينة جدّا.

١٨٦٢

أنت ناديت: مولاي، إنّي قادم

ناديتَ:
مولاي، إنّي قادمٌ
وعلى الدّرجات إلى ملكك أمثلُ
بالحبّ محترقة
نظرتك الحنونة جدّا
والحزينة جدّا
تشعّ حتّى أعماق قلبي، مولاي، إنّي قادم.

خسرتُ،
ثملا من شدّة التيه
منهارا
نزيل جهنّم والألم.
كنتَ في المسافة تقف:
نظرتك المؤثّرة بصورة لا توصف
غالبا ما أثّرت فيَّ! الآن في كامل السّعادة أُقبل

برعشة أشعر،
تجاه الهوّة الليلية للخطيئه،

في النّظر إلى الوراء لا أرغب.
على فراقك لا أقدر
طوال الليالي أرتعد،
بحزن
أرفع العينين نحوك وعليّ أن أستقبلك.

عذب جدّا أنت،
مخلص وحميم،
في عمق الرّوح
يا صورة أثيرة للمخلّص!
سكّن رغبتي،
وليستغرق تأمّلي وفكري حبّك
وليتعلّقا بك.

١٨٦٢

أوّل شعور ألـمَّ بالإنسان كان شعوره بوجوده، وأوّل انهمام له كان انهمامه بحفظ بقائه؛ وكانت منتجات الأرض توفّر له كل المعونات الضروريّة، والغريزة تدفعه إلى الإفادة منها. وإذْ الجوع واشتهاءات أخرى جعلته، المرّة تلو المرّة، يمتحن من الوجود شتى طرقه من بينها واحدة تدفعه إلى استدامة نوعه، وهذا الميل الأعمى كان فيه مجرّداً من أيّ شعور وجداني، فلم ينتج إلاّ عملاً حيوانيّاً صرفاً، فَلَمَّا انقضت اللبانة عاد الجنسان لا يتعارفان؛ وحتّى المولود عاد لا يعني شيئاً في عين أمه حالما أمكنه الاستغناء عنها.

ذلك شرط الإنسان لمّا كان ناشئاً، وتلك حياة حيوان لمّا كان، بادئ بدء، حبيس الإحساسات المحضة، حيوان لا يكاد يستفيد من الهبات التي كانت الطبيعة تعرضها عليه، فما كان ليخطر على باله أن ينتزع منها شيئاً. ولكن المصاعب لم تعتّم أن بدت، فلزم أن يتعلّم التغلّب عليها: من ذلك أن علوّ الأشجار الذي يعوقه من الوصول إلى الثمار، ومنافسة الحيوانات التي تسعى لتقتات بها، وضراوة الوحوش التي تهدّد حياته، كلّ هذا ألزمه بأن يعمل على ممارسة رياضة الجسد فكان عليه أن يصير خفيف الحركة، سريعاً في العدْو، شديد البأس في القتال. ولم يلبث أن أصبحت الأسلحة الطبيعيّة من أعواد أشجار وحجارة بين يديه. وعرف كيف يتغلّب على عقبات الطبيعة، وكيف يقاتل الحيوانات الأخرى إذا اضطرّه الأمر، وكيف ينازع الآخرين من أمثاله القوتَ والغذاء، أو يستعيض عمّا يجب أن يتنازل عنه للأقوى.

وكان الجنس البشريّ كلّما ازداد انتشاراً، ازدادت المتاعب مع

= نذكّر بأن روسو كان من قراء الفلاسفة الاقتصاديين، وكانت ربطته علاقة صداقة بدايفد هيوم، وبأنه مؤلف مقالة «الاقتصاد السياسي» في **الأنسيكلوبيديا**.

تزايد البشر، فاختلاف الأرضين والمناخات والفصول اضطرهم إلى تبديل طريقة عيشهم؛ وربّ سنين مجدبة وفصول شتاء طويلة قاسية وفصول صيف محرقة أتت على الأخضر واليابس، فألجأتهم إلى التماس ضرب من العمل جديد، فعلى شواطئ البحر والأنهار اخترعوا الشِص والصنّارة وأصبحوا صيّادين وأكلةَ أسماك. وفي الغابات صنعوا لأنفسهم أقواساً ونبالاً وأصبحوا قنّاصين وصيّادين ومحاربين. وفي الأقاليم الباردة غطّوا أجسامهم بجلود الوحوش التي كانوا يقتلونها. والرعد أو أحد البراكين أو إحدى المصادفات الموفّقة كشفت لهم عن النار، ذلك المدد الجديد لمجابهة قرسَ الشتاء: وهكذا تعلموا كيف يحتفظون بهذا العنصر وكيف يعيدون إنتاجه ثمّ كيف يطهون به ما كانوا يلتهمونه قبل ذلك نيّئاً من اللحوم.

إن هذا المسعى الدائب الذي لشتى الحيوانات إلى الإنسان، كما مسعاها إلى بعضها بعض، قد ولّد بالطبع في روح الإنسان إدراكاً لعلاقات معينة. وهذه العلاقات التي نعبّر عنها بكلمات الكبير والصغير، القويّ والضعيف، السريع والبطيء، الخائف والجريء، وبغيرها من الأفكار المماثلة، أوجدت لديه، من تلقاء نفسها، نوعاً من التفكير، أو بالأحرى احتراساً آليّا كان يهديه إلى أكثر الاحتياطات لزوماً لسلامته.

أما الأنوار الجديدة التي استحصلها الإنسان من هذا النموّ، فزادت في تفوّقه على سائر الحيوانات إذ كشفت له عن هذا التفوّق. وتمرّن على نصب الفخاخ للحيوانات، وخادعها بألف طريقة؛ وعلى الرغم من أنّ كثيراً ممّا قد ينفعه أو يضرّ به من الحيوانات كان يفوقه قوّةً في القتال أو سرعةً في العدْو، فإنّه صار، على مرّ الزمن، سيداً على البعض منها وآفة على البعض الآخر. وهكذا، بعثت في الإنسان أوّلُ نظرة ألقاها على نفسه أوّلَ حركة من حركات الكبرياء؛ وهكذا أيضاً فإن الإنسان، في حين أنه لا يكاد يميّز بعدُ بين مراتب

يأس

في البعيد،
النّواقيس تئنّ في ضوضاء قاتمة
لا أعلم ما العمل:
سعادتي ماتت وقلبي يُثقل.[٣]

في صمت الطّيف تهرب السّاعات،
غوغاء العالم في الأقاصي ترنّ، وكذا خواره.

لا أعلم ما العمل:
قلبي يُثقلِ وسعادتي ماتت.

الليل،
داكن جدّا
مفزع جدّا
إنّه الضّوء الشّاحب الجيفيّ للقمر.
لا أعلم ما العمل:
تهيج العاصفة، لا أسمعها.

بلا توقّف أو راحة،
صامتا إلى الشّاطئ أمشي
نحو الموج، نحو القبر،
قلبي يثقل وسعادتي ماتت.

١٨٦٢

وداع أوّل

حزينة
تتقدّم الأنجم نحو السّماء العارية
والرّيح تسأل مستغيثة
لماذا أنا هادئة.

والنّافذة
تصبّ ضوء القمر المكتمل
فَيَا أشعّة أثيرة هدّئي قلبي
وخفّفي من عذاباته!

لا أدري
إن كان عليّ أن أضحك
أو أمزح أو أبكي هنا
عيناي مفعمتان بالألم
وأيضا بسخرية قارسة.

ويداي
تمرّان هنا
وهناك في اضطراب وأفكاري

مثلما البحر
تشعّ حتّى اللانهائي

في اقتضاب
حوالي منتصف الليل
تدقّ سمعي الأجراس
وهذا معناه عندي: أنّ قبرا حُفر.

دُفنت سنه
العام الجديد بان مقدمُه
لقد دفنوا قلبي
ولا أحد عنّي سأل.

١٨٦٢

....

الأحلام الباسمة اندثرت
الماضي اختفى،
الحاضر كئيب
والقادم غامض وبعيد.

أبدا ما شعرتُ
بالسّعادة ولا برغيد الحياة.
نحو أزمنة غابرة
في قنوط أستدير.

أجهل ما أحبّ
لا سلم لي أو راحة؛
أجهل ما به أؤمنُ:
لم الحياة أواصلها، ما النّفع من ذلك؟

أريد أن أموت،
أن أموت وأن أنام على البراح الأخضر؛
من فوقي تمرّ السّحب،
وحواليّ وحدة الغابة.

عجلات الكون الخالدة
تواصل سيرها الدّائري؛
النّابض الصّادئ للكوكب الأرضي
بذاته تقوّى، ثانية دون انقطاع.

انشغال جميل
أن تدور كما الهواء حول الكوكب الذي
بلا جدوى يدور،
أن تنسحب إلى كلّ الزّوايا الخفيّة
وأن تذوب في الكون المحلّق!

متعة جميلة
أن تحضن العالم في اندفاعه الكوني
ثمّ تكتب في المجلّه
عن نِسَب الكوسموس.

في قاع بطني
بجهد جهيد
قلّصتُ اللانهائيّ ثمّ،
أقمتُ الدّليل على انتهاء العالم والزّمان.

ليس المرء بالصّورة النّبيلة عن الألوهيّة.

أنا ذاتي

مع الأيّام بتّ أكثر التباسا
. . .

على غرار طبيعتي الفطريّة
أتخيّل الله أيضا.

رنين جرس مختنق
أفاقني من حلمي الثّقيل.

تمّوز ١٨٦٢

رجوع إلى الوطن

I

ها أنّني عدتُ
متعبا كمسافر
له مسقط الرّأس يغنّي
في عذوبة نشيده اللّيلي.

أيّها القلب!
يا من بقيت أبدا ذاتك
يا ورقة مضطربة
أهمل ذاتك
وأجدْ لك ملاذا، هنا.

أيّتها اليد
يا غصن كرْم برّي
التفّي حول الموطن
معبد السّلم الهادئة.

أيّتها العينان!
أيّتها المتعذّر سبرهما!
يا طفلين لغزين أنظرا

هذا الغموض المحيط بالكلّ هنا.

أيّها القلب!
أيّتها اليد!
أيّتها العينان!
تحت نقاب نور الغروب المذهّب،
في أريج الصّنوبر اِبقي ثابتة.

ها أنتي عدتُ
طفلا ضليلا وهبه الموطن العذب... لحدا وسكينة.

II

لا أعلم
إن كانت ساعة غبطتي قد ذبلت
كما الحلم
تنشد الذّكريات أغانيها الغريبة.

لا أعلم
إن كانت ساعة ألمي قد عبرت
عن بُعدٍ تلامسني
في حنان عميق ريحها مبتسمة.

لا أعلم
إن كانت حياتي أغلقت ثانية أكمامها
كي يسحب الليل المعتّم الجناحين عليها.

تحت البقايا والأنقاض
وعلى مرأى من القمر
أطبقت بنظرتها الحادّة
على غبطتي في الحياة.

أيّتها الشّمس
أيّتها الاضطرامات العذبة اختزلي
في رماد وغبار
كمالَ السّعادة والشّرور.

لا أعلم
إن كنتُ بعدُ ذبلتُ
إن كانت ريح الموت
ونظرته العمياء
لم تلفحاني في خفاء.

III

أيّتها السّحب في الأقاصي
يا أشرعة بيضاء في المساء المبرق
كم تتكبّرين وتصعدين، تحت المدّ العاصف!

نظرتي ظلّت ثابتة مأخوذة
بصورتكِ البارزة لعينيّ نبعا فتيّا أبدا.

أيها الثّدي الرّائع
من الدّمع والبرق أرضعني

أنا ابنك، أنا اليائس الأبدي.

بطيّاتك معلّقا
قلقا تعرّفتُ
في دمعة واحدة على قلبك.

إن لهوتُ
جريئا في نار العالم
فإنّي أرتعش
حين نظرتك
ممتلئة غضبا تهوي علَي.

أيّتها السّحب في الأقاصي
أيّتها الأشرعة
ادفعي
بالمركب الخفيف المسافر
إلى مدارك المضاء بالنّجوم.

IV

واقفا على الأرض المشجّرة
في المساء ومتعبا بالطّريق
هناك حيث يزهر القرنفل الأحمر... والوردة.

كئيبا ومنزويا
ومحاطا بالغاب،

رؤيا متوحّشة وعالية
تمرّ قدّاميَ منزلقة.

دقّات أجراس
عذبة تصعد الوادي
أهُو الخوري
في حزن يسحب الحبل كي يرنّ الجرس؟

أتراه ينظر في حنين
إلى المسافر المتعب
الذي عند الغروب يحمرّ كما قدّيس؟

لساعات
جلستُ على الصّخرة
لساعات
حاولت أن أسمع في ذاكرتي
رنينا عنيفا كما الجرس.

ألنا الخوريّ أم المسافر؟
أبدا ما استطعت أن أعرف.
على القمم يمرّ القمر ذابلاً ومنزلقا.

V

يا ليل الكوكب
أيّتها السّحب

أيّتها الأرض المتوحّدة
يا موضع الإيثار في قلبي... آه كم أنتِ بعيدة!.

لا أحد يريد أن يتبعني
هكذا وحيدا أرحل
سعادة وشقاء يتشتّتان، صامتين في دَرَج القلب.

السّنوات،
النّجوم والسّاعات
تحدقني مبتسمة
عليّ في بطء تمرّ، أنا العبد البسيط.

نجوم رؤوفة أيضا
مجراها وضّاءٌ، قريبا يُظلم
نظراتها المشعّة بحبّها تشهد.

أيّتها الذّكرى
أيّتها العذبة جدّا
يا نبع الرّؤى الخالدة!
يا موطني الأوحد!.. تدفّق باردا ووضّاء.

مَجارٍ من الأعماق طالعة
كنوز إلى الأرض تهرب
تيجان كثيرة مهشّمة... قلوب عديدة طارت شظايا.

وداع ثان

تُلمّع الشّمس حقول الثّلج
تصعد الدّموع عينيّ... مُحلّقه.

الغاب والدّغل بلا زهر ولا ورقٍ
نسائم تقبل من الجنوب هامسة... مُحلّقة.

براعم في الصّباح تفتّحت
بكت في النّهار وفي الليل ماتت... مُحلّقة.

يا ضوء الشّمس!
يا ريح الجنوب
لم تخدعان الطّفل البرئ... المُحلّق.

في صمت يهزّ الصّنوبر ذروته
قلبي كأنّ الثلج قد ذُرّ عليه... فحَلّق.

يُغنّي الصّنوبر إنشاده المأتميّ
ماتت الشّمس، والرّيح سارت... مُحلّقة

ذكرى

شفتاه ترتعشان وعيناه ضاحكتان،
ومع ذلك، محمّلا بالعتاب يطلع
هذا الرّسم المقبل من الأعماق، من قاع ليل القلب
إنّه النّجم العذب على باب سمائي.
إنّه يلمع، ينتصر - وشفتاه تنغلقان
بدقّة - ودمعة تنهمر.

ضائعة

في عين الرّوح النّبيل
العالم أضيق ما يكون،
بأجنحة الحبور
عاليا فوق خواء الحياة
يحلّق ثمّ يلوذ،
إلى أعالٍ سعيدة جمالها أروع،
حيث الكواكب حذوه تدور حول الشّمس،
ويرى المطلق يحكم الكون،
المطلق الخارق للحجب.
غير أنّ شعورا
يعطّل اندفاع القلب المتهوّر والوحشي،
ويحمي له من الموت أزهارا، وحبّا وغبطة يملؤه
إنّه الشّعور السّامي بحبّ مسقط الرّأس.
يا لسعادة مَن وسطَ عواصف هذي الحياة
عرف بَيت قراره
حيث ذكرى ذهبيّة تغمره،
وسعادة أيّار، بحنان له تبتسم.
هنا، يسود السّلام، هنا تقيم الغبطة

وكلّ الصّدور، بقربها الطّاهر للربّ تشعر.
هنا، محمّلا بالألم يمرّ حلم الشّباب،
على القلب يثقل ثانية.
مرّة أخرى
يتفتّح أيّار الحياة المزهر
مع نداء العنادل
وفرح القبّرة والأمل المخضرّ ثانية.
وهذه الأرض حيث ولدتَ وحيث
وفيرا تذوّقتَ عيشا لذيذا
هذه الأرض... أنتَ ضيّعتها.

من هذا النّاح - من الآخر

من هذا النّاح، من الآخر،
تحلّق شعلة النّظرات اللامعة؛
داكنة، باطّراد، داكنة
قبّة سمائي تصير، من الحزن ثملة؛
اه، أفضّل
أن تتحطّم قاعدة هذا القلب المرتعد
من هذا النّاح، من الآخر،
البروق ترتعش - لكنّ الفم يصمت.
أيّها المُجَمِّع للسّحب، يا مُطردَ القلوب
اجعلنا ناضجين.

مغفور له، منسي

غفرتُ لكْ،
ولي، ونسيتُ
واحسرتاه!
نسيتَ ذاتك
ونسيتني، وغفرتَ.

إلى الإله المجهول

مرّة أخيرة
قبل أن أرحل،
أن أدير عينيّ إلى القادم
في وحدتي،
أرفع اليدين نحوك
نحو من أبحث عنده عن ملاذ،
أنتَ يا مَن أقمتُ له الهياكل الفخمة
في أعماق قلبي.
فليناديني صوتك في كلّ الأوقات!
منحوتة، هذه الكلمات تبرق: للإله المجهول.
إليه أنتمي
حتّى وإن بقيتُ إلى هذه السّاعة
محاطا بالأشرار:
أنا له - حتّى لو أحسستُ بالرّوابط التي تسحبني
في المعركة إلى هذه الدّنيا، وتجبرني على خدمته،
أنا الرّاغب هجرانه.
أيّها المجهول، أريد أن أعرفك
أنتَ يا من تدخل عمق روحي،

أنتَ يا من تعبر قلبي مثلما عاصفة
أنتَ يا من يتعذّر الإمساك به، يا أيّها القريب!
أريد أن أعرفك، أريد أن أخدمك.

خريف ١٨٦٤

إلى الحزن

يا حزنيَ لا تحقد علَي
إذا كلّفتُ ريشتي الاحتفال بمجدك
عوض البقاء، وجبهتي على ركبَتي،
شبيه ناسك يجلس فوق جذع الشجرة.
مرارا، وأمسِ أيضا، على تلك الحال رأيتَني،
عند شعاع صباحيّ لشمس لاهبة:
في الواديّ، رغبة العقاب، تصرخ حالمة
بلحم منشب على ميّت تقي.

أيّها الطّير العنيف! قد انخدعت برؤيتي
متحجّرا على جذع شجرتي كما المومياء!
لكنّك ما رأيتَ عيني من اللذّة لامعة،
بذاتها معتزّة، تترصّد من كلّ ناحٍ، متكبّرة.
وإذا هي ما انسابت إلى السّماء حيثُ أنت تحلّق،
إذا كانت شبه ميّتة في أقاصي السّحاب،
فَلِكَي تقدر، في انهماكها الدّائم، وبأكثر من بريق
أن تضيء هوّة الوجود في داخلها.

مرارا، في الوفرة العميقة، رأيتك خائر القوى

قبيحا، كما المتوحّش إلى القربان يُهدَى،
كذا فكرتي عنك أيّها الحزن، كذا اقتناعي بك
نادما كنتُ، على صغري، ومبتهجا
لتحليق هذا العُقاب، لانهيار الصّخور المرعد؛
عاجزا عن خِدِع الإنسان، صادقا كان كلامك،
لكنّ الهيئة رهيبة صارمة.

يا أنتِ، يا ربّة الصّخور البريّة، أيّتها القاسية،
لأنّك تريدين الظّهور إلى جانبي، أيّتها الصّاحبة!
كشفتِ لي عن خطر العقاب المحلّق
والمنحدر الصّخريّ الرّاغب إفنائي.
حواليّ رغبة القتل تصرّ على أسنانها:
رغبة شديدة الوطأة معذّبة لقهر الحياة!
معلّقةً فتّانة على الصّخور المنتصبة
تأملُ الزّهرة أن يصلَ الفراش.

أنا كلّ هذا - رعشة به أنبأتني -
الفراش المفتون، والزّهرة المتوحّدة،
والعُقاب، والسّيول المثقلة بالجليد،
والعاصفة الغاضبة - أنا لكلّ مجدٍ،
أيّتها الربّة المعتّمة، يا من قدّامها منهمكًا أجلس
والرّأس فوق الرّكبتين، ونشيد مَجد محزن على الشّفتين،
بلا كلل، مهموما بمجدك الفريد،
أتحسّر متعطّشا: الحياة، الحياة، الحياة.

لا تحقدي عليّ، أيّتها الربّة القاسية
إذا جدلتُ لكِ من القريض إكليلا ناعما.
فإنّه يرتعد من يلمس سحنتك البشعة
ويرتجف من يبلغ يمينَكِ المُرعب.
إنّني أرتعش ملجلجا هذه الأغنيات تباعا،
وإنّ ارتعاشاتي تفجّر صورا إيقاعية:
الحبر يسيل، والقلم الحادّ بومضة يرمي -
أمّا الآن أيّتها الربّة - فلا تحتجزيني أكثر!

غرِمّلوالد / صيف ١٨٧١

بعد ليلة عاصفة

اليوم، بأبخرة الضّباب تحجبين هذه النّافذه،
أيّتها الربّة القاتمة!
اليوم، محزنة تطفو النّدائف،
والجدول الكظّ بصوتها يمتزج.

واحسرتاه! في وميض متعجّل،
في القرقعة الجموحة للصّاعقة،
في ضباب الحقول، رميتِ أيّتها السّاحرة
بشراب المحبّة النديّ إلى الموت!

عند منتصف الليل، بالهلع ممتلئا
سمعتُ صوتك يصرخ بالرّغبة والألم،
رأيتُ عينك تلمع، رأيتُ يمناك مسلّحة
بالصّاعقات حتّى القاطع المختلج.

وهكذا جئتِ بيتي المهجور
تحت قصف الدّروع والأسلحة
بالسّلاسل الثّقيلة تلطمين البلاط،
وتقولين لي: «اعلم إذن من أكون!»

«أنا مازون العظيمة الخالدة،
أبدا ما كنتُ امرأة، ولا يمامة، ولا عذبة،
إلى حدّ الكره محاربة، إلى حدّ الاحتقار الرّجوليّ نَمِرَه
وفي الوقت ذاته منتصرة!

قدماي، أنّى ذهبتا، على الجثث سارتا
غضب عينيّ يرسل نيرانا،
أحلم بالسّموم - هيّا! على ركبتيك! صلّ!
أو انطفئ، أيّها الوهج المستنقَعيُّ!... أيّتها الحشرة!»

سنوات النّضج

أمثـــال

على باب بيتي

أقيم في بيتي
أبدا، بأحد ما اقتديتُ
ولقد سخرتُ، فوق ذلك، من كلّ معلّم
ما سخرَ من ذاته أوّلا.

حذار: سمّ!

من رأى ذاته الآن عاجزا عن الضّحك، فليمسك عن الكتابة
فإنّه إذا لم يضحك، أمسك به «الشّيطان».

في الجنّة

«الخير والشرّ انحياز الإله»
يقول الثّعبان ويُسرع هاربا.

قديما، في العام الواحد للخلاص

قديما – في العام الواحد للخلاص،
أتخيّل العرّافة، بلا خمر سكرانة، تصرخ:
«يا للكارثة، كلّ شيء يخطل
سقوط! سقوط! أبدا إلى هذا الحدّ ما سقط العالم!

روما هوت إلى عداد العاهرة والمُمالِقة
القيصر الرّومانيّ صار دابّة في القطيع
والله ذاته – صار يهوديا!»

عند رؤية مِبذل

قديما،
برغم إهماله للباسه المبتذل،
أدرك الألمانيّ سنّ الرّشد،
واحسرتاه! كثيرا تغيّر!
من داخل بدلاته الصّارمة
أوكل إلى خيّاطه
إلى «بسماركه» – العناية بروحه!

أناشيدُ وأمثال

الإيقاع بدءا، وفي النّهاية القافية
وللرّوح الموسيقى، دائما
مثل هذا التّغريد الربّاني،
يُدعى نشيداً، وبأكثر إيجاز قيل،
النّشيد يعني «كلاما للموسيقى»
حكمة على صعيد آخر:
قادرة على السّخرية، على الهذيان، على التوثّب،
أبدا ما تعلّمتِ الغناءَ حكمةٌ
الحكمة تعني: «المعنى محروما من الغناء».

هل أتجرّأ على إعطائكم من الإثنتين؟

إلى كلّ المبدعين

متلازمين
لنكن من هذا العالم!
المذكّر الأبديّ
يحفظنا.

أذيّة شمسيّة

في الهواء النّقي،
حين النّدى، بعدُ قد صَبّ، خفيّا وصامتا
مواساته على الأرض – إذ النّدى
يحمل، مثل كلّ المواسين، حذاء رهيفا،
أتذْكر آنذاك، أَتذْكر
كم كنتَ ظامئا، وكم قاحلا ومتعبا،
كان ظمؤك يذوي
كم قطرات سماويّة سُكبت له؛
منتظرة عبر الأشجار السّوداء،
أشعّة الشّمس الغسقيّة تركض صامتة
حواليك، على مسارب العشب النّاعم،
أقباس شمسيّة معميّة تحطّ عليك أنظارها
لكنّ الشّمس، خرساء، تسائل:

أيّ قناع ممزّق تحمل أيّها المجنون؟
أهو قناع إله؟ وعن أيّ وجه نزعته؟
ألا يخجلك، بين الرّجال، أنّ فطنتك الحسُودة
تنفر من أثر الإله؟
ولمرّات عديدة!

عاشق للحقيقة؟ كذا تحسّرتُ
لا! مجرّد شاعر!
ظامئ للأقنعة، عن ذاته يتخفّى،
قناع ذاته الممزّق! حامل الأقنعة الإلهية!

في الهواء النّقي
حين منجل القمر الأخضر والحسود،
خجولا، وسط الأحمر يندسّ حاصدا
في كلّ خطوة، وبأكثر ودّ
من الورود أسرّة،
إلى أن تغزق
وتأفُل في ذبول الليل إذ يمّحي،
حينها يحمرّ أكثر.

هو الآن أكثر حمرة
مِن سوء فعلته خجولا.

*

إنّ الصّحراء تنمو: ويل لمن أصبح الصّحراء!
الصّحراء، جوع يقضم بعد الموت.

كأنّ العين والنّخل هنا يبنيان أعشاشهما
الصّحراء بأسنانها التّنّينية تمضغ وتجترّ
إذ الرّمل تَقاطُعُ أسنانها،
هذا التّنكيل النّهِمُ
يضع الآن، على شكل فكّين، حجارة فوق أخرى
هنا أبديّا تُسحق
فكوك أبدا ما تعبت
جوع نهِمٌ، سنّا على سنّ هنا يطحن الصّحراء
ذات الأسنان التّنّينية
جمع أسنان هو الرّمل، قمح فكّي التّنّين الذي
يسحق ويسحق - وينسحق، وأبدا لا يُرهَق
الرّمل أمّ تأكل طفلها،
خنجر مجنّح في الإهاب قد رُشق.

شجرة في الخريف

لمَ دفعتِ بي أيّتها الغلظة الثّقيلة
في ضلالي السّعيد:
أبدا ما شوّقني هلع بهذا العنف
إنّ حلمي، حلمي الذّهبيّ هرب!

دينصور له خرطوم فيل
أليس علينا أوّلا أن ندقّ بأدب: تك، تك؟
من هلع رميتُ
بسلّة الثّمار النّاضجة، على رأسك.

*

في الأقاصي ينشر الرّعد على الغاب دويّه،
قطرات ينزل المطر:
ثرثارة منذ الفجر تلك المتحذلقة، لا شيء يُسكتها.
ماكرا يلمحني النّهار، يطفئ مصباحي
أيّها الليل ما أطيبك!
أيّتها الوحدة! أيّها الكتاب! أيّتها المدواة!
منذ الآن، كلّ شيء صار عندي رماديّا ومُرهِقا.

*

الآن، والنّهار قد سئم النّهار
وتعزية جديدة تجعل الجداول تهمس بالشّهوات،
الآن، وكلّ السّماوات مبسوطة كما بيوت العنكبوت المذهّبة،
تعيد على المتعبين «ارتاحوا الآن»
فيا أيّها القلب المعتّم! لمَ الآن لا ترتاح؟
ما الذي على الهروب يحضّك؟ رجلاك ميّتتان!
ما الذي تأمله؟

أيّها القانط! أتعلم
كم من الشّجاعة تهب الذين صوبك ينظرون؟
أوّاه كم تشتكي! إلى أين أهرب؟
واحسرتاه! من هؤلاء الذين ترعاهم؟
مازالوا سجناء، أولئك الذين إلى الرّعي تسحبهم.
وأيّ أمان أفضل من السّجن للمتقلّبين؟
يا له من نعاس ممتع ذاك الذي
تنعم به الأرواح المجرمة، إذا ما سُجنت.

الآن وقد تمخّضت الفأرة عن جبل

بأيّ معنى أنت مبدع؟

اه دفّئوني! أحبّوني
مدّوا لي أياد مدفّئة
بردي جليديّ فلا ترتعشوا!
لزمن طويل، شبحا كنتُ على المجلدات.

مرتجّا هنا وهناك، مجروفا بإعصار
وقعت على المرايا
أنا، غبار على كلّ السّطوح.

مستشيط غضبا، وفيٌّ
إلى حدّ أنّه يشبه الكلب.

هزيل، كهفي، ممتلئ بالهبوب السامّة وخفقان الأجنحة الليلية،
محاط بالأناشيد والأحزان، وحيد.

يا أنتم! يا قطّاع الطّرق الكبرى! منذ الآن،
بين أيديكم ها آنذا،
فماذا تطلبون كفدية؟
اطلبوا أكثر - ذاك ما ينصحكم به كبريائي،
وكونوا موجِزين - ذاك ما ينصح به كبريائي الآخر.

ثابتا، متمدّدا أرقدُ

كمحتضر يدفّئون له الرّجلين
الصّراصير تخافني.

تخافينني، ألا تخافين القوس الموتّر؟
حاذري، قد يضع فيه أحدهم سهما.

*

ها أنّني منذ الآن أُعطيتُ الأشياء كلّها
نسرُ أملي اكتشف
يونانا صافيا وجديدا
خلاص السّمع وباقي الحواس.

راحلا عن التّنافر الألمانيّ المختنق
لموزارت وروسّيني وشوبان
أرى قاربك، يا أُورفيو الألماني،
يحوّل وجهته إلى شواطئ اليونان.

آه، لا تتردّد في توجيه رغبتك نحو أراضي الجنوب،
إلى جزر السّعداء، ومرح الحوريّات اليونانيّات
أبدا ما كان لقارب من هدف أجمل.

ها أنّني منذ الآن أعطيتُ الأشياء كلّها
كلّ ما اكتشفه لي نسري
رغم الآمال التي بعدُ قد كُدِّرت.
سهاما أنغامك تعبرني
هي خلاص السّمع وباقي الحواسّ التي،

بهالة تحيطني، كما ندى من السّماء يسقط.

الأصوات التي بهالة من نداها تحيطني.

هيّوا، ليرس أجمل القوارب، قارب الحوريات،
على ضفاف اليونان.

آرتر شوبنهور

ما علّمهُ تهدّم
ما عاشه لا يمكن إلغاؤه
خذوا عنه المثال!
لمعلّم أبدا ماخضع!

إنّه الحبّ الذي يأمرني بصحبته
الحبّ المشتهى بحرارة!

خِرفان

أنظروا النّسر! من شدّة الاشتهاء تصلّب
يثبّت النّظر في الهوّة،
هوّته التي حينها تتجوّف
في دوائر تزداد عمقا باطّراد!
فجأة طيرانهُ يتجمّد،
في خطّ مستقيم،
على فريسته ينصبّ.
أتعتقدون حقّا بأنّ الجوع هو السّبب؟
وأنّها كآبة الأمعاء؟

وأنّ الحبّ ليس السّبب؟
ما الخروف بالنّسبة إلى النّسر!
إنّه يكره الخرفان
أنا أنصبّ أيضا
هنا في الأسفل، ممتلئا بالاشتهاء،
على هذه القطعان من الخرفان
أمزّقها، أسيل دماءها،
احتقر هذه الكائنات الوديعة
أغتاظ من هذه الغباوة للخرفان.(٤)

عندما نحبّ الأشرار

أتخافونني؟
أتخافون القوس المطوّق؟
حذار، قد يضع أحدهم فيه سهما!

واحسرتاه، أيّها الأصحاب!
أين لنا بمن نراه طيّبا،
أين لنا بكلّ «الطيّبين»!
وأين لنا، إذن، ببراءة كلّ هذه الأكاذيب التي،
رأت في الإنسان إلهًا كما رأت فيه كبشا.

الشّاعر الذي يتقن الكذب
عن وعي ومعرفة،
وحده القادر على قول الحقيقة.

«شرّير هو الإنسان»
هذا يتكلّم حتّى أعظم النّاس حكمة
لتعزيتي.

وسامٌ وأسوياء كما الخطيئة
أشباه دوابّ متوحّشة ذات جلود مرقّطة.

الذي في الغاب كما النّمور وقطّاع الطّرق،
هذا يكون في بيته،
ومن النّوافذ يثب.

الذي يجمّد، ويُسكت، ويُصقّع، ويَصقُل،
ويتحوّل إلى نصب وسارية،
وأمام المعابد نرفعه،
ونهديه في شكل عُروض
«الفضيلة؟»

*

عاشق الحقيقة؟ هل رأيته؟
متجمّدا، صامتا، باردا، مصقولا،
مصبحا نصبا وسارية
مرفوعا أمام المعابد - قُل
أهذا ما أثار حسدك؟
لا، بل أنت تبحث عن أقنعة
وجلود لونها قوس قزح
عن حيويّة مُفرطة للقطّ المتوحّش من النّوافذ يثبُ

إلى دغل كلّ الصّدف!
لا، غابة عذراء هذا ما تحتاجه،
كي تلعق عسلَك،
وسيما وسويّا كما الخطيئة
مثيل النّمر ذي الجلد المرقّط.

الذين من العالم قد تعبوا

عصورٌ أكثر تعقّلا، عصور فكرها جليّ
أكثر ممّا هو راهننا وأمسنا

محرومين من النّساء، سيّئيّ التّغذية
مستغرقين في تأمّل سرورهمُ
أبطال القذارة
مناتين!
هكذا ابتدعوا لأنفسهم متعة الآلهة.

تحت سماء غائمة
عندما نرشق بسهام الموت وأفكاره أعداءنا
عندئذ، يغتابون السّعداء.

يحبّون واحسرتاه! لكنّ أحدا لا يحبّهمُ
يمزّقون أنفسهم بأنفسهم،
لأنّ أحدا لا يرغب في احتضانهم.

أيّها القانطون!
كم من الشّجاعة للذين إليكم ينظرون!

نسوا أكل اللحوم
وملاطفة زوجاتهمُ العِذاب
إنّهم يفرطون في الكدر.

أيّ أمان للمتقلّبين
أفضل من السّجن ذاته!
بأيّ نعاس هادئ
تنعمُ أرواح المجرمين السّجناء!
لا يعذّب الوعي غيرَ ذوي الضّمائر الحيّة!

أبعدُ من الوقت

هذا العصر يشبه عجوزا مريضة
فاتركوها تصرخ، تكيل الشّتائم، تهيج
وتحطّم الطّاولة والأواني.

مرتجّين هنا وهناك، يهزّكم إعصار
على السّطوح ها أنّكم وقعتم،
على كلّ المرايا عديمة الجدوى بعدُ قد نمتم
أغبرة.

عندهم
تقديم العلل يُفيق شكوكهم،
ولكن، بحركات سامية نحوز اعتقادهم.

تأخّروا! إنّكم تتبعونني عن قرب!
تأخّروا! كي لا تطحن حقيقتي رؤوسكم حين تمشي فوقكم!

قابلين للتوتّر مثلما أُممٌ هرمت
على مستوى الأدمغة وأعضاء الحشمة.

خارجا عن طوره، كما الكلب، من شدّة الوفاء.

صوت
عند منتصف الليل يصعد،
إنّه من الصّحراء يأتي.

تقريظ الشّقاء

إلى بؤساء الثّراء
إلى الذين لأفكارهم صليل الجليد
أتلو هذا النّشيد.

*

أيّها العصر السّعيد المُزهر،
الآن لأجلي
أيّها الموسم الباذخ والكبير
من الشمال إلى الجنوب،
أيّها النّزلاء الإلهيّون،
أيّها الغرباء، أيّها المجهولون، أيّها الذين لا سماء لهم،
أنتم أيّها النّزلاء الملكيّون والإلهيّون،
من الأعلى تنصبّ عليّ بشارتكم
شبيهة بالعطور،
شبيهة بالرّياح المليئة بالحدوس،
من الشّمال إلى الجنوب

يثب قلبي حيث الحفل يزدهر.

وجب على الحبيس ألاّ يظلّ وحيدا.

الوقت حان،
أيّها الموسم الباذخ والجميل، أيّها الكبير،
حين، مع منتصف السّنة، ضيوفي يقبلون
أكون مثل العاشق
الذي عدَّ السّاعات رغبتهُ،
الذي يرصد، واقفا، ويرنو، محزونا ومبتهجا،
وعندما يختنق بالغرفة الضيّقة
يرتمي في الزّقاق المُعتم للصّدفة،
عندما الرّيح تطرق نافذة الليل ماكرة
وتفيق نُوّام غصونه المُزهِرة.

الشّاعر - عذاب المبدع

آه يا قطّاع الطّرق! ها أنا تحت قبضتكم
تُريدونَ ماذا؟ فدية!
اشترطوا أكثر - هذا ما ينصحكم به كبريائي -
وأوجزوا: هذا ما ينصحكم به كبريائي الآخر
أُحبّ إعطاء النّصائح: بيسر هذا يتعبني.

إلى أين أهرب؟

ثابتا، متمدّدا أرقد
كمحتضر يدفّئون له الرّجلين،

الصّراصير تهاب صمتي
أنتظر

أبارك الأشياء كلّها
الأغصان، والعشب، والسّعادة، والنّعمة الدنيّة والمطر.

❊

هي الأشياء قد صُنعت
لأقدام الرّاقص مذبّبة
كما الثّقيلة ظلالهم
الرّجلُ تلو الآخر يمضي.

❊

أجوف، كهفيٌّ، بِخفقان جنح الليل ممتلئ
بالكآبات محاط وبالأغاني.

❊

هنا أقف ناظرا،
ناظر لكن - إلى الخارج!
بباقة الأزهار الذّابلة
أصابعي تلهو
عندما الدّموع من عينيّ تنهمر
طُلعةً ومحتشمة: واحسرتاه لمن إذن سُكبت!
لليل الذي يطرق نافذتي؟

تقدّمة العسلِ

إليّ بالعسل، طازجا ومثلّجا
إليّ بأقراص العسل الذّهبي!

بالعسل أصنع قربانا لكلّ ما يعطي الآن،
ما يمنح، ما هو طيّبٌ: - سلّم قلبك!

أنت الذي، غيورا، في الليل ترصد أنفاسي
وتريد أن تندسّ في أحلامي.

❊

قديما
كم يبعد هذا القديم؟
واحسرتاه! وكم يعذب؟
الكلمة وحدها كافية
«قديما» كصوت الجرس التّائه
بعده يأتي النّهار، والواجب، والمِقطع، وخوار الثّور.

❊

آه يا من تلعبون،
أيّها الأطفال في الغابة، يا من تضحكون
لا تهربوا - لا! احموني
إخفوا الطّريدة الموحشة
إبقوا، إستمعوا، إذ من الذي يحوشني
منذ الصّباح الرّماديّ،
من الذي يحوشني بكلّ شياح الجنون،
أهمُ الصيّادون؟ أهمُ قطّاع الطّرق؟ أهي الأفكار؟

لا أعلمُ بعدُ ولكن،
أن ترى الأطفال

وألعاب الأطفال!

❋

أجمل الأجساد، إن هي إلاّ حجاب،
حيث بحشمة تحجب، ما هو أجمل.

إلى حافظ
مسألة شارب ماء

ألحانَ الذي بنيته
أكبر من أيّ بيت،
والخمورَ التي قطّرتها
لا يقدر العالم على استنفاذها.
الطّائر الذي كان الفينيق فيما مضى،
هو الآن ضيفك الدّائم،
والفأرة التي وضعت جبلا
هذه الفأرة - تقريبا هي أنت!
أنتَ الكلّ وأنتَ لا أحد، أنتَ الحان والخمر
أنتَ الفينيق والفأرة والجبل،
على الدّوام تستغرق ذاتك
وعلى الدّوام عنها تتوارى
أنتَ دُوّارُ الأعالي
وأنتَ نور كلّ الهُوِيّ.
أنتَ نشوة السّكارى
فما حاجتك إلى الخمور؟

❋

هكذا تكلّمت امرأة بالحشمة امتلأت

قالت ليَ عند الفجر:
«إنّك الآن في الرّصانة تسعد
يا للحبور عندما - تصبح نشوانا!»

❋

الذي يجهل الضّحك، ليس عليه الآن أن يقرأ!
فإنّه إذا لم يضحك، أمسك به «الشّيطان».

في تأمّل مَبذلٍ

إذا كان الألماني فيما مضى،
قد فاز بالذّوق السّليم
برغم مظهره المبذل
فإنّ الزّمان تغيّر، واحسرتاه!
اليوم صار
مُقحم العنق في البدلة الضيّقة
يُسلّم خياطه، يُسلّم بسمارك ذوقه السّليم!

إلى ريتشار فاغنر

أنتَ الذي تألّمتَ من كلّ الرّوابط
أيُّها الرّوح القلق المأخوذ بالحريّة
أيّها المنتصر باطّراد وباطّراد مكبّل
أيّها المشمئزّ في كلّ يوم أكثر
يا من تُسلَخ كلّ يوم أكثر
حتّى بتَّ تشرب السمّ في كلّ بلسم
وا أسفاه!
أنت أيضا، عند قدم الصّليب تنهار ! أنت أيضا !

حتّى أنت - أُصِبتَ بالمعجزة!

مطوّلا على هذا المشهد أقف
متوجّسا حُزنا، وسجنا، وحقدا، وقفصا
وفي الوسط، سحبا من الأبخرة
عطر مومس متزمّتة
إنّ ما يفزعني
أن أرمي، راقصا في الفضاء
إلى المجنون بصولجاني
لأنّني منه أفلتّ.

إلى اسبينوزا[٥]

بعشق، ناذرا نفسه لـ«الواحد في الكلّ»
حبّ إلهيّ سعيد بالتعقّل
حافي القدمين! أرض ثلاثا مباركة!..
ومع ذلك
فتحت هذا الحبّ يحضن
جمرة النّار السرّية والمهلكة:
كراهية يهوديّ قاضما إله اليهود!
أيّها المتوحّد، هل خمّنتك جيّدا؟

إلى أصدقاء مزيَّفين

أنتَ سرقتَ، عينُكَ ليست نقيّة،
أنتَ لم تسرق غير فكرة واحدة؟ - لا.
من يتجرّأ متوحّدا على هذا التّواضع!

خذ هذه الحفنة أيضا، خذ كلّ ما أملك
لعلّك تقدر، أيّها الخنزير، أن ترسم ذاتك في الطّهارة!

نبرة رومانية

ألمانيّ ليس إلاّ، لا! ألمانيّ شمالي!
هذا ما ترغبه «الموضة» هذه الأيّام.
غير أنّها تجاه البابا، تظلّ ثابتة.

«الألماني الخالص»

«يا شعب أفضل المنافقين!
يقينا، لك أبقى وفيّا»
يقول، وعلى أوّل مركب
إلى مدينة الكون يُبحر.

العهد الجديد

إنّه كتاب الصّلوات المقدّس،
كتاب الأفراح والأتراح؟
ولكن ما الذي تتضمّنه الرّسوم المواجهة؟
خيانةَ الله!

أحجية

خمّنوا إذن، ما الذي تخفيه هذي الكلمة؟
«المرأة تختطف، بينما الرّجل يكتشف...»

المتوحّد يتكلّم

أن تكون لديّ أفكار؟ هذا أمرٌ جيّد - عندها تكون ملكا لي.

أن أصنع أفكارا - هذا ما كنتُ ازدريته!
من يصنع أفكارا - يكون محكوما بها،
أن أكون خدوما، لن أرغب هذا أبدا، وبأوضح الدّلالات في الكلمة.

قرار

سأكون حكيما، فهذا يروقني
مستجيبا لوصيّتي
أحمد الله على خلقه العالَم
بأحمق ما أمكنه.

وإن أنا أخذتُ الطّريق
بما أمكن من جنون،
فلأنّ أكبر الحكماء مِن هنا بدأ
ولأنّ المجنون هنا - توقّف.

كلّ العيون الأبديّة
إلى الأبد تنبجس.
الله ذاته - هل بدأ وحسب؟
الله ذاته - أليس بلا انقطاع يبدأ.

المسافر

مسافر في الليل يمشي
خطوهُ متّزن؛
يستقبل الوادي الصّغير المتعرّج
والمرتفع الطّويل.

الليل جميل
يسرع في السّير لا يتوقّف،
لا يعلم أين تأخذه الطّريق.

وها أنّ طائرا في الليل يصدح:
«ويلك، أيّها الطّائر ما الذي تفعله؟
لم تزعج قلبي وخطوي،
بهمس حزنك الخافت في أذني، ولمَ
على التوقّف تجبرني،
على الاستماع...
لمَ تسحرني بهذا الغناء، بهذا الخلاص؟»

الطّائر العطوف يصمت، ثمّ يقول:
«لا، أيّها المسافر، لا! لستَ من أريد أن أسحره
بأغانيّ الملحّة، بل هي
أنثاي التي هناك
في الفضاء، وما همّكَ؟
وحيدا، لا أرى الليل جميلا،
وما همّكَ؟ إذ عليك أن تمشي
بلا توقّف أبدا، أبدا
لمَ أنتَ هنا متسمّر؟
وما ينفعك غناء نايي،
أنتَ المتشرّد؟»

الطّائر العطوف، يصمتُ، يقول لنفسه:

«غناء نايي، بماذا ينفعه؟
لِمَ يظلّ هنا متسمّرا؟
المسكين، المسكين المتشرّد!»

في نوفمبر الألماني

هو ذا الخريف: إنّه -
سينتهي بتحطيم قلبك!
عليك أن ترحل! أن ترحل!
الشّمس تنسدل إلى منحدر الجبل
إنّها تصعد، تصعد
وبعد كلّ خطوة ترتاح.
كم صار العالَم ذابلا!
على أوتار في لُدونة مشدودة
تعزف الرّيح ألحانها.
فرّ الأمل
وأنينه خلفه يركض.

هو ذا الخريف: إنّه -
سينتهي بتحطيم قلبك.
عليك أن ترحل! أن ترحل!
يا ثمر الشّجر!
أوَ ترتجف، أوَ تسقط؟
ما السرّ الذي أعلمكَ الليل به
فحفرت رعشةٌ باردة خدّك
خدّك المحمّر.

ألا تجيب؟ أتسكتُ؟
ومن عليه أن يتكلّم؟ . .

هو ذا الخريف: إنّه -
سينتهي بتحطيم قلبك؟
عليك أن ترحل! أن ترحل!
«لستُ جميلة -
تقول زهرة اللؤلؤ
غير أنّي أحبّ الرّجال،
وأواسي الرّجال
وجب أن يواصلوا رؤية الأزهار
أن ينحنوا علَيْ،
واحسرتاه، ويقطفونني:
في أعينهم، عينها تومض
الذّكرى ذكرى الأزهار الأجمل منّي
- أراها، أراها - وهكذا أموت.»

هو ذا الخريف: إنّه -
سينتهي بتحطيم قلبك!
عليك أن ترحل! أن ترحل!

على حافة مَجلدة

عند الظّهيره
عندما الصّيف يبدأ في تسلّق الجبل،
مراهقا متعب العينين،

محترق العينين: عندها أيضا يتكلّم،
غير أنّ كلامه لا يُسمع،
كلامه، لا تُمكن إلاّ رؤيته.
كما العليل بالحمّى المهتاجة
لهاثه في الليل ينبجس،
كذا رياحه تزفر.
وذُرى ثلجيّة، وأشجار صنوبر، وينابيع تجيبه
لكنّنا، لا نرى منها غير الأجوبة.
فها هو السّيل بأسرع ما يكون،
من الصّخر ينحدر
عمودا أبيض، من الرّغبة يرتجف
كأنّه الخلاص.
وها هي أشجار الصّنوبر تصبح قاتمة أكثر
وسط الجليد والكُتلِ الجِنائزيّة
فجأة، شعاع يضيء...
عندي واحدٌ منها: معناه أعرفه.

عين ميّت
لمرّة أخيرة تضئ عندما
طفلها الممتلئ شجنا يعانقها،
يقبّلها ويطفئها:
شعلة الضّوء، لمرّة أخيرة تنبجس
العين الميّتة،
تضطرم قائلة: «ولدي!
أحبّك، أتعلم هذا يا ولدي!»

والكلّ يضطرم ويشرع في الكلام -
الذّرى المثلّجة والسّيول وأشجار الصّنوبر-
الكلّ بأنظاره يقول ذات الكلام:
«نحن نحبّك!
أيّها الطفل، أتعلم، نحن نحبّك!»

أمّا هو،
المراهق
ذو العينين المتعبتين والمحرِقتين،
فبشوق دائما يزداد أكثر،
وممتلئا شجنا، يقبّلها
عاجزا عن قرار الرّحيل:
ما كان كلامه إلاّ ريحا
وإلاّ حجابا على شفتيه
كلامه العنيف:
«سلامي وداع
قدومي رحيل، شابّا أموت.»

الكلّ في النّواحي، يُرهف السّمع
بالكاد يَتنفّس:
ولا عصفور واحد ظلّ يغنّي.
عندها
كأنّها الومض، رعشة تعبر الجبل
والكلّ في النّواحي، صامتا يتأمّل.

كان ذلك عند الظّهيرة،
عند الظّهيرة عندما الصّيف يشرع
في تسلّق الجبل، مراهقا،
متعَب العينين، مُحترق العينين.

«المسافر وظلّه»
كتاب

ما عادت العودة ممكنة؟
ولا مكان منه قد نتقدّم؟
لا ممرّ حتّى لظبي الجبل؟

إذن هنا سأنتظر

وبحدّة أضمّ ما يمكن
للعين واليد أن تمسكا به
خمسة أقدام من التّراب أضاءها الفجر
ومن تحتي - الكون والإنسان والموت!

يوريك غجري(٦)

المشنقة هناك، والحبل هنا،
ولحية الجلاّد الحمراء
ودهماء متجمّعة
ونظرات سامّة
لا جديد للذين هم على شاكلتي!
مائة مرّة، قد جُبتُ هذي الطّريق،
وإنّي أصرخ فيكم ضاحكا في سخرية:

عبثا، عبثا تشنقونني!
الموت؟ الموت، هذا أبعد من طاقتي!

يا لكم من نذلاء!
بمقدوركم أن تُمهروا في الغيرة، لأنّني
نلتُ ما لن تقدروا تحصيله أبدا
أتعذّب، أتعذّب، هذا صحيح، إنّما
أنتم تموتون تموتون، أمّا أنا،
فحتّى بعد مائة قتلة لن أموت.
أنا ريح وبخار وضياء،
عبثا، عبثا تشنقونني!
الموت؟ الموت، هذا أبعد من طاقتي!

قديما، في إسبانيا النّائية،
على صوت الصنّاجات يرنّ فيّ الغناء
كان القنديل في سرّ يضئ
والمغنّي فصيحا، مرحا، وقحا.
مرِحا، بتهكّم شهوانيّ سخرت من أعدائي:
إذا كانت لعنتي لا تخلّصكم، فإنّ أغنية
فصيحة على ذلك قادره.

يوريك - كولمب

أيّتها الصّديقة، يقول كولمب،
لا تثقي أبدا في جِنيوي! إنّه
إلى مكان آخر دوما ينظر

القصيّ، بإفراط يجذبه!

إنّه الأكثر غرابة، الذي هو الآن عندي الأغلى!
جنوة – أظلمت، اندثرت
فلتبق هادئا، أيّها القلب! يدي على المقبض صارمة!
وأمامي البحر – وأرضٌ؟ – أهي أرض؟

إلى هنالك أرتحل – وأعتمد
على الآتي، على ذاتي وحدها، وعلى حزمي.
قدّامي البحر، على مكان آخر ينفتح
ويدفع سفينتي مركبي الجنيوي.

عنديَ، كلّ شيء على الدّوام جديد،
بعيدا، قدّاميَ المكان يضئ والزّمن،
وأجمل المسوخ كلّها،
إنّ الخلود، لي يبسم.

الفكر الحرّ

وداعا
«الغربان ناعقة
تصل المدينة في الطيران الضّوضائي:
قريبا ينزل الثّلج،
ويل الذي ما عاد له – موطن!

ها أنت الآن منتصبا، متجمّدا، إلى الخلف تنظر!
واحسرتاه! منذ كم زمنٍ على هذه الحال أنت؟
أيّ مجنون أنت
كي ترمي بنفسك، خوف الشّتاء، في العالم؟

العالم – باب مُشرع
على ألف صحراء خرساء، باردة!
من ضيّع ما ضيّعتَهُ
في أيّ مَكَانٍ، أبدا لن يجد راحته.

ها أنتَ الآن
شاحب، محكوم عليك بهذا التّيه الشّتوي،
شبيه الدّخان،
دائم البحث عن سماوات باردة أكثر.

حلّق، أيّها الطّائر، وترنّم بالغناء
على منوال طائر الصّحراء
اخفِ جيّدا،
أيّها المجنون قلبك الذي ينزف
تحت التهكّم والصّقيع!

الغربان ناعقة
تصل المدينة في الطّيران الضّوضائي:
قريبا ينزل الثّلج،
ويل الذي ما عاد له - موطن»!

جواب

ليغفر الله له!
هذا أحدهم يظنّ أنّي راغب في العودة
إلى ألمانيا - إلى الدفء
إلى نعيم الغرف الصّغيرة الخانقة!

يا صاحبي!
إنّ ما يزعجني
في هذا ويحزنني: روحك
الرّحمة لروحك
الرّحمة لروح الألمان المعقوف.

*

يا سرداب الموت! أحبّك،

يا كذب الرّخام!
أيّها الآخرون اجعلوا روحي دائمة التعزّي
بأكثر أنواع التهكّم المتحرّرة.
لكنّني اليوم أبكي، واقفا متسمّرا،
أطلق العنان لدمعي أمامك،
أيّتها الصّورة من الحجر،
أمامك، أيّتها الكلمة عليها قد حُفرت.

وليبق مخفيّا عن الكلّ
أنّني قبّلتُ الصّورة هذه.
عديدة هي فرص القُبَلِ،
منذ متى يقبّلون - الطّفل
من يقدر أن يُعلِمني؟
أنا، مهوس بالقبور!
إذ أنّني، أعترف، قبّلتُ حتّى أَطْولَ الرُّقُمِ

*

يُوريك، تشجّع أيّها الصّاحب!
وعندما فكرتك تعذّبك
كما هي الآن تفعل،
فلا تسمّ هذا «إلها»
! فالأمر أبعد،
أبدا ما كان إلاّ طِفلُكَ،
لحمك ودمك
الذي هنا يضايقك ويعذّبك،
شيطانك الصّغير والخسيس!

- انظر السّوط كم ينفعه!

بإيجاز، يا يوريك، يا صاحبي،
أُتركْ فلسفتك المعتمة - واتركني
أسكب في أذنك مأثرة تشفيك
- هي علاجي ضدّ هذي الكآبة
«من أحبّ إلهه جيّدا، جيّدا عاقبه.»

*

المشنقة هناك، والحبل هنا،
هنا الجلاّد وزبانيته،
أنف محمرّ، نظرة ماكرة
ولحية الخوريّ النّبيلة:
بألف طريقة أعرفكم
وأرغب أن أتفل على وجوهكم
لمَ شنْقي؟
أموت؟ ما تعلّمتُ أن - أموت.

يا لكم من نُذلاء!
بمقدوركم أن تمهروا في الغيرة
فإنّني نلتُ ما لن تقدروا تحصيله أبدا
أتعذّب، أتعذّب، هذا صحيح إنّما
أنتم تموتون، تموتون،
أمّا أنا، فحتّى بعد مائة قتلة لن أموت.
لمَ شنقي؟

أموت؟ ما تعلّمتُ أن - أموت.

هكذا في إسبانيا التّائية
على صوت الصنّاجات، سمعتُ هذا الغناء
كان القنديل في سرّ يضئ
والمغنّي فصيحا، مرحا، وقحا.
عندما الأذن على المراصد، عندما أغرق
في لُجج مياهي العذبة،
يتهيّأ لي أنّني كنت أنام، أنام،
محميّا إلى الأبد، مريضا إلى الأبد.

*

الشّقاء يلحق بالهارب - فإمّا
عذاب موشّى بيد متسوّلة وإمّا
حزن الذي أبديّا يفرّق:
الشّقاء أَمسك بالهارب،
ودونما قلق، دون ذاكرة، بعيدا رمى باللآلئ.

*

ما يصرع المهزوم
ما يحوّل الكبرياء إلى دموع:
صورة محزنة،
أترمي باللآلئ إلى الرّمل
ليغيّبها البحر في فمه!
بأيّ شيء تكون الحياة مدينة للمُسرِف.

*

النّهار تلاشى
السّعادة والضّياء توشّيا بالذّهب،
منتصف النّهار بعيد.
كم من الوقت حتّى يطلع القمر، والأنجم،
والرّيح والنّدى الفضّي: لاحقا، لن أتخلّف أكثر
كما ثمرة نزعتها الرّياح من الشّجرة.

❊

يصعد الموج أعلى فأعلى: قريبا، لن يظلّ قاربي دون ماء؛
أنا الذي يهب الأجنحة حتّى للحمير ويحلب اللبوات
في السّاعة التي، يحطّ فيها منتصف النّهار على الغابة: حين لا راعٍ
على نايه يعزف نشيد الربّ المجهول.
صمتٌ عارٍ من سحائبه (تحترق المراعي)
(ناسك)
كلاب تتظاهر باللطافة.

❊

زرادشت: إنّي بالسّعادة أزخر، وليس لي أحد لأعطيه منها، ولا أحد حتّى لأشكره فاتركوني مع حيواناتي، بهذا تدلّلون على اعتراف بالجميل.

١. زرادشت شاكرا حيواناته ومهيّئا إيّاها لاستقبال الضّيوف. أناة داجنة لمن ينتظر ويعمّق ثقته في أصدقائه.
٢. الضّيوف اختبار لهجرة الوحدة: أنا ما جئت لأخفّف عمّن يتألّم، إلخ /لوحة فرنسيّة/ .
٣. التّقيّ والقدّيس النّاسك.
٤. زرادشت يرسل حيواناته في سفارات.

، حيدا، يظلّ بدون صلاة - وبدون الحيوانات.
أقصى الضّغط!
٥. «إنّهم يأتون!» بينما النّسر والثّعبان يتحادثان، يلتحق بهما الأسد
إنّه يبكي!
الوداع للكهف إلى الأبد /نوع من الموكب الاحتفالي/ إنّه يسير في المقدّمة مع حيواناته الأربعة حتّى المدينة.

سنوات المعاناة

/١٨٧١ - ١٨٨٧/

الأصحابُ فيما بينهم

١

جميلٌ
معًا نَصمتُ، والأجملُ
معًا نضحك
تحت خيمة سماءٍ من حريرٍ
مَسنودين إلى اسفنج الزّان،
جميلٌ
فيما بيننا عن أسنان بيضاء نكشف.

إذا أحسنتُ الفعل، نصمتُ؛
وإذا أسأت الفعل - نضحك
ونسيء الفعل أكثر،
وكلّما أسأنا الفعل أكثر، ضحكنا أكثر،
إلى أن ننزل الخندق.

أصحابي! ألا يتوجّب ذلك؟
آمين! وإلى اللقاء!

٢

لا اعتذارٌ! لا مغفرة!
أيّها المُبتهجون! امنحوا القلبَ الحرّ
امنحوا كتاب الغباوة هذا،
أُذنا وقلبًا ومأوى!
أصحابي، صدّقوني، هي ليست لعنةً
هذِي الغباوة عندي!

ما أجدهُ، ما أبحثُ عنهُ
هل كان أبدًا في كتاب؟
مجّدوا فيّ أمّة المجانين!
/تعلّموا منّا هذا الكتاب المجنون/
كيف العقل يأتي «إلى الصّواب»!

أصحابي، ألا يتوجّب ذلك؟
آمين! وإلى اللقاء!

مُفتتحُ زرادشت[٧]

١

لمَّا بلغ زرادشتُ عامه الثّلاثين ترك موطنَه وبحيرة موطنه، وقصد الجبل.

هناك استمتع بتفكيرهِ ووحدته، ولعشرة أعوام لم يقلق، ولكنّ حاله تبدّل، وذات صباح أفاق من نومه باكرا، ووقف قبالة الشّمس يُكلِّمها:

«أيّها الكوكب الهائل! هل كان لغبطتك أن تكون لو لم يكن لكَ مَن تنير؟

لعشرة أعوام أقمتُ في كهفي: بدوني وبدون نِسري وثعباني[٨] كنتُ سئمتُ ضياءك وسئمتُ هذي الطّريق. لكنّنا كُنّا ننتظرك كلّ صباح، لنأخذ ما فاض عنك، ولنحمد لك ذلك.

أقولُ لكَ! كما النّحلة التي أفرطت في تكديس العسل، بتُّ أكرهُ حكمتي، إنّ بي حاجة إلى أياد تتلامس.

أريدُ أن أهب وأن أوزّع حتّى يعود الحكماء من النّاس سعداءَ بجنونهم ثانية، والفقراء بثرائهم سعداء.

هكذا وجب عليّ النّزول إلى الأعماق: كما تفعل عند المساء عندما تمرّ خلف البحر، حاملا ضياءك إلى العالَم السّفلي، أيُّها الكوكب الفيّاض!

وجب عليّ، مثلك، أن أنام، كما يقول الذين أريدُ النّزول إليهم.

باركني إذن، أيّها النّبع الهادئ، القادر، بلا حسد، على رؤية حتّى السّعادة المفرطة في العظمة.

بارك القدح الذي يريد أن يطفح حتّى يحمل ماؤه المنسكبُ أمواجا مذهّبة بريقَ غبطتك إلى كلّ الأمكنة.

انظر! ها هو القدح يريد أن يفرغ ثانية، وها هو زرادشتُ يريد أن يعود إنسانا.»

– هكذا بدأ غُروب زرادشت.

.....

....

...

..

.

القراءة والكتابة

مِن كلّ ما كُتب، لا أحبُّ إلاّ ما كتبهُ المرءُ بدمه. اكتب بدمكَ: وستعرف أنّ الدّمَ روح.

ليس سهلا أن يفهم المرءُ دما غريبا: إنّني أكرهُ القُرّاء التّفهاء.

الذي يعرف القارئ لا ينفعهُ في شيء. قرنٌ آخر من القرّاء–ويتعفّنُ الفكرُ ذاته.

إذا أُعطيَ الحقّ في تعلّم القراءة لكلّ إنسان، فإنّ هذا سيُفسد، مع الوقت، لا الكتابة فحسب، ولكنّه سيُفسدُ الفكر أيضا.

قديما كان الفكر إلهًا، ثمّ إنسانًا، وها هو الآن رعاعٌ.

إنّ مَن يكتبُ بحروف من الدمّ، وفي أمثالٍ لا يريد أن يُقرأ، بل أن يُحفَظ عن ظهر قلب.

على الجبالِ، الطّريق الأقصرُ تجري مِن قمّة إلى أُخرى: إنّما، لكي نأخذها لا بدّ لكَ من رجلين جيّدتين. على الأمثالِ أن تكون قِمما: وعلى الذين نتكلّم إليهم أن يكونوا عظماء وجبابرة.

الهواء العليل والصّافي، والخطر المحدّق، والفكر المُمتلئ بالأذى المُغبطِ: هذا ما يوافق بعضه بعضا.

أريد أن تحيط بي الأقزام حارسةُ الكنوز، لأنّني شجاع.

الشّجاعة التي تُطرد الأشباح تخلق بذاتها أقزامها– الشّجاعة ترغب في الضّحك.

ما عدتُ على ودٍّ معكم: هذا السّحاب الذي أراهُ تحتي، هذا الاسوداد

وهذه الكثافة التي فيها أضحك- هي بالضّبط غمامتكم العاصفة.

تنظرون إلى الأعلى حين تريدون القيام. أنا أنظرُ إلى الأسفلِ لأنّني علوتُ.

مَن منكمُ قادر، في ذات الوقت، على الضّحك وعلى التّعالي؟

مَن يصعد أعلى الجبال يسخر مِن مسرح الحياة وجدّيتها.

غيرَ عابئين، ساخرين، عنيفين- هكذا تُريدنا الحكمةُ: إنّها امرأة وهي لا تقدر أن تحبّ إلاّ المحارب.

تقولون لي: «الحياة حِملٌ ثقيل.» ولكن لمَ جعلتُم الصّباحَ غروركم والمساءَ خضوعكم؟

الحياة حملٌ ثقيلٌ: لا تُفرطوا في الرقّة! فنحن جميعا أحمرة وأُتُنٌ محمّلة كما يجبُ.

ماذَا لنا مِن مُشتركٍ مع بُرعم الوردة إذ يرتجف لأنّ قطرة ندًى عليه قد وقعت.

الحقّ: إنّنا نحبّ الحياة، لأنّنا متعوّدون، لا على الحياة، ولكن على الحبّ.

يوجد في الحبّ دوما شيء مِن الجنون، ولكن يوجد في الجنون دوما شيء من العقل.

حتّى أنا، أنا المندفعُ إلى الحياة، أجد أنّ الفراشات، وكرات الصّابون، وما يشبهها من النّاس، هي التي تعرف السّعادة أفضل.

إنّ رؤية هذه الكائناتِ الصّغيرة والخفيفة والمجنونة واللطيفة والمتنقّلة تُعطي لزرادشت الرّغبة في البُكاء وفي الغناء.

لا أقدر أن أؤمن إلاّ بإلهٍ يعرفُ الرّقص.

وعندما رأيتُ شيطاني وجدتُهُ رزينا ودعيّا وعميقا واحتفاليّا: كانت تلك روح الثّقالة – منها كلّ الأشياء تسقط.

لا يقتلُ المرءُ عن غضب، وإنّما عن ضحك يقتل، لنقتل معًا روح الثّقالة.

تعلّمتُ المشيَ: مذّاكَ صرتُ أسمح لنفسي بالرّكض.

تعلّمتُ الطّيران: مذّاكَ ما عدتُ أنتظرُ أن يُدفع بي لأغيّر مكاني.

إنّني الآن خفيفٌ، الآن أُحلّق، الآن أراني فوق ذاتي، الآن إلهٌ في داخلي يرقص.

هكذا تكلّم زرادشت.

جنّ الليل

جنّ الليل: هاهو صوت النّوافير المنفجرة يرتفع. وروحي، هي أيضا، نافورة منفجرة.

جنّ الليل: ها هي كلّ أغاني العشّاق ترتفع. وروحي، هي أيضا، أغنية عشّاق.

في داخلي شيء مضطرب لا يهدأ، يريد أن يرفع صوته.

في داخلي شهوة حبّ تتكلّم بذاتها لغة الحبّ.

ضياء أنا: آه لو كنت ليلا! لكنّ تفرّدي أنّي مغطّى بالضّياء.

واحسرتاه! لست ظلاّ وظلاما! كم كنت سأروي عطشي من ثدي الضّياء!

أباركك، أنتِ بالذّات، أيّتها الكواكب الصّغيرة البرّاقة، أيّتها المتّجهة صوب نور السّماء! وإنّني أبتهج للنّور الذي تهبينني.

لكنّني أحيا من ضيائي، إنّني أبتلع النّيران التي تنبجس منّي.

لا أعرف فرح الذين يأخذون، وغالبا ما حلمت أنّ لذّة السّرقة أكبر من لذّة الأخذ.

إنّ فقري، هو أنّ يدي لا تكفّ عن العطـاء. وغيرتي، هي من رؤيتي الانتظار على أشدّه، ومن ليال مضاءة بالحنين.

آه ياشقاء الذين يهبون! آه يا اسوداد شمسي! آه يا رغبتي! آه يا شبع الجوع المفترس!

يأخذون ما أعطيهم: هل أنّي على اتّصال بأرواحهم؟ إنّ هوّة تمثل بين

العطاء والأخذ، وإنّ الهوّة الأصغر لهي الأصعب طمرا.

من بهائي جوع يولد: أريد أن أُسيئ إلى الذين أضيؤهم، أن أعرّي الذين أغمرهم بعطائي ـ هكذا أنا للأذى متعطّش.

ساحبًا يدي، حين اليدُ بعدُ قد امتدّت، مثلما شلاّل في سقوطه مازال يتردّد ـ هكذا أنا للأذى متعطّش.

بهائي يتأتّى من تأمّل مثل هذا الدّمار: مُكر كهذا يولد من وحدتي.

سعادتي في العطاء ماتت من شدّة العطاء، وفضيلتي من ذاتها ودفقها تعبت.

من داوم العطاء خاطرٌ بفقدان البراءة، فإنّ من ظلّ يوزّع قد انتهى، من طول ما وزّع، خشن القلب واليد.

ما عادت عيناي تذوبان دمعا على خجل المتضرّعين، يدي صارت أعنف من أن تحسّ بارتعاش الأيادي الممتلئة.

أين قلبي كيف صار، ودموع عينيّ كيف أمست؟ آه يا وحدة الذين يعطون! آه يا صمت الذين يسطعون!

شموس عديدة تحوم في الفضاء القاحل: ضوؤها يكلّم كلّ ما هو عتمة ـ من أجلي أنا وحدي تصمت.

واحسرتاه تلك هي بغضاء الضّياء لكلّ ما كان مضيئا!

بشراسة، تواصل سباتها.

من عمق القلب تجور على كلّ ما هو مضئ وباردة قبالة الشّموس ـ هكذا كلّ الشّموس تواصل سباقها.

شبيهة الاعصار، تحلّق الشّموس على امتداد سبيلها، هنا طـريقها. إنّها تتّبع سبيلها المحتوم، هنا فتورها.

أوّاه! وحدكنّ أيّتها الكائنات المعتمة والليليّة تبدعن الحرارة بالضّياء!

أوّاه وحدكنّ تشربن حليبا يقوّي العزائم من ثدي الضّياء.

واحسرتاه! إنّ الجليد يحيط بي، يدي تحترق من مصافحات ثلجيّة!واحسرتاه! إنّ الظّمأ فيّ أنا، ظمأ أتلفه عطشكم.

جنّ الليل: ها هي شهوتي مثلما النّبع تنبجس ـ شهوتي تريد أن ترفع الصّوت.

جنّ الليل: ها هو صوت النّوافير العالية يرتفع. وروحي، هي أيضا، نافورة منفجرة.

جنّ الليل: ها هي كلّ أغاني العشّاق تستيقظ. وروحي، هي أيضا، أغنية عشّاق.

عَن العُلَماء

بينمَا كنتُ نائما، إذ بشاة تقلقل تاج اللبلاب الذي يُزيّن رأسي، قالت وهي تُقلقل: «ما عاد زرادشت عالِما.»

قالت ذلك وذهبت في ازدراء وتَعالٍ. أعلمني صبيّ بذلك.

أحبّ أن أكون مستلقيا حيث الأطفالُ يلعبون قرب الجدار المتداعي، تحت أكمةِ الأشواكِ والخشخاش الأحمر.

مازلتُ عالِما في نظر الأطفال، وأيضا في نظر الأشواك والخشخاش الأحمر.

إنّهم أبرياء حتّى في إيذائهم.

لكنّني ما عدتُ كذلك في نظرِ النّعاج: ذاكَ حظّي: فَليبارَك!

لأنّ هذه هي الحقيقة: تركتُ بيت العُلماء وأطبقتُ الباب ورائي.

طويلا جلست روحي جائعة على مائدتهم، لستُ، مثلهم، مروَّضا على البحث عن المعرفة كمن يُكسّر الجوز.

أعشق الحرّية والهواء على الأرض البليلة؛ وأفضّلُ النّوم على جلود البقر، على النّوم على أمجادهم وألقابهم.

مُتّقدٌ جدّا بأفكاري ومُحترق جدّا بها: غالبًا ما يقطع ذلك عليّ أنفاسي، لذلك عليّ الذّهاب إلى الفضاء الأرحب، بعيدا عن كلّ الغرف المُغبرة.

لكنّهم يتفيّؤون الظّلال النّدية: إنّهم لا يُريدون، إجمالا، أن يكونوا إلاّ

مجرّد متفرّجين ويحذرون جيّدا الجلوس حيث الشّمس تُحرق بلهيبها درجاتِ السلّم.

أمثالَ الذين يقفون في الشّارع وينظرون فاغرين أفواههم إلى المّارة: هكذا هم ينظرون وينظرون فاغري الأفواه إلى الافكار التي أدركها غيرهم.

تلمسُهم فيرسلون بالغبار عن غير قصد كما أكياس الطّحين: فمن سيظنّ أنّ غبارَهم يأتي من القمح ومن بهجة حقول الصّيف المذهّبة؟

وإذا بدوا في هيئة الحكماء، فإنّني أقشعرّ مِن أمثالهم الصّغيرة ومن حقائقهم الصّغيرة: لحكمتهم، غالبا، رائحة المستنقعات، ولطالما استمعتُ إلى نقيق الضّفادع في كلامهم ذاك.

إنّهم مهرة، أصابعهم لبقة: ما قدرة بساطتي إلى جانب تعقيدهم! أصابعهم تتوافق في النّظم والعقد والنّسج: هكذا ينسجون للعقل جوارب!

إنّهم حركاتٌ جيّدة في صناعة السّاعاتِ: يكفي أن نُتقن ضبط رقّاصها، حتّى تُعلن عن الوقت بنزاهة مُسمِعة إيّانا غوغاء خافتة.

كالطّواحين يعملون وكالمِدقّات- ويكفي أن نرمي إليهم بالقمح!- إنّهم على وِفاقٍ في طحن القمح وجعلِهِ غبارا أبيض.

يتبادلونَ مراقبة أصابعهم ويتبارزون في ذلك. ماهرون في الرّداءات الصّغيرة، يتربّصون بمن علمُهُم يعرُج- كما العناكب يتربّصون.

طَالما رأيتُهُم يحضّرون سُمومهم في حذرٍ؛ وعلى الدّوام ساترين أصابعهم بقفّازاتٍ مِن بِلّوْرٍ.

أيضا يعرفون اللعب بالنّرد المزيّف، ولقد رأيتُهم يلعبون بالكثير مِن الحماس حتّى أنّهم كانوا مكسيّين عرَقًا.

لا مُشتركٌ بيني وبينهم، وما يُقزّزني أكثر من ريائهم ونرودهمُ المزيّفة: فضائلهم.

عندما كنتُ بينهم، كنتُ فوقهم أقيم، لذلك حقدوا عليّ.

لا يقبلون أن يمشي أحد فوق رؤوسهم: هكذا وضعوا أخشابا وأتربة وقذرات بين رؤوسهم وبيني.

هكذا خنقوا صوت أقدامي؛ وإلى الآن لمّا يزل أكثرهم عِلمًا أقلّهم استماعًا إلَي.

لقد وضعوا بيني وبينهم كلّ الأخطاء وصنوفِ الضّعف الإنساني: - في بيوتهم يسمّون هذا «سقفًا مزيّفًا».

ولكن على الرّغم من ذلك فأنا أمشي بأفكاري فوق رؤوسهم، وحتّى لو أردتُ السّير فوق عيوبي، فسأظلّ فوقهم وفوق رؤوسهم.

لأنّ النّاسَ غيرُ متساوين: هكذا تقول العدالة.

وما أريدهُ، لن يكون لهم حقُّ إرادته.

هكذا تكلّم زرادشت.

عن الشّعراء

منذُ أن عرفتُ الجسد أفضل – قال زرادشتُ لأحد أتباعهِ، ما عادت الرّوح عندي أكثر من كلمة تقال: وكلّ هذا «الذي لا يفنى» إن هو أيضا إلاّ رمزٌ.

«كنتُ سمعتُكَ تتكلّمُ بهذه الطّريقة، أجاب التّابع، وكنتَ أضفتَ: «لكنّ الشّعراء يفرطون في الكذب.»

لِمَ قلتَ إذن إنّ الشّعراء يُفرطون في الكذب؟»».

لماذا؟ قال زرادشت – أتسأل لماذا؟ لستُ مِن الذين يُسألون عن أسبابهم.

وهل ما عشتهُ يعود إلى البارحة؟ إنّ أسباب آرائي عشتها من زمنٍ طويل.

هل كانَ عليّ أن أكون خزّان ذاكرة لكي أحتفظ بآرائي لنفسي؟

ثقيلٌ عليّ أن احتفظ بآرائي ذاتها، وأكثر مِن عصفورٍ لاذ بالفرار.

ويحدثُ أيضا أن أجد في برج الحمام عندي طائرا غريبا يرتعد حين يدي تلمسُهُ.

لكن ما الذي قاله لكَ زرادشتُ ذَاتَ يوم؟ إنّ الشّعراء يفرطون في الكذب؟ ومع ذلك فزرادشت هو أيضا شاعر.

أتظنّ أنّه في ذلك قد قال حقّا؟ وما الذي يجعلكَ تُصدقهُ؟

أجاب التّابع: «أؤمنُ بزرادشت»، ولكنّ زرادشت هزّ رأسه وابتسم.

ليس الايمان خلاصي، قال، وخاصّة الايمان بذاتي.

لكنْ بافتراض أنّ أحدا يقولُ بكلّ رصانة إنّ الشّعراء يفرطون في الكذب، فهو يقول الحقّ – نحن الشّعراء نفرط في الكذب.

إنّ ما نعرفهُ قليل جدّا، ونحن تلامذة رديؤون، لذلك كان علينا أن نكذب.

ومَن مِن بيننا، نحن الشّعراء، من لم يغشّ نبيذه، وكم مِن خليط مسموم صُنع في أقبيتنا، كم مِن أمرٍ لايوصف تمَّ هناك.

ولأنّ ما نعرفهُ عن الأشياء قليلٌ فنحن نحبّ مِن كلِّ قلوبنا فقراءَ الفكر، ومن بينهم الصّبايا خاصّة.

حتّى أنّنا متشوّقون لما تحكيهِ العجائز في الليل. ذاك ما نُسمّيهِ: الأنثويّ الخالد الكامن فينا.

وكما لو أنّ للمعرفة طريقا خاصّا وسرّيًا، طريقا يفتح أمام الذين يعرفون شيئا ما: نحن نُؤمِنُ بالشّعب ونؤمن بحكمته.

لكنّ جميع الشّعراء يظنّون أنّ الجالس على العشب أو على المنحدرات المنزوية، يكفيه أن يصيخ السّمع ليتعلّم شيئا ممّا يحدث بين الأرض والسّماء.

وعندما يشعرون باندفاعات وجدانية يتخيّلون دومًا أنّ الطّبيعة تعشقهم، وأنّها تنساب حتّى آذانهم لتهمس إليهم بسرّ العاشقة وإطراءاتها، فيتباهون ويتفاخرون أمام كلّ الفانين.

واحسرتاه! هناك الكثير مِن الأشياء بين السّماء والأرض، وحدهم الشّعراء قد حلموا بها، خاصّة تلك التي فوق السّماء توجد: لأنّ جميع الآلهة إنّما هي صورُ شُعراء، إرثُ التقطهُ الشّعراء.

في الحقيقة هي على الدّوام تجذِبُنا إليها – مملكة السّحاب: هناكَ نضع كراتنا المنتفخة التي نسمّيها فيما بعدُ آلهةً وأناسا راقين.

ذلك أنّهم خفيفو الوزنِ فاستحقّوا تلكَ العُروش – هؤلاء الآلهة والرّاقون!

أوّاهُ! كم مُتعبٌ أنا مِن كلِّ هذا النّقصان الذي يريد بأيّ ثمنٍ أن يكون حدثا! أُوّاه كم مُتعبٌ أنا مِن الشّعراء.

وما كاد زرادشتُ يُنهي كلامه حتّى اغتاظ تابعُهُ، لكنّهُ كظم غيظَهُ وسكتَ، وسكت زرادشتُ أيضًا وتحوّلت عيناهُ إلى داخله كأنّهُ ينظرُ نحو الأقاصي الشّاسعة؛ وأخيرا تنهّد واستعاد أنفاسه.

أنا مِن الحاضر والماضي، قال، لكنّ شيئا فيَّ هو مِن الغدِ، ومِن بعد الغدِ، ومِن الآتي البعيد.

أتعبني الشّعراء، القدامى منهم والجدد، فجميعهم عندي سطحيّون وجميعهم بحارٌ جفّت.

بما يكفي مِن العمق ما فكّروا، لذلك ما نزلَ شعورهم في الأعماق الكبرى.

قليلٌ مِن التشهّي وقليلٌ مِن الضّجر: ذاك خيرُ ما يُوجد في تأمّلهم.

كما عصف الرّيح وضجيج الأشباح تصلني اللازمة في قيثارهم: ما الذي عرفوه إلى حدّ الآن مِن ورعِ الأصوات!

ثمّ إنّني لا أراهُم على الكثير مِن النّقاوة، فجميعهم يكدّرون مياهَهَمْ لكي تبدو عميقة.

ومع ذلك، فهم راغبون أن يُعرفوا كتوفيقيّين: غير أنّني أعتبرهم وُسطاءً ودسّاسين، أناسًا هم «نصف تين، نصفُ عِنب» وقذرين.

أُوّاه، لقد رَميتُ شِباكي في بحارهم لاصطياد أسماكٍ جيّدة، لكنّني أبدًا ما سحبتُ غيرَ رأس إلهٍ قديم.

هكذا أعطى البحرُ للجائع حجارة. والأكيد أنّ الشّعراء أنفسُهم مِن البحر قد خرجوا.

بديهيّ أن نجد بعض الجواهر فيهم، إنّهم يُشبهون قشريات صلبة، وعوض الرّوح، غالبا ما وجدتُ فيهم رغوةً مالحة.

لقد أخذوا عن البحر حتّى غروره: أليس البحرُ طاووسَ الطّواويس؟

إنّه يتبختر حتّى أمام أكثرِ الجواميس بشاعة، أبدا ما تَعبَ مِن وِشاحه المخرَّم بالحرير والفضّة.

جَموحًا، ينظرُ إليه الجاموس، لأنّ روحَهُ إلى الرّمل والدّغل أقربُ، وأكثر قربا إلى المستنقع.

وما همّهُ مِن جمال البحر وريش الطّاووس!

هذا المَثَلُ أضربهُ للشّعراء.

في الحقيقة، إنّ فِكرَكُم ذاتَهُ طاووس الطّواويس وبحرٌ مِن الغرور!

إنّ فكرَ الشّاعر يريدُ مُشاهدين: حتّى لو كانوا جواميس!

لكنّني مُتعب بهذا الفكر، وإنّي لأرى زمنًا قادِمًا سيكون مِن ذاتهِ مُتعبًا.

رأيتُ الشّعراءَ يتحوّلون ويزيغون بأنظارهِم عن ذواتهم.

ورأيتُ التّائبين عنِ الفكر: إنّهُم مِن الشّعراء قد وُلِدوا.

هكذا تكلّم زرادشت.

عن الرّغبة الكُبرى

إيهِ رُوحي، علّمتُكِ أن تقولي «اليوم» كما تقولين «أمس» و«فيما مضى» وأن ترقصي فوق الكلّ، هنا وهناك وأبعد.

إيهِ روحي، خلّصتُكِ مِن الخبايا، من الغبار، من العناكب ونُور الغسق.

إيهِ روحي، خلّصتكِ من كلّ حياءٍ دنئ ومن الفضائل المُحتالة، وأقنعتكِ أن تهِبي ذاتك عارية لنظراتِ الشّمس.

بالاعصار الذي قُدَّ مِن «فكري» نفختُ في بحركِ الهائج، وأطردتُ كلّ السُّحب، وخنقتُ حتّى المُخنِقَ الذي يُدعى «خطيئة».

إيه رُوحي، وهبتُكِ الحقّ في أن تقولي «لا» مثلما العاصفة، وأن تقولي «نعم» كما تقولها السّماء الصّافية، وها أنتِ الآن هادئة كما الضّياء، وها أنتِ تجتازين العواصف الجحودة.

إيهِ روحي، وهبتكِ حرّية مقاضاة المخلوق وغير المخلوق، ومَن عرف مثلكِ لذّة الآتي.

إيه روحي، علّمتكِ الاحتقار الذي لا يُقبِلُ كما دودة قاضمة، الاحتقار الكبير المحبّ، الذي أبدًا لا يحبّ أكثر كما عندما يحتقر.

إيه روحي، مرّنتكِ على الاقناع حتّى بتّي تقنعين الدّواعي ذاتها: مثيلة الشّمس تقنعُ البحر ذاته حتّى إليها يصعد.

إيه روحي، نزعتُ عنكِ كلّ حاجة إلى الطّاعة، إلى الرّكوع وقول: سيّدي؛ وأعطيتُكِ بذاتي اسم «مهانة الشّقاء» و«قدَر».

إيه روحي، وهبتكِ أسماءً جديدة ولُعبًا مُبرقشة، وسمّيتكِ «قدرا»

و«دائرة الدّوائر» و«جرس السّماء الصّافية».

إيه روحي، رَويتُ أرضكِ بكلّ خمور الحكمة، الجديدة منها والمعتّقة، والغنيّة بالكحول.

إيه روحي، غمرتُكِ بكلّ شمسٍ وليلٍ، وكلّ صمتٍ ورغبة: - فكبرتِ قدّامي كدالية عنب.

إيه روحي، ها أنتِ الآن ثريّة ومُثقلة: دالية عِنبٍ أثداؤها منتفخة، عناقيدها مِن ذهبٍ سمراء ومُتراصّة.

- مُتراصّةٌ ومُكتنزةٌ بسعادتكِ، مُنتظرةً أمام طِفاحكِ وخجولة حتّى من انتظارها لك.

إيه روحي، ليس هناك روحٌ أكثر منك حبّا وسحرًا ورحابة! فأنّى للماضي والآتي أن يتقاربا بأفضل ممّا عندكِ؟

إيه روحي، وهبتُكِ كلّ شيء، وكلّ ما ملكت يداي: - والآن! الآن تقولين لي مُبتسمة، مملوءة حزنا: «من منّا عليه أن يشكر الآخر؟

ألا يتوجّب على الواهبِ أن يشكر مَن رغب أن يأخذ؟ أليس العطاء حاجة؟ أليس الأخذ شفقة؟»

إيه رُوحي، أفهمُ ابتسامة حزنكِ: إنّ إفراط ثرائك ذاته يبسط الآن يدين مفعمتين بالرّغبة! إنّ امتلاءكِ يرمي بالنّظرات على البحر الذي يزأر، ويبحث وينتظر؛ وتشهّي الفيض يلمع في سماءِ عينيكِ المبتسمة.

إيه روحي، ومِن القادر على رؤية ابتسامتكِ دون أن يذرف الدّمع غزيرا؟ إنّ الملائكة ذاتها بغزارة تذرف الدّمع لما في ابتسامتكِ من طيبة كبيرة!

هي طيبتكِ، هي مبالغتكِ في الطّيبة الرّافضة للتشكّي والبكاء: ومع ذلك فإنّ ابتسامتكِ، إيه روحي، تتوق إلى البكاء، وفمكِ المرتعش إلى النّحيب يتوق.

«أليست كلّ دمعة شكوى؟ وكلّ شكوى، أليست اتّهاما؟» هكذا تكلّمين

ذاتكِ، ولذلك، إيه روحي، تُفضّلين الابتسام على نشر أحزانكِ.

- نشرِ أحزانكِ بِرَكًا مِن الدّموع التي تُعانينها بسببٍ من فيضكِ، ومن الوجد الذي يسوقُ الكرمة إلى الكرّام وإلى محطب الكرّام.

ولكن إذا كنتِ لا تريدين البكاء، إذا كنتِ لا تريدين أن تُغرقي في الدّمع حزنَكِ الأُرجواني، وَجب عليكِ الغِناء، إيه روحي! - انظري أنا ذاتي أبتسم، والآن أنا الذي أنبئكِ: - وجب عليكِ الغناء بصوتٍ هادرٍ حتّى تصمُتَ كلُّ البحار، حتّى إلى تشهّيك تستمع.

- حتّى يندفع القاربُ إلى البحار الهادئة والمُحزنة، القاربُ، الأعجوبة المذهّبة، حيث الذّهبُ يجعل كلّ الأشياء الجيّدة والغريبة والمُحزنة، تلك المحيطة بكِ، ترتعشُ:

- وكلّ أنواعِ الحيوانات الكبيرة والصّغيرة، وكلّ ما لهُ أرجلٌ غريبة وخفيفة تُمكّنهُ مِن الرّكض في دروب البنفسج،

- نحو الأعجوبة المذهّبة، نحو القاربِ الإراديّ ونحو سيّدهِ: لكنّ مَولاهُ هو الكرّامُ الذي ينتظر حاملا محطبه الماسي،

- نحو مُخلّصكِ، إيه روحي، فائق الوصف، الذي لا تقدرُ على تسميتهِ إلاّ أغاني القادم.

- الآن، أنتِ بعدُ تحترقين وتحلمين، الآن تروين ظمأكِ مِن كلّ آبار التّعزية الصّاخبة والعميقة، الآن حزنكِ يستريح في غبطة أغاني القادم.

إيه روحي، لقد وهبتكِ كلّ شيء، حتّى آخر ما أملك، حتّى خلت يداي: - وهكذا، فبطلبي منك الغناء أكون وهبتُكِ آخر ما ملكت يداي!

والآن، وقد أهبتُ بكِ أن تُغنّي، الآن تكلّمي، تكلّمي: من منّا عليه الآن أن يشكر الآخر؟- لكنّ الأفضل أيضا أن تُغنّي لي، غنّي، إيه روحي، ودعيني أشكرك!

هكذا تكلّم زرادشت.

العلامة

صباح اليوم التّالي، قفز زرادشت من مرقده وشدّ على وسطه بنطاق وخرج من كهفه متأجّجا وقويّا كما الشّمس طالعة من الجبال المعتمة.

«أيّها الكوكب العظيم، قال كما كان قديما يتكلّم، يا عين السّعادة العميقة، ماذا كان يمكن لسعادتك كلّها أن تكون لو لم يكن لكَ من تُنير!

لو أنّهم ظلّوا في بيوتهم بينما أنتَ تهِب ثرواتك وتنشرها، لغضبت منك حشمتك.

وهاهم مازالوا نياما، هؤلاء الرّاقون، بينما أنا مستيقظ: ليسوا بأصحابي الحقيقيّين! ليسوا هُم الذين انتظرتهم في جبَالي.

أريد الشّروع في عملي، أريد أن أبدأ نهاري: لكنّهم لا يفقهون العلامة من صباحي، وخطوتي ليست بالنّسبة إليهم علامة اليقظة.

مازالوا نائمين في كهفي، حلمهم يجترّ ساعات ليلي. إنّ الأُذن التي تسمعني -الأذن التي تطيعني، مازالت أجسامهم تفتقدها.»

- بهذا كان زرادشت يحدّث نفسه بينما الشّمس تواصل طلوعها: وعندئذ رمى بنظرة إلى المرتفع، إذ سمع من فوقه صرخة نسرِه الثّاقبة.. «جيّد! صرخ فيه، هذا هو ما يعجبني ويريحني. لقد استيقظت حيواناتي، لأنّني أفقت.

لقد استيقظ نسري وهو يجلّ الشّمس على طريقتي.

إنّه يمسك بالنّور الجديد، بمخالب النّسر. أنتنّ حيواناتي الحقيقيّة؛

وإنّني أحبّكن. ولكن مازال ينقصني رجالي الحقيقيّون!»-

هكذا تكلّم زرادشت، وعندها أحسّ فجأة كأنّه محاط بزرافات من الطّيور تحلّق حوله -وكان حفيف عديد الأجنحة والحشد من حول رأسه شديدا حتّى أنّه أغمض عينيه.

وفي الحقيقة، كان الأمر كأنّه سحاب وقع عليه، كأنّها أسراب من السّهام تنصبّ على عدوّ جديد.

لكنّها الآن سحابة حبّ تنزل فوق صديق جديد.

«ما الذي حدث لي» قال زرادشت لنفسه في حيرة، وجلس على حجارة كبيرة إلى جانب مدخل كهفه. وبينما كان يحرّك يديه في كلّ اتّجاه، إلى فوقه وإلى تحته، ليحتمي من الطّيور المندفعة في حنان إليه، شعر أنّ شيئا غريبا يحدث: غمس يديه بدون أن يشعر في جزّة كثيفة وساخنة؛ وفي نفس الوقت دوّى أمامه زئيرٌ- زئير عذب، زئيرُ أسد.

«لقد جاءت العلامة» قال زرادشت وتبدّل حال قلبه. وفي الحقيقة عندما أضيئ المكان أمامه، رأى عند قدميه دابّة ضخمة صفراء تسند رأسها على ركبتيه غير راغبة في تركه، من شدّة حبّها له، كأنّها كلب وجد سيّده القديم. وما كان الحمام أقلّ ملاطفة من الأسد، ففي كلّ مرّة تلامس حمامة بجناحيها أنف الأسد، كان الأسد يهزّ رأسه مندهشا وضاحكا.

رأى زرادشت كلّ هذا فما قال إلاّ: «أطفالي، أطفالي، إنّهم يقتربون.» - ولاذ بالصّمت. لكنّ حملا قد انزاح عن قلبه، ومن عينيه نزل الدّمع على يديه. وما عاد ينتبه إلى أيّ شئ، وظلّ بلا حراك في مكانه غير منشغل باحتمائه من عطف الحيوانات. عندها شرعت الطّيور تُحلّقُ هنا وهناك وتحطُّ على كتفيه وتمسح على شعره الأبيض دون تعب من إظهار عطفها وسعادتها. وكان الأسد القويّ خلال ذلك يواصل لعق

الدّموع التي سقطت على يدَي زرادشت، محمرّا مزمجرا في احتشام. وهكذا فعلت باقي الدّواب.

دام هذا طويلا، أو قليلا: بتعبير أدقّ، لايوجد على الأرض وقت لمثل هذه المواقف. ولكن في الأثناء كان الرّاقون قد أفاقوا من نومهم في الكهف وأخذوا يستعدّون للسّير في موكب أمام زرادشت ليقدّموا إليه تحيّة الصّباح: فقد لاحظوا حين قيامهم أنّه ما ظلّ بينهم. وما وصلوا باب الكهف حتّى اهتزّ الأسد وحاد عن زرادشت، وانقضّ على الكهف مزمجرا غاضبا؛ وما أن سمع الرّاقون زمجرته حتّى علت صرخاتهم في صوت واحد وعادوا أدراجهم وفي لحظة غابوا عن الأنظار. أمّا زرادشت، فضائعا ترك مقعده، ونظر حواليه، وظلّ واقفا في ذهول، مسائلا قلبه، مفكّرا ووحيدا.

«ما الذي كنتُ أسمع، قال في بطء، ما الذي حدث لي؟»

وعادت الذّاكرة إليه وفي لحظة أدرك كلّ ما حدث بين الأمس واليوم.

«هي ذي الحجارة، قال وهو يداعب ذقنه، هي ذي الحجارة التي كنت بالأمس فوقها أجلس: وهنا العرّاف اقترب منّي، وهنا سمعت الصّرخة التي الآن أسمعها، صرخة الخطر الأكبر.

أيّها الرّاقون، إنّ ما أنبأني العرّاف به أمس هو استغاثتكم.

- نحو هذه الاستغاثة أراد العرّاف سحبي لمراودتي: يا زرادشت، قال لي، لقد جئت لأوقع بك في خطيئتك الأخيرة.

في خطيئتي الأخيرة؟ صرخ زرادشت ضاحكا في غضب من كلماته: ما الذي خفيةً يترصّد بي كخطيئة أخيرة؟»

ومرّة أخرى استغرق زرادشت ذاته وجلس على الحجارة ثانية وأخذ يفكّر. وفجأة قفز من مكانه- «الرّحمة! الرّحمة للإنسان الرّاقي! صرخ، وصار وجهه كالبرنز. جيّدٌ، لقد كان لهذه زمانها! ما قيمة رغباتي ورحمتي؟ ما أنا بالطّامح إلى السّعادة، بل إلى إنجاز مهمّتي أطمح!

لقد جاء الأسد، وأطفالي اقتربوا، لقد بلغ زرادشت النّضج وحانت ساعته: -

هو ذا صباحي، هو ذا نهاري ابتدأ: انهضي الآن، انهضي أيّتها الظّهيرة العظيمة!»

هكذا تكلّم زرادشت وترك كهفه متأجّجا وقويّا كشمس صباحية تطلع من الجبال المُعتمة.

العلامة

عند الفجر، طفر زرادشت خارج مرقده، وشدّ على حزمه وخرج من كهفه مشعّا ومرحا كشمس صباحيّة طالعة من خلف الجبال الدّاكنة.

«ما زالوا نيامًا، صرخ، بينما أنا أفقتُ ـ ليس هؤلاء بالرّفاق الحقيقيّين، هؤلاء الرّاقون. غيرهم، وهم راقون أيضا، بالضّرورة آتُون، وفي مزاج أرقى وأكثر حُريّة وأكثر إشعاعا ـ أُسودٌ مرحة عليها أنْ تأتي إليَّ: لن أُبالي بهذا الشّقاء الشّديدِ والضّئيل والغريب!

هؤلاء هم الذين سأنتظرهم منذ الآن، هؤلاء سأنتظرهم.» هكذا كان زرادشت يتكلّم مهموما أمام كهفه. «من وَجب أن يكون سيّد الأرض؟ قالها ثانية. أوّاه! بالتأكيد ليسُوا هؤلاء ـ أُفضّلُ تحطيمهم بمطرقتي. لكنّني أنا ذاتي مطرقة. إنّهم يحتملون البقاءَ على الأرض عندما نجعلُهم نَضِرين من المُتعةِ والرّغبات الأرضيّةِ، عندما نُكلّمهم بقلبٍ مفتوحٍ، ببساطة، كيف استطاعوا البقاء على الأرض؟ باسم الأرضِ أخجلُ من حديثٍ كهذا.

أُفضِّلُ حواليّ دوابَّ ضاريةٍ ومتوحّشةٍ على هؤلاء المُخفقين الوديعينَ: كم أرغبُ أن أكون سعيدا، فأرى أعاجيب الشّمس الحارّةِ ثانيةً ـ كلَّ الدّوابِ الجميلة المعافاة التي تعتزُّ الأرض بها. هل خابَ الإنسان معكم إلى هذا الحدّ؟ وارِد جدّا! لكنّ الأسَدَ مُوفّق.»

ومن جديد غرق زرادشت في أفكار بعيدة، في أصقاعٍ بعيدة، وفي صمتٍ يفلتُ من صميمِ قلبهِ، وظلّ بدون حيواناتٍ شهيدةً.

/ الدّيوان/

مزاحٌ ومكائدٌ وثأرٌ

تقاسيم على القوافي

١ دعوة

تذوّقوا طعامي، أيّها الشّرهون!
غدا تجدونه أفضل،
وبَعده ممتازا!
وإذا لزمكم أكثر ـ عندها
سبعة أشياء قديمة، مقابل سبعة جديدة،
تهبُني الشّجاعة.

٢ سعادتي

منذ صرتُ من البحث مُتعَبا
تعلّمتُ أن أجد.
منذ أن وقفتْ لي ريح بالضدّ
صرت أُبحر مع كلّ الرّياح.

٣ جرأة

أينما كنتَ، احفر عميقا،
عند رجليكَ توجد العين

اترك الظّلاميّين يصرخون:
«يوجد الجحيم دوما ـ في الأسفل!»

٤ حوار

أ. هل كنتَ مريضا؟ هل شُفيت؟
ولكن من كان طبيبي؟
كيف استطعت نسيان هذا!
ب. الآن فقط، أظنّك شُفيت.
لأنّ من ينسى، في صحّة جيّدة يكون.

٥ إلى أصحاب الفضيلة

ليكن خطوُنا خفيفا:
كما أبيات هوميروس، جيئةً وذهابا.

٦ حكمة العالَم

لا تقف على أرض وطيئة!
ولا تصعد عاليا جدّا!
العالَم هو الأجمل،
امض إلى منتصف المرتفع.

٧ تعالَ معي ـ تعالَ معك

هيأتي ولُغتي تجذبانك،
أتقتفي أثري، أتريد أن تتبعني؟
اتّبعْ ذاتك بأمانة: ـ
ورويدا رويدا ستتبعني!

٨ عند تبدّل الجلد ثالثة

الآن جلدي يتشقّق
الآن رغبة الثّعبان فيّ،
برغم الأرض الممتصّة،
تشتهي الأرضَ الجديدة:
الآن أزحف بين العشب والحجر،
جائعا، على دربي المُلتوي،
لآكل ما دوما أكلتُ
قُوتَ الثُّعبان، الثّريّ!

٩ ورودي

نعم! سعادتي تريد أن تُسعِد!
كلُّ سعادة ترغب أن تُسعِد!
هل تريدون قطف ورودي؟

وجب عليكم الإنحناء والإختفاء
وسط العوسج والصُّخور
وغالبا لعق الأصابع!

سعادتي ساخرة!

سعادتي خؤونة!.
هل تريدون قطف ورودي؟

١٠ المزدرون

لأنّي بلا تبصُّر أنتشر

تنعتونني بالمُزدري.
من يعرج في القادح الطّافح
يتركها بلا تبصّر تفيض ـ
لا تُسيؤوا الظنّ أكثر بالخمور.

١١ قول مأثور يقول

صارمٌ وطيّع، غليظ ولطيف
مألوف وغريب، قذرٌ وصاف،
مَوعدُ المجانين والعقلاء:
أكون، أريد أن أكون هذا كلّه،
في الآن ذاته ثعبانا وخنزيرا ويمامة.

١٢ إلى صديقي ضياء

إذا كنتَ لا ترغب لعينيك ولحواسّك أن تضعف
فاركض وراء الشّمس ـ تحت الظلّ

١٣ لأجل الرّاقصين

جليد أملس،
جنّة
لمن يتقن الرّقص أفضل.

١٤ المقدام

عداوة بسيطة أفضل
من صداقة الخشب المُعاد إلصاقهُ.

١٥ صدأ

لا بُدّ أيضا من الصدأ: السّلاح الحادّ لا يكفي
وإلاّ ظلّوا يقولون عنك: «ما زال جِدُّ صغيرا»!

١٦ نحو الأعالي

«كيف أرتقي الجبال أفضل؟»
اصعد دوما
دون أن تَشغل ذاتك، بذلك.

١٧ حكمة الرّجل العنيف

لا تطلب شيئا أبدا! ما جدوى التّأوّه!
بل خُذ، أرجوك، وعلى الدّوام.

١٨ نفوس صغيرة

أكره النّفوس الصّغيرة
لا شيء فيها جيّد، وعلى التّقريب لا شيء رديء.

١٩ السّاحر اللاإرادي

لتَمضِية الوقت رمى بلفظة جوفاء،
غير أنّ امرأة بسببها سقطت.

٢٠ للاعتبار

غمّان أيسرُ حِملاً
من واحد: هَلاّ جرّبتَ حضّك؟

٢١ ضدّ الخُيلاء

لا تَنْتَفِخْ، فإنّ
أقلّ وخزة تُفزّرك.

٢٢ رجل وامرأة

«اخطف المرأة التي ينبض من أجلها قلبك!»
كذا يفكّر الرّجل: المرأة لا تَخطف، إنّها تَسرق.

٢٣ تأويل

أنا إن نظرتُ جيّدا في داخلي، وضعتُني داخلها.
لا أقدر أن أكون مُؤوّلي الذّاتي.
وحده الذي يفيق على صوته الخاص
معه يحمل إلى الضّياء صورتي.

٢٤ دواء للمتشائم

تشتكي من غياب ما يكون على ذوقك؟
إذن ما زلتَ على أهوائك الماضية؟
أسمعُكَ تُقسم، تلغط، تتفل ـ
أفقد صبري، قلبي يتحطّم.
اسمع، صديقي، بحريّة عليك أنْ تعزم
على ابتلاع ضفدعة بدينة،
سريعا، وبدون أن تُلقي عليها النّظر! ـ
علاجُك النّاجع ضدّ التُّخمة!

٢٥ صلاة

أعرفُ فكر العديد من النّاس

وأجهلُ من أكون!
عيني منّي أقرب ممّا يجب ـ
لستُ أنا من أتأمّل.
أعرفُ كيف أكون أكثر نفعا لذاتي،
إنْ وجدتُني عنها بعيدا.
ليس بالتّأكيد أبعد من عدوّي!
الصّديق الأقرب قد نأى بعدُ
ومع ذلك فهو ماثل في الوسط بيني وبينه ـ
هل خَمّنتمُ طلبي؟

٢٦ صلابتي

عليّ المرور بمائة درجة،
عليّ أن أصعد، أسمعكم تُنادون:
«أنتَ صلب! هل نحن إذن من حجر؟» ـ
عليّ المرور بمائة درجة.

٢٧ المسافر

«لم يبق درب! هُوّة في النّواحي وصمت الموت!»
أنتَ أردتَ ذلك! إرادتك انزاحت عن الدّرب!
أيّها الجسور، المسافر، حان الوقت! النّظرة ذابلة وصافية!
لقد ضُعتَ إنْ أنتَ آمنتَ بالخطر.

٢٨ تعزية إلى المبتدئين

انظروا الطّفل،
الخنازير حوله تتذمّر،

مُتحرّرا من كلّ قيد، مثنيّة أصابع قدميه!
لا يعرف غير البُكاء ـ
متى يتعلّم المشي والوقوف منتصبا؟
لا تخافوا! قريبا، على ما أظنّ
ترون الطّفل يرقص!
سترونه، منذ تعلّمه الوقوف على رجليه
على رأسه منتصبا.

٢٩ أنانيّة النّجوم

إن أنا ما دُرتُ حولي بلا انقطاع،
كبرميل يُدحرجونه
فكيف لي بالجرَيان وراء الشّمس الحارقة
دون أنْ أشتعل؟

٣٠ الآخر

لا أُحبّ أنْ يكون الآخر بالقُرب منّي:
ليمض إلى الأقاصي والمُرتفعات!
بغير ذلك، أنّى له أنْ يصبح نجمي؟

٣١ القدّيس المُقنّع

حتّى لا تخنقنا سعادتك،
أنتَ تحتجبُ عن خدعة الشّيطان،
عن روح الشّيطان، عن لباس الشّيطان.
ولكن بلا جدوى!
الطّهر يُفلتُ مِن نظراتك.

٣٢ الخاضع

أ. يقف ويستمع: مَن الذي استطاع أن يخدعه؟
ما الذي سمعه يطنّ في أذنيه؟
ما الذي استطاع هدّه إلى هذه الدّرجة؟
ب. ككُل الذين حملوا أغلالا،
ضجّة الأغلال أنّى كان تتبعه.

٣٣ المتوحّد

أكره الانقياد كما أكره أن أقود.
أن أُطيع؟ لا! وأبدا لن أَحْكُمَ!
من ليس لذاته مُرعبا، لأحد بالرُّعْبِ لا يوحي
وحده الذي بالرُّعْبِ يوحي بإمكانه أن يقود الآخرين.
كنتُ كرهتُ قيادة ذاتي من زمنٍ
لأنّي أحبّ كما حيوان الغابات والبحر،
لحين أضيع
حالِما، في صحارٍ لطيفة أجلس القرفصاء،
وأطلب ذاتي أخيرا مِن الأبعد،
وأُغرِي بذاتها ذاتي.

٣٤ سينسيك وكلّ هذي السّلالة

يكتُبون ويكتُبون حماقاتهم
غير المُحتمَلَة والرّصينة
كأنّ المطلوب هو الكتابة أوّلا ثمّ التّفلسف.

٣٥ بوضة

نعم، مرّات أصنع البوضة:
فهي للهضم نافعة!
إذا كان لكم الكثير ممّا تهضمون،

آه! كم ستُحبّون ما أصنع.

٣٦ كتابات الشّباب

بدء حكمتي وانتهاؤها
لي قد تجلّيا: ما الذي سمعته؟...
رنينهُ الآن مختلف تماما،
لا أسمع غير آه وأوّاه!
غير اجترار شبابي القديم.

٣٧ حذار!

ليسُ من الجيّد أن تسافر الآن في هذي البقاع:
وإذا كنتَ نبيها فاحترس مرّتين!
ستجذبك، ستُحبّك حتّى تمزّقك،
العقول المهتاجة: دوما إلى التّعقّل تَفتقر!

٣٨ الورع يتكلّم

الله يُحبّنا لأنّه خلقنا! ـ
«خلقَ الإنسانُ الله!» إنّها إجابتكم البارعة.
وهو لا يحبّ ما خلق؟
ولأنّه خلقه توجّب عليه إنكاره؟
إنّها لحكمة تعرج، إنّها تحمل نعل الشّيطان.

٣٩ في الصّيف

علينا أن نأكل خبزنا
بعرق جبيننا؟
الأفضل ألاّ نأكل شيئا حينما عرقى نكون،
حسب النّصيحة الرّصينة للأطبّاء.
تحت القيظ، ما الذي تعنيه هذي العلامة المُشتعلة؟
بعرق جبيننا
علينا أن نشرب خمرنا.

٤٠ بلا رغبة

بلا رغبة نظرتهُ ولهذا تمجّدونه؟
هو لا يهتمّ كثيرا بأمجادكم
له عين النّسر، للأقاصي،
وهو لا يراكمُ! ـ إنّه لا يرى غير النّجوم.

٤١ هيراقليطيّة(٩)

كلّ سعادة على الأرض،
أيّها الأصحاب، في الصّراع تكمن!
نعم، فلكي نصبح أصدقاء
لا بُدّ من دخان البارود!
لثلاث قد التقى الأصحاب:
اخوةً أمام الفاقة،
سواسية أمام العدُوّ،
أحرارا ـ أمام الموت.

٤٢ مبدأ المفرطين في الحذق

المشي على رُؤوس الأصابع أَولى
من السّير على أَربع قوائم، والمُرورُ
عبر ثقب القفل أَولى من المُرور
عبر الأبواب المُشرَعة.

٤٣ نصيحة

أطامح إلى المجد أنت؟
إليك إذن بالنّصيحة:
كُن حرّا، وفي الوقت المناسب،
تنازل عن المجد!

٤٤ في العمق

باحثٌ أنا! ـ احذر هذه الكلمة! ـ
أنا ثقيل فقط ـ وزني يجاوز المعدّل! ـ
ولا شيء أفعله عدا أنّي على الدّوام أقع
لكي أسقط،أخيرا، حتّى الأعماق.

٤٥ إلى الأبد

«اليوم آتي لأنّ ذلك يُعجبني» ـ
كذا يفكّر كلّ من أبديّا يجئ.
وما همّهُ ما يقول العالَم:
«إنْ جئْتَ قبلَ الأوان،جئْتَ بعد الأوان!»

٤٦ أحكام النّاس المتعبين

كلّ المُنهكين يلعنون الشّمس:
فعندهمُ، أنّ قيمة الأشجارِ ـ هي في الظلّ!

٤٧ منحدرٌ

«إنّه ينحني، إنّه يسقط» ـ كتبتمُ أيّها السّاخرون؛
الحقيقة أنّه نحوكم ينزل!

كانت سعادتُهُ الكُبرى شقاءه
ضياؤه الأكبر يتبع ظُلمتَكُم.

٤٨ ضدّ القوانين

بدءا من اليوم أُعلّق في عُنقي
بحبل متين، ساعة تُعلن الأوقات:
بدءا من اليوم يقف سير النّجوم،
والشّمس، وصياح الدّيك، والظّلال:
وكلّ ما يُعلنه الوقت دوما هو الآن،
أبكمُ وأخرسُ وأعمى: ـ
بالنّسبة إليّ كلّ طبيعة تصمت
عند دقّات القانون والسّاعات.

٤٩ الحكيم يتكلّم

غريبا عن الشّعب ومع ذلك نافعا له،
أتبع طريقي، مرّةً شمسٌ، وأُخرى سحبُ ـ
ودوما أعلى من هذا الشّعب

٥٠ ضياع الرّشد

الآن صارت نبيهةً ـ فكيف أَمكنها ذلك؟
ـ بسببها رجل فقد صوابه،

كان غنيّ الرّوح قبل تلكُمُ التّسلية الرّديئة:
لقد ذهب إلى الشّيطان ـ لا إلى المرأة!

٥١ وصايا ورعة

لتذهب كلّ المفاتيح إذن سريعا إلى الضّياع
وَلْيُدَرْ مفتاحٌ شامل في كامل الأقفال.
كذا في كلّ حين يُفكّر،
الذي هو ذاتهُ ـ مفتاح عمومي.

٥٢ الكتابة بالرّجل

أنا لا أكتبُ باليد وحدها،
الرّجل أيضا تريد على الدّوام أن تكتب.
صلبة، حُرّة وشُجاعة، تريد أن تكون،
مرّة على الحقول ومرّة، على الورقة.

٥٣ إنساني، إنساني بإفراط/ كتاب

مُكتئبا، خجولاً ما دمتَ إلى الوراء تنظر،
واثقا مِن الآتيّ أنّى وثقتَ في نفسك.
أيّها الطّائر، أَعَلَيّ وضعك في عِداد النّسور؟
هل أنتَ البومة الأثيرة لآلهة الحكمة مِينيرفه.

٥٤ إلى قارئي

فكٌّ جيّدٌ ومعدةٌ جيّدة ـ
هذا ما أرجوه لك!
وحين تكون هضمتَ كتابي، حينها
تكون على اتّفاق معي!

٥٥ الرسّام الواقعي

«مخلصٌ للطّبيعة وكامل الأوصاف!» كيف أمكنه ذلك:
منذ متى الطّبيعةُ في لوحة مستنفذة؟
لانهائيّ هو أصغر الأجزاء في العالَم! ـ
في النّهاية يرسم منه ما يُعجبه.
وما الذي يعجبه؟ إنّه ما يعرف رسمه.

٥٦ ازدهاء الشّاعر

اعطوني غراء،
وسأجد بذاتي،الخشب للإلصاق!
إنّ وضع معنًى
في أربع من القوافي الخرساء ـ
لا يكفي للإزدهاء.

٥٧ الذّوق الذي يختار

لو تُرك لي الاختيار بحريّة
لاخترتُ ليَ،عن طِيب خاطر مكانا صغيرا، وسط الجنّة:
وعن طيب خاطر أكبر، أمام بابها!

٥٨ الأنف المعقوف

وَقحا، يتقدّم الأنفُ في العالَم.
الخنّابةُ تنتفخ ـ لذلك،
دينصورا بلا قرون،أيّها الرّجل المُتعالي،
دومًا إلى الأمام تقع!
وعلى الدّوام مُجتمعيْن،يعترضاننا:

العزّةُ المُستقيمة والأنفُ المعقوف.

٥٩ الرّيشة تخربش

الرّيشة تخربش: يا له مِن جحيم!
هل كُتِبَتْ عليّ الخربشة؟
لكنّني بشجاعة أمسكُ بالمدواة،
وبسيل من الحبر أكتب.
يا للتدفّق الجميل والشّاسع والممتلئ!
كم أنّني مُوفّق في كلّ ما أنجزه!
الخطّ، بالفعل، يفتقد الوُضوح ـ

وما هَمّني! من يقرأ ما أكتب؟

٦٠ النّاس الرّاقون

ذاك ينهض ـ وجب امتداحه!
لكنّه يُقبل من أعلى!
حتّى أنّه يعيش فوق المديح،
إنّه من الأعلى!

٦١ المُرتاب يتكلّم

نصف العمر منكَ قد رحلَ
عدّاد السّاعة يدور، روحك ترتعدُ!
لزمنٍ طويلٍ
تائهةً كانت، تُفتّش ولا شيء تَجد ـ أهيَ الآن في حيرة؟
نصفُ العمر منك قد رحل:
كان عذبا، ومن ساعة إلى أُخرى خطايا!

ما الذي ما زلتَ عنه تفتّش؟ ولماذا؟
إنّ ما أبحث عنه ـ عقل العقل!

٦٢ هو ذا الإنسان[١٠]

نعم، أعرف جيّدا من أين جئتُ!
ظامئًا كما الشّعلة، أضطرمُ كي أفنى.
ضياءً يُصبح ما أمسكه،
وما أتركهُ فحما يصير: لأنّني بالتّأكيد شعلة.

٦٣ سيرة النّجم

مقدّرةٌ على مدارِكَ العتمة،
وما همّكَ أيّها النّجم؟

دُر أيّها السّعيدُ، عبر هذا الوقت!
وليكُن شقاؤهُ عنكَ غريبا وقصيّا!

إلى العالَم الأكثر بُعدا، أنتَ تُرسل بالضّياء.
وعندكَ، واجبٌ على الرّحمة أن تكون خطيئة!

وأنتَ لا تقبل إلاّ بشريعة واحدة: كُن صافيا!

أغاني الأمير الحرّ كما الطّير[١١]

إلى غوته

الخالدُ
ليس إلاّ علامة!
الإله المُخاتل
دجل الشّاعر.

عجلة الكون
من غاية إلى أُخرى تدور:
تُسمّيها الكراهية بُؤسا،
يقول المجنون إنّها لُعبة...

لُعبة العالَم القهريّة،
تمزج الموجود بالظّاهر ـ:
الجُنون الأزليّ
يمزجنا بها!...

موهبة الشّاعر

من فترة قصيرة
كنتُ جالسا، طلبا للرّاحة تحت ظلّ الشّجرة،

حين سمعتُ دقّاتٍ كأنّها الإيقاع ناعمة،
كدتُ أغضبُ، وقطّبتُ وجهي، ـ
أخيرا، إلى الانصياع، بيَ الأمر أفضى،
كما الشّاعر
شرعتُ في التّكتكة.

حَرْفا بحرفٍ
كنتُ أُنجزُ أبياتا،
فجأة أخذتُ في الضّحك،
لربع السّاعة أخذتُ في الضّحك،
أنتَ الشّاعر؟ أنتَ شاعر؟
هل رأسكَ إذن مُشوّشٌ؟
«نعم، سيّدي، إنّك شاعر!»

من الذي في الدّغل أنتظرُه؟
يا قاطع الطّريق، ما الذي تريد أن تُفاجئه؟
حكمة، صورة؟
وسريعا أضع القافية.
كلّ ما يزحف، كلّ ما يحجل،
سريعا،
منه يبدع الشّاعر بيتا.
ـ «نعم، سيّدي، إنّك شاعر!»

القوافي، نعم، هي كالسّهام،
الكلّ يضطرب ويرتعش،

عندما السّهم يخترق جسم البهيمة!
واحسرتاه! لو لا أنّ ذلك من شدّة السّكر.
«نعم، سيّدي، إنّك شاعر!»
الطّيرُ ينقرُ، ويهزّ الكتفين.

آياتٌ محنيّةٌ مُتعجّلة،
كلماتٌ صغيرةٌ مجنونةٌ تَحثُّ الخُطى!
إلى أن يصبح الكلّ، سطرًا
بعد سطرٍ بالقيود مُعلّقا.
يوجد أُناس عنيفون،
أهذا مُسَلٍّ؟ شاعر بلا عاطفة؟
ـ «نعم، سيّدي، إنّك شاعر!»
الطّير ينقُرُ، ويهُزّ الكتفين.

أيّها الطّير، أتسخر؟ أترغب في الضّحك؟
هل أنّ رأسي مُشوّش؟
وهل قلبي مثلهُ؟

في الجنوب

على جذع شجرة، ها أنّي، معلّقا
أُهدهدُ تعبي.
نزيلٌ عند طائر، أنا، أرتاح في عشّه.
إذن أين أنا؟ بعيدا! واحسرتاهُ، بعيدا!

البحر الأبيض نائم،

على سطحه أشرعةٌ من الأُرجُوان.
صخرة، شجرة تين، والبُرج والميناء،
غزلٌ في النّواحي، ثغاء شياه،
يا نقاوة الجنوب احضنيني!

وجبَ السّير ببُطء ـ يا لها مِنْ عيشة!
هذه الهيأة،
ألمانيّا تجعلُ المرءَ ومرتبكا تُصيّره.
قلتُ للرّيح أن تَحملني،
والطّائر علّمني التّحليق.
مررتُ فوق البحر نحو الجنوب.

عقلٌ، وقضايا مُحزنة!
وإذن فالغاب جدّ قريب.
علمتُ، وأنا أُحلّق، ما الذي كان يخدعني.
أُحسُّ بالنّسغ يصعدُ وبالشّجاعة
لعيشٍ جديد، ولَعبٍ جديد...

وحيدا تُفكّر، تلك تلك مأثرة،
وحيدا تُغنّي، فذلكَ تَبلّد!
إليكَ النّشيد إكرامًا لكَ
اجلس إلى جانبي،
صامتا، أيّها الطّائر الخبيث!

فتيٌّ، كاذبٌ، متشرّدٌ،
حتّى بدوت لي

كأنّك للحبّ وُجدتَ،
و لكلّ أصناف التسلّي؟
في الشّمال، ـ أتهيّبُ الاعتراف بهذا، ـ
أحببتُ امرأة، هرِمة إلى حدّ البُكاء:
«حقيقة» هو الإسم لهذه الهرمة.

التقيّة

ما دامَ جسمي جميلاً، فإنّه
يحقّ لي أن أكون تقيّة.
معلوم أنّ الله يُحبُّ النّساء،
والجميلات منهنّ أوّلا.
أنّه يغفر، أنا متأكّدة،
للخوريّ الصّغير أن يُحبّ، كبعض الخوريّين الصّغار،
وأن يكون إلى جانبي.

ما هو بِراهبُ كنيسة!
لا، إنّه شابّ، وغالبا أحمر،
برغم السّكرات المعتمة والملأى
بالعذابات والغيرة.
يكرهُ كلّ العُجز،
لا يحبّ الطّاعنين في السنّ؛
كم من الحكمة كان يلزمهُ
حتّى يتدبّر الإله، الأب، أمرهُ!

الكنيسة تُتقن الحياة،

تستبطن القلوب والوجوه.
على الدّوام تريد أن تغفر لي ـ
ومَن إذن لا يغفر لي؟
يهمسون، وينحنون، ثمّ كلّ إلى سبيله
حاملاً معه خطيئتهُ الجديدة،
وبأسرع ما يكون يمحون القديم.

ليُبارَكَ اللهُ على الأرض
الذي يُحبّ الجميلات،
ويغفر لذاته عن طيب خاطر
هذا النّوع مِنْ ألم القلب.
ما دام جسمي جميلا، فإنّه
يحقّ لي أن أكون تقيّة:
فيوم أصير عجوزا
سيقبل الشّيطان للبحث عنّي!

القارب الغامض

البارحة، عندما الكلّ نِيامٌ،
وفي الشّارع بالكاد نستمع
إلى تأوّهات الرّيح المريبة،
أُذنايَ لم تسمحا لي بالرّقاد
ولا الخشخاش، ولا ما يُعيد إليّ الرُّقاد، ـ شعور جيّد.

أخيرا، مُتنازلاً عن النّوم أُسرع نحو الشّاطئ.
ساطعا كان القمرْ،

والطّقس لطيفا ـ وعلى الرّمال السّاخنة،
وجدتُ الإنسان ومعه قاربه.
كان الإثنان غارقين في النّوم، الرّاعي وشاته: ـ
غافيًا ترك القاربُ الضفّة.

مضت ساعة، وربّما ساعتان
ولعلّها كانت سنة؟
عندما فجأة أحاسيسي وفكري غرقت
في لا شُعور أزلي،
ولُجّة تُفتح،
بلا حدٍّ:ـ قد انتهى الأمر!

ـ طلع النّهار،
فوق هُويّ معتمة
قاربٌ يرقدُ ويُطيل الرّقاد ـ
ما الذي حدث؟ صرخة تعلو،
مائة صرخة: ما الذي حدث؟ دمٌ؟ ـ
لا شئ وقع! لقد نمنا، ونمنا،جميعا، ـ
واحسرتاه! كان ذلك جيّدا! جيّدا جدّا!

بوحٌ بالحبّ
/حيث الشّاعر في حفرة وقع/

آهٍ! يا للرّوعة! أما زال يطير؟
جناحاهُ ساكنان ويعلو؟
ما الذي يحملهُ ويعلو بهِ؟
إلى أين الآن غايتهُ، طيرانهُ، انطلاقته؟

كالنّجم والخُلود،
يعيش على المُرتفعات أين تنأى الحياة،
مُشفِقا، حتّى على الحسد ـ؛
قد علاَ عاليًا مَن رآهُ يُحلّق!

آهِ! أيّها القطرس، أيّها الطّائر!
رغبة أبديّة تدفعني إلى المُرتفعات.
فكّرتُ فيك: وإذا بالدّمع
قد سال تِباعا ـ نعم أُحبّك.

نشيد راع للماعز تيوكريتي

مريضا نمتُ
البقُّ يأكلني.
ما زال هناك ضوء وضجيج
أسمعهم يرقصون...

كانتْ، في تلك السّاعة، ترغب
أن تنسلّ إلى عندي،
كما الكلبُ انتظر
ولا قادم إلى عندي.

علامةُ الصّليب هذه
أكانت في وعودها كاذبة؟
أم أنّها وراء الكلّ تعدو،
كما تفعل عنزاتي؟

مِن أين جاءها فُستان الحرير؟
أيّتها الفخورة؟
أمازالت تيوس،
في هذه الغابه؟

يا للترقّب المتلهّفِ
يُعكّر ويُؤذي!
كذا يطلع في الليل النّدي
فطر الحديقة السّام.

الحبّ يقضمُني
كما الشّرور السّبعة، ـ
لم تعد لي رغبة في شيء
وداعا مشاغلي!

في البحر قد نام بعدُ القمرُ،
و كلّ النّجوم مُرهقة
رماديّا يجئ الصّباح
أريد أن أموت.

هذه الأرواح المتردّدة

هذه الأرواح المُتمرّدة
أحقد عليها حتّى الموت.
عذابٌ كلّ عزّتهم
مخزية مدائحهم.

لأنّني لا أَعبُر الأزمنة
من نهاية شاطئهم،
سمُّ الرّغبة العذب واليائس
في نظرتهم يحيّيني.

ليشتمونني بشجاعة
حين يُديرون الظّهر لي
هذه العُيون المتوسّلة والشّاردة
دائمة الانخداع بي.

مجنون في قنوط

واحسرتاه! ما كتبتهُ على الطّاولة والجدار
بقلب المجنون فيّ ويدِهِ
عليه أن يُزيّن لي الطّاولةَ والجدار. . .

لكنّكم تقولون: «يدَا المجنون تُخربشان ـ،
ويجب تنظيف الطّاولة والجدار
إلى أن يغيب آخر الأسطر!»

بإذنكم، سأُعينكم في ذلك ـ،
فقد تعلّمتُ استخدام الممسحة والمكنسة،
كناقدٍ وعاملٍ يدوِي.

ولكن عندما الشّغلُ ينتهي،
أحبّ أن أراكمُ، يا كبار الحُكماء،
بالبراز تُلطّخون الطّاولة والجدار.

القوافي كعلاج
أو: كيف يتعزّى الشّعراء العليلون

أيا ساحرةَ الوقت،
من فمكِ اللاعبِ
بطيئةً تسيل السّاعة تلو السّاعة.
بلا جدوى نفوري كلّه يصرخ
«اللعنة على هاوية
الخُلود!»

العالَمُ ـ مِن برونز:
ثورٌ هائج ـ أصمّ تُجاه الصّرخات.
بِوَمض السكّين وجَعي يكتب
«في دماغي
ليس للعالَم قلبٌ
وجُنون على ذلك أن نُعاتبهُ!»

اسكب الخشخاش كلّه،
في دماغي، واسكب السمّ والحمّى!
مِن زمن نأى وأنتَ تسأل جبهتي ويدي.
ما الذي تطلبه؟ ماذا؟ «بأيّ ـ سعرٍ؟»
ـ آهٍ! اللعنة على البنتِ
وعلى هُزئها!

لا! ارجعي!
في الخارج بردٌ، إنّي أسمع المطر ـ

أَعليّ أن أكون لطيفا أكثر معكِ؟
ـ خُذي؛ إليكِ الذّهب: كم القطعةُ تَلمع! ـ
أعَليَّ أن أُسمّيكِ «سعادة»؟
أيّتها الحمّى، أعليّ أن أُباركَكِ؟ ـ

البابُ يُفتح،
مِدرارا إلى سريري ينزل المطرُ!
الرّيح تُطفئُ الأضواء ـ يا للشّقاء!
ـ الذي ليس له الآن مائة قافية
أُراهنُ، أُراهنُ أنّه
لن يُفلت بجلده.

«سعادتي!»

ثانيةً أرى الحمامَ في ساحة القدّيس مَرقِص:
السّاحة صامتة، فيها الصّباح يرتاح.
في النّضارة العذبة، مُتراخيا أرسل بالأغاني،
كسرْب حمام في السّماء الزّرقاء
وأدعوها من العالي،
قافية أُخرى على الرّياش أُعلّقها
ـ يا لَسعادتي! يا لسعادتي!

يا قبّة السّماء الزّرقاء الصّافية، يا قبّة الحرير
يا من تُحلّقين على الصّرح المُتعدّدة ألوانهُ الواقية
الصّرح الذي أحبُّ ـ، بل الذي أخشاهُ وأحسدهُ...
كم أكون سعيدا إن أنا أفرغتُ روحه

وهل سأردّها لهُ؟
لا، لا يحتاج هذا إلى جواب، أيّها الغذاء الرّائع للنّظر!
ـ يا لسعادتي! يا لسعادتي!

يا بُرج الأجراس القاسي، بأيّة طاقة أسديّة
مُنتصرا، بلا مَشقّة، هنا ترتفع!
تُغطّي السّاحة بصوت أجراسك العميق ـ:
سأقول إنّك نبرتها القصيرة!
فإنْ أنا بقيتُ هناك مثلك
فإنّني سأعرف بأيّ إرغام عذب كالحرير...
ـ يا لسعادتي! يا لسعادتي!

أيّتها الموسيقى ابتعدي، واتركي الظّلال تشتدّ وتنمو
فتصبح الليل الدّاكن واللذيذ!
فما حان بعدُ أوانُ الإيقاعات، زخارف الذّهب
وميض في بهائها الوردي،
لمّا تواصل بريقها بعدُ
بقي الكثيرمن النّهارات،
للشّعراء، للأشباح والمتوحّدين
ـ يا لسعادتي! يا لسعادتي!

نحو البحار الجديدة

إلى هناك ـ أريد الذّهاب، وعندي مِن زمن
ثقة في ذاتيَ وفي مواهبي كطيّار،
الطّبقة المائيّة الشّاسعة للبحر تتّسع

وقاربي الجنيويُّ نحو الأزرق يُبحرُ.

الكلّ في سنائه الجديد يضيءُ لي،
والجنوب ينام فوق المكان والزّمن ـ:
وحدها عينك الشّيطانيّة
تُثبّتُ أنظارها فيّ، أيّها اللانهائي. . .

مدينة سيلس ـ ماريا

جالسا كنتُ هنا ـ في انتظار اللاشيء،
أبعد من الخير والشرّ مُستمتعا، مرّةً
بالضّياء، ومرّة بالظلّ، ومُستسلما
لهذه اللعبة، للبُحيرة، للجنوب، للوقت بلا هدف.
حينها، أيّها الصّاحب، فجأة صار الواحد اثنين ـ
وزرادشتُ مرّ بالقرب منّي. . .

ريح الشّمال
/ أغنية للرّقص/

أيّتها الرّيح العنيفة، يا صيّادةَ السّحب،
يا قاتلة الكآبة، يا كنّاسة السّماء،
أنتِ يا مَن تئنّين، كم أُحبّكِ!
ألسنَا البشائر
لذات البواكير،
ذات المصير الواحد منذ الأزل؟

هنا، على الطّرقات الصّخرية الزّالجة،
راقصا إلى لقياك أهرع

راقصا على إيقاعكِ وغنائكِ:
أنتِ يا من بلا مجاذيف وقارب،
يا شقيقة الحرّية،
تثبِينَ فوق البحار المُتوحّشة.

ما كدتُ أفيقُ حتّى سمعتُ نداءكِ،
فأسرعتُ نحو الجرف،
نحو الصّخور الصّفراء على حافّة البحر،
مرحبا! ها أنتِ شبيهة المدّ المضيء.
السّيل ماسي،
تنزلين مِن الجبالِ منتصرة.

علَى سطوح السّماء الملتحِمة،
رأيتُ خيولكِ تعدو،
رأيتُ العربة التي تحملُكِ،
رأيتُ حتّى حركة اليد
على ظهور الخَيلِ،
كالبرق تهوي بسوطها.

مِن العربة رأيتُكِ نازلةً
تستعجلين السّباق،
قصيرة كما السّهم رأيتكِ
مستقيمة تطلعين في الوادي، ـ
كشعاع مُذهّب يعبرُ
وُرودَ بداية الفجر.

علَى ألف متنٍ ارقصي الآن
على مُتون الصّفائح الخادعة
التّحيّة لمن أبدع رقصات جديدة!
لنرقُص إذن بألف طريقة،
ليكن اسمُ فنّنا ـ الحُرّ!
ولنُسمِّ مَرحًا ـ عرفانَنا!

لننتزع مِن كلّ نبتة زهرَة
على شرفنا، وَورقتين لتاج!
ولنرقص
كما الشّعراء الجوّالون
مع العاهرات والقدّيسين،
رقصة ما بين الله والعالَم!

الذي هو
مع الرّيح لا يعرف الرّقص،
الذي كما العجوز بالمحارم يلتفّ،
الذي هو
منافقٌ وفخورٌ وخيّر عن خداعٍ،
عليه بترك جنّتنا.

لنُطرِد غُبار الطّرقات
من فوق أنوف العليلين،
لنُروّع الواهنين،
لنُطهّر كلّ السّواحل

من لُهاثِ الصّدور النّاشفة
والعيون معدومةِ الجرأة.

لنُطرِد ما يكدّر السّماء،
وما يُعتّم العالَم، وما يجذب السّحب!
لنُضيء مملكة السّماوات!
لنجأر. . . أنتِ الحرّةُ
أكثر من كلِّ العقول الحرّة،
معكِ، سعادتي تجأرُ مثلما العاصفة.

وخذي،
كي تكون ذكرى السّعادةِ هذه خالدة،
خذي إرثَ هذا التّاج!
وارمي به عاليا، وارمي به نائيا،
مُباغتة به السلّم الملائكي
وثبّتيه على النّجوم، هنا.

أمثالٌ وفواصل للتسلية

٦٣

مَن وُلد ليُعلِّم لا يأخذ أمرًا بجدّ إلاّ تِبعا لطلاّبه - بما في ذلك ذاتَه.

٦٤

«المعرفةُ لأجل المعرفة» - ذاك هو الشَّرَكُ الأخير الذي تنصبه الأخلاق، ونحن مرّة أخرى واقعون تماما في أحابيلها.

٦٥

كَان يمكن للمعرفة أن تكون على شيء من الفتنة، لو أنّه ما وُجِد على طريقها الكثيرُ من الحُفَرِ للانتصار عليها.

٦٥ - أ

تُجاه إلهِهِ يكون أكثر خيانة: إنّه يمنعُ عنهُ الحقّ في المعاصي.

٦٦

الميلُ إلى الانحطاط، إلى قبولك بأن تُسرق، بأن تُخدع، بأن تُستغلّ، ربّما كانت رَزانةَ إلهٍ بين النّاس يُرزق.

٦٧

توحّشٌ هو حبُّ كائن واحدٍ، إذ أنّنا نُمارسهُ على حساب كلّ الكائنات الأخرى. كذلك حبُّ الإلهِ.

٦٨

«فَعلتُها» تقولُ ذاكرتي. «مستحيل» كبريائي يقولُ، وهو عن ذلك لا يتراجع. وفي الأخير- الذّاكرة هي التي تَخضع.

٦٩

نكونُ أسأنا رُؤية الدّنيا ما لم نرَ اليدَ التي، بكلّ لَباقاتها تَقتلُ.

٧٠

حِين يكونُ طبعُ المرء جميلاً، تكونُ له في الحياة تجربة جنسيّة على الدّوام تتكرّر.

٧١

الحكيمُ بما هو فلَكي - ما دمتَ تُحسّ بالنّجوم «أعلَى» منك، فإنّه ينقصك أيضا تطلُّع المعرفة.

٧٢

الكثافةُ لا تصنع العُظماء، بل ديمومةُ الشّعور الكبير.

٧٣

أَن يبلغ المرءُ مِثالهُ، فهو في نفس الوقت يتجاوزهُ.

٧٣ مكرّر

أَكثرُ مِن طاووس يُخفي عن الأنظار تبخترهُ، ويُسمّي هذا كبرياءهُ.

٧٤

النّابغةُ لا يُحتملُ، إذَا لَم يُضِف إلى خصالهِ إثنتين على الأقلّ: الشُّكرانُ والنّقاوة.

٧٥

دَرجةُ جنسيّةِ رجلٍ وطبيعتُها، نتعرّف عليهما حتّى في المناطقِ الأكثر علوّا في فكره.

٧٦

فِي زمنِ السِّلم، يُهاجم المقاتلُ ذاتهُ.

٧٧

المباديءُ تَصلحُ للاضطهاد، للتّعليل، للتّبجيل، للشّتم، لإخفاءِ العادات: واردٌ جدّا أن يكون لرجلين يمتهنان مبادئ متماثلة، مآربُ هي جذريا مختلفة.

٧٨

الذي يحتقر ذاته يُفرط أيضا في تمجيد احتقاره لذاته.

٧٩

إنّ رُوحا تعلمُ أنّها محبوبة، وبالمقابل لا تحبّ، تخون قاع البرميل: ثُمالتُها تصعد إلى السّطح.

٨٠

ما عاد يهمُّنا ما بان. . . ما الذي أراد قوله هذا الإله الذي نصح: «اعرف ذاتك بذاتك»؟ لعلّه كان يقصد: «كفّ عن الاهتمام بذاتك، كُن موضوعيّا!» - وسقراط؟ - و«أهل العلم»؟

٨١

أشنعُ الأمور أن تموت في عرض البحر عطشانا! هل وجب عليكم أن تضعوا في حقيقتكم مِن الملح ما يجعلها عاجزة، حتّى عن ريّ الظّمأ؟

٨٢

«الرّحمة للجميع» -، ولكنّها ستكون شدّة وطغيانا على موضعك، سيّدي يا جاري!

٨٣

الغريزة - عندما البيت يحترق، نحن ننسى حتّى العشاء.

- نعم، لكنّنا نستدرك الأمر بعد ذلك، على الرّماد.

٨٤

المرأة تتعلّم أن تكره بمقدار ما تنسى أن تَفتن.

٨٥

نفسُ الشّهوات ليس لها، عند الرّجل وعند المرأة، نفس الإيقاع: لذلك سوء التّفاهم بينهما لا حدّ له.

٨٦

النِّساء، ذاتهنّ، في المشهد الخلفيّ لغرورهنّ الشّخصي، تحافظن دوما على الاحتقار اللاشخصيّ «للمرأة».-

٨٧

قَلبٌ مغلول، فكر حرّ.- أن تصفد قلبَك وأن تُبقيه أسيرا، فذلك يسمح بإعطاء فكركَ الكثير مِن الحريّات. سبق أن قلتُ هذا، ولكن عدا الذين هم على علم بذلك، لا أحد يصدّقني.

٨٨

نَبدأ في الاحتراز مِن التّوابغ عندما نراهمُ مرتبكين.

٨٩

تَجاربٌ رهيبة تدفع إلى التّساؤل عمّا إذا لم يكن مَن عاشها رهيبا بذاته.

٩٠

إنّ ما يُثقلُ على الآخرين، الكراهية والحبّ، هو ما يخفّف عن الخطيرين والحزانى: إنّهم يصعدون للحظة إلى سطحهم الخاص.

٩١

بَاردٌ وجليديٌّ إلى حدّ احتراق أصابعنا! اليد التي تريد الإمساك به، مذعورةً تتراجع!– ولذلك، أكثر مِن واحد يتصوّرونه مُضطرما.

٩٢

مَن الذي لم يضحّ على الأقلّ مرّة في سبيل سمعته؟

٩٣

في الحفاوة لا مجالَ لأيّة ضغينةٍ بين الرّجالِ، ولكن، ولهذا السّبب بالذّات يوجد بينهم من الحقد أكثر ممّا يجب.

٩٤

نُصْح الرّجل: أن نستعيد الجِدّ الذي كنّا صغارا نضمّنهُ ألعابنا.

٩٥

أَن نخجلَ من فسقنا: إن هي إلاّ درجة أُولى؛ في الأخيرة سنخجلُ أيضا من خُلُقيّتنا.

٩٦

علينا أن نترك الحياة كما أُوليس لناوزيكا – شاكرين لا عشّاقا.

٩٧

رَجلٌ عظيم تقولون لي؟ أنا لا أرى إلاّ ممثّلا لمثاله الخاص.

٩٨

شُعور مُروَّض جدّا يقبّلُنا في الوقت الذي يَعضُّنا.

٩٩

مُستاء يتكلّم. – «تمنّيتُ صدًى، فما سمعتُ غير المديح»–

١٠٠

كلّنا نُوهم أعيننا بأنّنا أبرياء أكثر ممّا نحن بالفعل: هذا يريحنا مِن معاصرينا.

١٠١

اليوم، قد يشعر المرء عن طيب خاطر أنّه التّجسيم الحيوانيّ للإله.

١٠٢

إذ يكتشف المرء أنّه محبوب فذلك يوجب عليه بالمقابل أن يزيل أوهام المحبّ.

«ماذا؟ هل نَقنع بهذا القليل على حبّنا لك؟ هل نحن على هذه الدّرجة من التّواضع، أو من التبلّد؟ أو...؟ أو...؟»

١٠٣

الخطرُ في السّعادة. – «لا شيء يعمل الآن لصالحي، منذ الآن سأحبّ كلّ قدرٍ– من يريد أن يكون قدري؟»

١٠٤

لَيسَ بِرُّهم، بل عَجْزُ بِرّهِم، هو ما يمنع مسيحيّ اليوم عنّا– حَرْقُ الأحياء.

١٠٥

الخطيئةُ الطّاهرة، وأكثر منها، *الخطيئة الدّنسة* تنفرُ من الفكر الحرّ إلى «ورع المعرفة» *إنّها تصدم «ورعه»*.

مِن هُناك عدم الفهم العميق للكنيسة، الملازم «للفكر الحرّ» الذي هو غياب حُرّيَتِهَا.

١٠٦

المُوسيقى تسمح للرّغبات أن تستمتع بذاتها.

١٠٧

إذَا القرار اتُّخذ، عليك أن تبقى أصمّا تجاه أفضل الاعتراضات: برهانٌ مِزاجي. وهو إذن بالمناسبة إرادة أن تكون غبيّا...

١٠٨

لاَ تُوجد ظواهر أخلاقية، هناك فقط تأويل أخلاقيّ للظّواهر ـ ـ

١٠٩

غَالبًا ما لا يكون المجرم في مستوى جريمته: إنّه يستنقصها ويفتري عليها.

١١٠

نَادرًا ما يكونُ المدافعون عن المجرم فنّانين بما يكفي ليجعلوا من الجمال الرّهيب للجريمة يحكم لصالح موكّلهم.

١١١

عِندمَا تُجرح عزّتُنا، عندها يكون من الصّعب جدّا جَرحُ غرورنا.

١١٢

مَن يشعر أنّه متهيّئ للنّظر، لا للاعتقاد، يجد كلّ المؤمنين على الكثير مِن الضّجيج، وعلى الكثير من اللجاجة: فيقف على مسافة منهم.

١١٣

«أترغب أن يُبادَرَ إلى صالحك؟ العَبْ الحيرة.»

١١٤

الأمل الشّاسع الذي تضعه النّساء في الحبّ الشّهواني، وما يوجد من حشمة في هذا الأمل، يحرّف لهنّ مسبقا كلّ الآفاق.

١١٥

عندما لايكون الحبّ أو الكراهية طرفًا في اللعبة، برداءة تلعبُ المرأة.

١١٦

أعظم عهودنا هي التي كانت لنا فيها الشّجاعة أن نُسمّي الشرّ الذي يسكننا' بالجزء الأفضل فينا.

١١٧

لَيست إرادةُ تجاوز ميلٍ مَا في نهاية المطاف إلاّ إرادة ميلٍ أو عدّة ميول أخرى.

١١٨

بَراءةُ الإعجاب توجد: يعرفها من لم ينتبه بعدُ إلى أنّه في ذات يوم يمكنُ أن يكون موضوع إعجاب.

١١٩

يُمكنُ للتقزّز مِن الوسخ أن يكون كبيرًا إلى درجة منعنا من تنظيف ذواتنا ـ من «تبرير ذواتنا»

١٢٠

عَادةً، تنمو الشّبقيّة بأسرع من الحبّ، حتّى أنّ الجذر يبقى واهنا وسهل الانتزاع.

١٢١

هِي حدّة ذهنٍ عند اللّه أنّه تعلّم اليونانية عندما أراد أن يصبح كاتباً - وأنّه لم يتعلّمها جيّدا.

١٢٢

أَن نَبدو على حساسية للمديح، إن هي عند البعض إلاّ تأدّب قلبٍ - على النّقيض تمامًا من ادّعاء الفكر.

١٢٣

الاستسرارُ، هو أيضا، أُفسِدَ: - بالزّواج.

١٢٤

لاَينتصرُ علَى الألم مَن يبتهج، حتّى وهو تحت المحرقة، بل يبتهج من يتعذّب على غيرِ ما ينتظر. رَمزٌ.

١٢٥

عِندما نضطرّ لمراجعة الرّأي الذي نحملهُ عن أحدٍ، فنحن نحتفظ له بضغينة المضايقات التي يسبّبها لنا.

١٢٦

الشّعبُ هو الموارَبةُ التي تقوم بها الطّبيعة لتُدرك ستّة عظماء أو سبعة - ولكي تتجنّبهم بعد ذلك.

١٢٧

كُلُّ امرأة حقيقيّة ترى في العُلوم مساسًا بحشمتها. يبدو لها أنّهم

يريدون رؤيتها من تحت جلدها، - بل الأمر أدهَى! من تحت الفستان والحُليّ.

١٢٨

كُلّما كانتِ الحقيقةُ التي ترغب تعليمها مجرّدة أكثر، وجبَ عليك، لصالحها، أن تُغري الحواسّ أكثر.

١٢٩

للشّيطان آفاق أكثر شساعة من الله، لذلك يقف بعيدا جدّا عنه: - أليس الشّيطان أقدم أصدقاء المعرفة.

١٣٠

يَبدأ الرّجل في خيانة ذاتهِ عندما تَغربُ مَوهبتهُ، عندما يكفّ عن إظهار مستطاعه. الموهبة هي أيضا حُليةٌ، والحُلية تصلح أيضا للاخفاء.

١٣١

يَحترز الجنسانِ مِن بعضهما لأنّ كلّ طرف، في الأصل، لا يُكنّ احتراما وحبّا إلاّ لذاته (أو بعبارة أكثر لياقة، لمثَلِه الخاص). هكذا يريد الرّجل من المرأة أن تكون وديعةً، - لكن المرأة هي، كما القطّ بطبعها ليست على الاطلاق وديعة مهما مهرت في التّظاهر بذلك.

١٣٢

أبدًا لا يُعاقَب المرءُ بعنفٍ إلاّ بسبب فضائله.

١٣٣

مَن لايعرف الطّريق إلى مَثَلِهِ الخاصّ يَعش حياة أكثر طيشًا وتهتّكًا ممّن ليس له مَثَلٌ.

١٣٤

مِن الحواسّ يَأتي كلّ وعي جيّد، كلُّ بداهة للحقيقة.

١٣٥

لَيس النّفاق انحطاطا للفضيلة: إنّه بالأحرى، وبنسبة كبيرة، شرطُها.

١٣٦

وَاحدٌ يبحث عن مُولّدٍ لأفكارهِ، وآخر عمّن يُمكن أن يولد من أفكاره: هكذا حوار جيّد يُولَد.

١٣٧

فِي تجارةِالعلماء والفنّانين،نَنخدع بسهولة في الاتّجاه المعاكس: وراءَ عالِم متميّز، لايصعب وجود إنسانٍ رديئ، و، وراء فنّان رديئ، غالبا ما نَجد إنسانا متميّزا جدّا.

١٣٨

فِي اليقظةِ كما في الحلم، نحن نبدأ بابتداعِ الإنسان وتخيّله وِفق هَوانا ـ الإنسان الذي سنتفاعل مَعهُ - وسريعاً ما ننسى هذا.

١٣٩

في الثّأر، كما في الحبّ، المرأة أكثر وحشيّة مِن الرّجل.

١٤٠

نصيحةٌ في شكلِ أُحجية. - «إذا أردتَ للسّلسلةِ أن تُقاوِم، فعليك لذلك أن تقضمها».

١٤١

إنّهُ أسفلُ البطن الذي يجعل الإنسان لمجرّد بعض الأعمال يظنّ نفسه إلها.

١٤٢

أَكثرُ الكلماتِ عفّة سمعتُها: «في الحبّ الحقيقي، الرّوح هي التي تحضن الجسد.»

١٤٣

مَا نَنجح فيه أفضلَ يريد غرورُنا أن يُقنعنا بأنّه هو ما يُعطينا الألمَ أكثر. ذاك هو الأصل في أكثر مِن أخلاق.

١٤٤

عِندما يكونُ للمرأة مَيلٌ إلى العُلوم، فغالبا ما يكون ذلك علامة على أنّ جنسيّتها اختلّت. لقد كان العُقم قد هيّأ لرجولة ما في الذّائقة: الرّجل هو بالفعل، مع احترامي له، «الحيوان العاقر».

١٤٥

إن نحن قارنّا إجمالا بين الرّجل والمرأة، أمكننا القولُ إنّه ما كان للمرأة أن تُبدع الزّينة لو لم تكن لها غريزة الدّور الثّاني.

١٤٦

مَن يُصارع بوحشيّة وجب عليه أن يُحاذر مِن أن يُصبح هو ذاته وحشًا. وإذا نظرتَ في الهوّة طويلاً، فإنّ الهوّة تنتهي بأن ترى مِن خلالك.

١٤٧

مِن قصص فلورنسا القديمة - ومِن الحياة أيضا: «المرأةُ جيّدة كانت أم رديئة تحبّ الهراوة.»

١٤٨

أَن تُوحي للآخر بفكرة عنه جيّدة، ثمّ تصبح بعدها مصدِّقة لها وبحماسة - مَن يندُّ النّساء في هذا الدّور؟

١٤٩

مَا يعتبرهُ عصرٌ رديئا هو عادة ارتدادٌ مغلوط تاريخيّا لما هو قديما مُعتبرٌ جيّدا - خِلفةُ مَثَلٍ قديم.

١٥٠

حَولَ البَطل كلُّ شيء يصبح مأساةً، حولَ نصف الإله درامَا ساتيريّةً؛ وحول الله كلُّ شيء يصبح - ماذا إذن؟ ربّما عالَماً؟ -

١٥١

تَوفّرُ الموهبة لايكفي؛ وجبَ أيضا توفّرُ الإذنِ مِن قبلكم - أليس الأمرُ كذلك أيّها الأصحاب؟

١٥٢

«حَيثُ تنتصبُ شجرةُ المعرفة، هناك أيضا تُوجد الجنّة»: هكذا تُعبّر الثّعابين، المتقدمة في السنّ، والصّغيرة.

١٥٣

إنّ ما نَقوم به عن حبٍّ هو دومًا أبعدُ مِن الخير والشرّ.

١٥٤

تناقضٌ، جهالةٌ، احترازٌ، مرحٌ، سخريةٌ هي علاماتُ صحّة: كلُّ مُطلَقٍ هو تابع لعلمِ الأمراض.

١٥٥

إنّ معنى المأساويّ ينمو مع الشّبقيّة ومعها يتقلّص.

١٥٦

الجنونُ، نادرٌ عند الأفراد، وبالمقابل هو قانون المجموعات، والأحزاب، والشّعوب، والعصور.

١٥٧

فِكرةُ الانتحار تعزية قويّة، إنّها تُساعد على تمضية أكثر مِن ليلةٍ رديئة.

١٥٨

غَريزتُنا الأقوى، التي بطغيانٍ تُسيطرُ علينا، لا تستبعدُ عقلنا فقط، ولكن مشاعرَنا أيضًا.

١٥٩

وَجب أن نردّ الخير والشرّ، ولكن ولهذا بالضّبط، لمَ وجبَ أن نردّ ذلك إلى الذي فعلَ لنا الخير أو الشرّ؟

١٦٠

نكفُّ عن محبّة مَعارفنا حالَما نُبلّغها.

١٦١

لَيسَ للشّعراءِ حشمة ما يعيشونهُ: إنّهم يستثمرونها.

١٦٢

«قَريبُنا ليسَ جارَنا، لكنّه جارُ الجار...» - هكذا كلّ شعب يتكلّم.

١٦٣

يَضع الحبُّ في الضّوء الخصالَ السّامية والسرّية للذي يحبّ، وما لَهُ مِن نادرٍ واستثنائي. وهو أيضا بسهولة يخدعُ ما هو عنده القاعدة.

١٦٤

كَان عيسى قد قال لأصحابه اليهود: «لقد وُجد القانون للعبيد - أحبّوا الله كما أُحبُّهُ، كما ابنُهُ! وما همّنا نحن، أبناءُ الله، مِن الأخلاق!» -

١٦٥

إلى كلّ الأحزاب. - يحتاج الرّاعي دوما إلى كبش يقود قطيعَهُ، وإلاّ يكون عليه، بالمناسبة، أن يلعب دورَ الكبش.

١٦٦

لَقد أحسنَ الفمُ كذبًا، والرّأسُ الذي نركبهُ في ذاتِ الوقتِ لا يقول الحقيقة بأفضل منهُ.

١٦٧

الصّعابُ مِن النّاسِ يُخفونَ في حشمةٍ حَياتَهمُ الباطنة - إنّهم يعلمون ثمنها.

١٦٨

المسيحيّةُ سقتِ السمَّ لإيروس، وهو لم يَمُت بذلك، غير أنّه صار فاجرًا.

١٦٩

أَن تَتكلّم كَثيرًا عن نَفسِكَ، فذلك يُمكن أن يكون أيضًا وسيلة للتّخفّي.

١٧٠

في المديح، يظهر التطفّلُ أكثر ممّا يظهرُ في التّوبيخ.

١٧١

بالنّسبة إلى المنذورِ للمعرفة، تكادُ الرّحمةُ أن تكون مضحكةً - مثلما الأيادي النّاعمةُ على جسم جبّارٍ.

١٧٢

عَن حبّ للإنسانيّة نُقبّل أحيانا أوّلَ قادم (بسبب عدم قدرتنا تقبيل كلّ النّاس): ولكنّ هذا بالفعل ما لا يجب الكشف عنهُ لأوّلِ قادمٍ...

١٧٣

نَحنُ لا نكرهُ إنسانا ما دُمنا نعتبرهُ دوننا، نَحنُ نكرهه فقط عندما نحكم أنّه يَندُّنا أو يَفوقُنا.

١٧٤

أنتُمُ أيضا، أيّها النّفعيّون، لا ترغبون في النّافع إلاّ كعربة لميولِكُمْ - ألم تجدوا، أنتمُ أيضًا، صريرَ العجلات لا يُحتملُ.

١٧٥

في نِهاية الأمر نحن نحبُّ رَغباتنا، لا ما نرغبهُ.

١٧٦

غُرورُ الآخرِ لا يَصدمُ ذائقتنا إلاّ عندما يَصدمُ غُرورَنا الخاصّ.

١٧٧

رُبّما لا أحدَ كان صادِقًا بِما يكفي ليقول ما هو «الصّدق».

١٧٨

نَرفضُ التّصديق بجنون الحُكماء: يا لهُ مِن خَرقٍ لحقوق الإنسان.

١٧٩

نَتائجُ أفعالنا تمسكُ بنا مِن شعرنا: قلّما همّهم أنّنا في خِلالِ ذلك نكون «تأدّبنا».

١٨٠

ثَمّةَ براءةٌ في الكذب تشهدُ أنّنا نعتقدُ بصدقٍ في شيءٍ ما.

١٨١

إنّهَا لا إنسانيّةٌ أن نُبارِكَ مَن يَلعنُنا.

١٨٢

المُزاحُ يُغضبُ الرّاقي، لأنّهُ لا يُمكنُ ردّهُ عليه.

١٨٣

«لَيسَ كذبُكَ ما يُتعبني، بل أنّني ما عدتُ أصدّقكَ.»

١٨٤

ثمّةَ وَفرةٌ في الخير لهَا كلّ مَظهرِ الخُبثِ.

١٨٥

«هو لا يُعجبني.» – ولماذا؟ «لأنّهُ يَتجاوزني.» هل أجبتُم أبدًا بمثل هذا الجواب؟

سبعةُ أَمثالٍ عَنِ النسّاء

أَكثرُ السّمومِ قتلاً، حُلُمٌ مَنسيٌّ
حَالمَا يَأتي رجلٌ زاحِفًا حتّى قدَميْ!

الشّيخوخة المحزِنةُ والعِلمُ القاتمُ
يَهبانِ الفضيلةَ حتّى لأكثرِ النّساءِ طيشًا.

بالجوخ مزيّنة في صمت وفي لباسها الأسود،
المرأةُ مُمزّقة... أو هي بذلكَ تُوهِم.

على السّعادة، مَن نَشكرُ؟
الإله، طبعا، وخيّاطي.

شابّةٌ، هي كهفٌ مُزهرٌ،
عجوزٌ، تنّينٌ من داخلهِ يطلعُ.

اسمٌ كريمٌ، ساقٌ جميلةٌ، وفضلاً عن ذلكَ رجلٌ!
آهِ كم رَغبتُ حيازتها!

في القليل مِن الكلمات، يوجد الكثير مِن المعاني
بالنّسبة إلى الحمقاء، هذه أرض زالجة.

من أعلى القِمم

يا ربيعَ الحياة! أيّها الوقت المُبجّل!
يا حديقة الصّيف!
يا فرح التّرقّب القلِق والانتظار!
إنّي أترصّد الأصحاب على دوام التّأهّب.
لِمَ التأخّر، أيّها الأصدقاء؟ تعالوا، فالوقتُ حان!

أمَا بدَا لكم أنّ رُكام الثّلج الرّماديّ،
تزيّنَ اليوم بالورود؟
أنتمُ مَن يبحث الليلُ عنهمُ، والرّياح والسّحب
لا تتسلّق السّماءَ في صخبٍ إلاّ لكي
من أعالي السّماء تتقصّى مجيئكم.

على القِمَم، لأجلكم، مُدَّ سِماطُ مائدتي: ـ
مَن إذن يعيش إلى النّجوم أقرب
إلى أعماق الهُوّة المرعبة؟
مملكتي... وهل كانت مملكة شاسعة أكثر؟
وعسلي... مَن عرف مذاقه أبدا؟

ـ ها أنّكم وصلتُم، أيّها الأصحاب، ولكن؟
لستُ أنا من عنه تبحثون؟

منذهلون أنتم؟ آهٍ! أَولى باستيائكم أن ينفجر
ما عدتُ أنا؟ يدي، وخطوتي، وتقاطيع وجهي تغيّرت؟
أصحابي، ألستُ في نظركم ما أكون؟

ربّما كنتُ غيري؟ ربّما كنتُ عن ذاتي غريبا
ربّما كنتُ من ذاتي هاربا؟
مُصارعا من شدّة انتصاره على ذاته مُرهَقا،
من شدّة ما وتّر بأسه ضدّ ذاته؟
منتصرًا جَرّحَهُ انتصاره وعطّلهُ؟
فتّشتُ حيث الرّياح بأكثر حِدّة تعصف؟
تعلّمتُ العيش حيث لا أحدَ يُقيم؟
في الصّحاري، وعلى التّخوم إقامة الدّب القطبي؟
نسِيتُ ما حفظتهُ عن الإنسان والإله، نسيتُ التّجديف والصّلوات؟
ما عدتُ غير طيف متشرّد على قباب الجليد؟

أصحابِي القُدامَى، ها هي نظراتُكمُ الذّابلة
مملوءة حبّا ومملوءة هلعًا!
وداعًا!فلا تغضبوا!... ما عاد لكم مكان
هنا: بين الصّخر والجليد وشبيه ظَبْيَ الجبل.
جعلتُ من ذاتي صيّادا عنيفا! انظروا:
قوسي موتورٌ يكاد ينقطع.
الذي سطّر هذا الخطّ، بالفعل هو الأقوى!
ولكن، آهٍ! إنّ السّهم خطير كما لا يمكن لسهم آخر أن يكون
ابتعدوا تَسلموا...

تعودون أدراجكم؟ آهِ قلبي، حسبي هذا!
حازما ظلّ رجاؤك.
لأصحابٍ جُددٍ أترك الأبواب مُشرَعة:
أترك الأصحاب القُدامَى، أتركِ الذّكرى!
إذا كنتَ شابًّا ذات يوم فأنتَ اليوم أفضل.

بخصوص ما يوحّدنا، رباطُ ذاتِ الرّجاء،
كيف نظلّ نقرأ
ما اندثر مِن علاماتٍ سطّرها الحبّ؟
كأنّه سِفرٌ قديم طلسم تخشى اليدُ أن تلمسَهُ
لا شيء غير الحُمرة والرّماد.

ما عادوا أصحابًا... فكيف نُسمّيهم؟
أشباح أصحاب
مرّات يطرقون زجاج النّافذة، ومرّات يطرقون القلب وينظرون
إليّ قائلين: «ألمْ نكن أصحابك؟»
أيّتها الكلمة الذّابلة، يا عطر الوردة المتبخّر!

يا اندفاع شبابي، أيّتها الحميّة، أيّها الخطأ!
هؤلاء هم الذين كنتُ أبحثُ عنهم،
الذين ظننتهم أندادي، ومِثلي تغيّروا،
أن يكونوا كبروا فذاك ما عنّي قد أبعدهم:
وحده يجدني ثابتا من يُتقن التّغيّر.

يا ربيع الحياة، يا شبابا جديدا،

يا حديقة الصّيف!
يا فرح الترقّب القلق والانتظار!
إنّي أترصّدُ الأصحاب على دوام التأهّب.
ويا أصحابي الجُدد، تعالوا، إنّ الوقت حان!

هو ذا النّشيد قد انتهى، وفي فمي ماتت
صرخة الرّغبة العذبة:
السّاحر، الصّاحب، باكرًا أقبل
صاحب أوج الظّهيرة... لاتسألوا من يكون.
إنّه يرحل في الظّهيرة، إثنين يجد الواحد نفسَهُ.

الآن نحتفل، واثقين من فوزنا،
بحفل الحفلات:
زرادشتُ وصل، الصّاحب، نزيلُ النّزلاء كلّهم!
العالَمُ يضحك، الحجاب الفظيع تمزّق
هي ذي أعراس الضّياء والليل...

أمثالٌ ولَذعاتٌ

١

الفَراغُ هو الأصلُ في كلِّ سايكولوجيا. وكيف ذلك؟ هل تكون السّايكولوجيا. . . رذيلة؟

٢

أَشجعُنا ليست له، إلاّ نادرًا، شجاعة تأكيد ما يَعرفهُ حقيقةً.

٣

لِكَي يَحيا المرءُ وحيدًا، وجبَ عليه أن يكون دابّة أو إلهًا - يقول أَرسطوطاليس. تنقص الحالة الثّالثة: وجب أن يكون هذا وذاك، وجب أن يكون فيلسوفا. . .

٤

«كُلُّ حقيقةٍ بسيطة.» ألا يعني الأمر هُنا كذبة مضاعفة؟

٥

لِلمرّة الأخيرة، أشياءٌ كثيرة لا أريد معرفتها - ترسمُ الحكمةُ حدودا حتّى للمعرفة.

٦

إنّكم في ما تمتلكهُ طبيعتكُم مِن تَوحّشٍ تستعيدون أفضلَ ضَلالكُم، أعني أفضل رُوحيّتكم. . .

٧

مَاذا؟ ما كان الإنسان إلاّ خطيئة إلهٍ؟ أليس الإنسان هو خطيئة الإنسان؟

٨

في مدرسة حرب *الحياة*. - ما لا يجعلُني ميّتا يُصيّرني أكثر قوّة.

٩

أَعن ذاتكَ بذاتكَ: عندها كلُّ العالَمِ يُعينك. مبدأُ حبّ الآخر.

١٠

لاَ ترتكبوا أبدًا نذالةً تُجاهَ أَعمالكُم! لا تتركُوها بعدَ إنجازها مُعلّقةً - فاحش هو النّدم.

١١

هَل يُمكن لحمارٍ أن يكون مأساويًّا؟ - أن نَهلكَ تحت عبء لا نقدرُ على حمله ولا على طرحه؟. . . إنّها حال الفيلسوف.

١٢

إن نحنُ تملّكنا سؤالنا: لماذا الحياة؟ فسنتلاءمُ تقريبا مع كلّ الأسئلة عن كيفيّاتها - لا يصبو الإنسان إلى السّعادة، ولا أحد، عدا الإنقليزيّ، يفعل ذلك.

١٣

خلقَ الرّجلُ المرأة - وبماذا فعلَ ذلك؟ بضلعٍ مِن إلهِهِ، - مِن «مِثالِهِ». . .

١٤

مَاذا؟ أنتَ تبحث ؟ تريدُ أن تُصبح عشرة؟ تريدُ أن تُصبح مائة؟ تبحثُ عن أتباع ؟ ابحث عن أصفارٍ! -

١٥

الذين سيُولدون بَعد وَفاتهم – أنَا، مثلاً – نفهمُهم بأقلّ ممّا نفهم المعاصرين، لكنّنا نستمع *إليهم* أفضل. لكي أُعبّر بأكثر دقّة أُضيف: لَن يفهموننا أبدًا – ومن هنا تأتي سُلطتُنا.

١٦

النِّساء فيما بينهنّ. – «الحقيقة؟ آهِ! أنتنّ لا تعرفنَ الحقيقة! أليست اعتداء على كلّ حيائنا؟»

١٧

هَا هُو فنّانٌ كما أحبُّ الفنّانين، إنّه مُتواضعٌ في حاجاته: إنّه عمومًا لا يطلبُ عدَا شيئين: خبزَهُ وفنّه،

١٨

الذي لا يعرفُ كيف يُضمّنُ الأشياءَ إرادتَهُ، يريدُ على الأقلِّ إعطاءها معنًى: وهو ما يجعلُهُ يعتقدُ أنّ إرادةً مِن قبلُ موجودة فيها. (مبدأ «الإيمان»).

١٩

مَاذا؟ اخترتمُ الفضيلةَ وسموَّ القلبِ وفي ذاتِ الوقتِ تُلقون بنظرة حاقدةٍ على امتيازات الذين هم بلا وَساوِس؟ – لكنّنا في الفضيلة نتنازلُ عن «الامتيازات» (إلى مُعادٍ للسّامية).

٢٠

المَرأة الكاملةُ ترتكبُ الأدبَ كَما تَرتكب خطيئة صغيرة: لكي تُحاول، دُون إلحاح، ومُلتفتة إلى الوراء، أن ترى إن كان هناك من أدرك، وبغاية أن يكون هناك مَن يُدرك. . .

٢١

لاَ يجبُ أن نضع أنفُسنا إلاّ في المواقف حيث لا يُسمح لنا بامتلاكِ فضائل مزَيّفة، ولكن حيثُ، كما الرّاقص على الحبل، إمّا نقعُ وإمّا نقف مُنتصبين، – وّإمّا أيضا نتخلّص. . .

٢٢

«لَيس للأشرار أغنيات.» ومِن أين جاء القولُ إنّ للرّوس أُغنيات؟

٢٣

«الفِكرُ الألماني»: مِن ثمانية عشر عامًا وهو على تناقض في الألفاظ.

٢٤

مِن فرط إرادة البحث عن الأُصول، نُصبح سراطاناتٍ. إلى الخلفِ ينظرُ المؤرّخُ؛ لذلك ينتهي مؤمنا بالخَلفِ.

٢٥

يَضمنُ الارتياح حتّى فُتور العلاقات. متى أصاب الرّشح امرأة مكسوّة جيّدا؟ أفترض الحالة التي تكون فيها بالكاد مكسوّة.

٢٦

أَحترزُ مِن كلِّ ذوي الأنساقِ وأتحاشاهُم. إنّ إرادة النّسق فقدانٌ للنّزاهة.

٢٧

نَقولُ إنّ المرأة عميقة – لماذا؟ لأنّنا أبدًا لا نُدرك عمقها. المرأة ليست حتّى منبسطة.

٢٨

عِندما تكون للمرأة فضائلُ ذكوريّة، فلا بُدّ عندها مِن الهروب: عندمَا لا يكون لها شيء من ذلك، فهي التي تهرب.

٢٩

«قَديمًا، كم كان على الضّمير أن يقضم! كم كانت أسنانهُ جيّدة!؟ - والآن؟ ما الذي ينقصهُ.»
- قضيّة طبيب الأسنان.

٣٠

نَادرًا ما نرتكب تهوّرا واحدا. مع التهوّر الأوّل نبالغ دائمًا، ولذلك فغالبا ما نرتكب ثانيًا - وبعدها نادرا ما نفعلُ ذلك.

٣١

الدُّودة تنثني حين نمشي فوقها. في ذلك الكثير مِن الحكمةِ. إنّها بذلك تُنقص من فرصة أن نمشي فوقها مِن جديد. في لغة الأخلاق: تُنقص من التذلّل.

٣٢

ثَمّةَ كراهية ضدّ الكذب والاخفاء تأتي عن حساسية مِن وجهة الشّرف؛ وثمّة كراهية مُماثلة تتأتّى عن جُبن، بما أنّ القانون الإلهيّ يمنع الكذب. جُبناءٌ أكثر ممّا يجب حتّى نقدر على الكذب.

٣٣

كم أنّ السّعادة تحتاج إلى القليل كي توجد! إلى صوتِ مزمار. - بلا موسيقى تكون الحياة هفوة. لذلك يتصوّر الألمانيّ أنّه الإله ذاته حين يُنشد.

٣٤

لاَ نقدر علَى التفكير والكتابة إلاّ جلوسًا (غستاف فلوبير). - هُنا أُمسكُ بك أيّها العدميّ؛ في البقاء جلوسا تكمنُ الخطيئة ضدّ الفكر المقدّس. وحدها الأفكار التي تأتيك وأنتَ تمشي لها قيمة.

٣٥

ثَمّةَ حالاتٌ نكون فيها كما الخيول، نحنُ السّايكولوجيّون. نحنُ مأخوذون بالحزن لأنّنا نرى ظلّنا الخاصّ أمامنا يتمايل. على عالِمِ النّفس أن يغضّ النّظر عن ذاته حتّى يقدر على النّظر.

٣٦

هَل نُسيءُ إلى الفضيلة، نحن اللاأخلاقيّون؟ - بأقلّ ما هو مِن قِبل الفوضويّين إلى الأمراء. إنّهم ما جلسوا بقوّة على عروشهم إلاّ منذ أن عادوا يطلقون النّار عليهم. الخُلقيّة: إطلاق النّار على الأخلاق.(١٢)

٣٧

أَنتَ تَعدُو قُدّام الآخرين؟ - أَتفعلُ هذا كراعٍ أم كاستثناء؟ في حالة ثالثة قد تكون المُهاجر... *أُولَى* حالاتِ الشّعور.

٣٨

هَل أَنتَ صادقٌ؟ أم أنّكَ لستَ إلاّ مُهرّجا؟ هل أنتَ مُمثّلٌ، أم أنتَ بذاتكَ ما نُمثّلُهُ؟ في نهاية الأمر لعلّك مجرّد تقليد لمُهرّجٍ. الحالة *الثانية* للشّعور.

٣٩

خَائبُ الظنّ يتكلّم، - بحثتُ عن أُناس عظماء وما وجدتُ أبدًا غير العلامات عن مُثُلِهُم.

٢٨

عِندما تكون للمرأة فضائلُ ذكوريّة، فلا بُدّ عندها مِن الهروب: عندمَا لا يكون لها شيء من ذلك، فهي التي تهرب.

٢٩

«قَديمًا، كم كان على الضّمير أن يقضم! كم كانت أسنانهُ جيّدة!؟ - والآن؟ ما الذي ينقصهُ.»

- قضيّة طبيب الأسنان.

٣٠

نَادرًا ما نرتكب تهوّرا واحدا. مع التهوّر الأوّل نبالغ دائمًا، ولذلك فغالبا ما نرتكب ثانيًا - وبعدها نادرا ما نفعلُ ذلك.

٣١

الدُّودة تنثني حين نمشي فوقها. في ذلك الكثير مِن الحكمةِ. إنّها بذلك تُنقص من فرصة أن نمشي فوقها مِن جديد. في لغة الأخلاق: تُنقص من التذلّل.

٣٢

ثَمّةَ كراهية ضدّ الكذب والاخفاء تأتي عن حساسية مِن وجهة الشّرف؛ وثمّة كراهية مُماثلة تتأتّى عن جُبن، بما أنّ القانون الإلهيّ يمنع الكذب. جُبناءٌ أكثر ممّا يجب حتّى نقدر على الكذب.

٣٣

كم أنّ السّعادة تحتاج إلى القليل كي توجد! إلى صوتِ مزمار. - بلا موسيقى تكون الحياة هفوة. لذلك يتصوّر الألمانيّ أنّه الإله ذاته حين يُنشد.

٣٤

لا *نقدر علَى التفكير والكتابة إلاّ جلوسًا* (غستاف فلوبير). - هُنا أُمسكُ بك أيّها العدميّ؛ في البقاء جلوسا تكمنُ الخطيئة ضدّ الفكر المقدّس. وحدها الأفكار التي تأتيك وأنتَ تمشي لها قيمة.

٣٥

ثمّةَ حالاتٌ نكون فيها كما الخيول، نحنُ السّايكولوجيّون. نحنُ مأخوذون بالحزن لأنّنا نرى ظلّنا الخاصّ أمامنا يتمايل. على عالِمِ النّفس أن يغضّ النّظر عن ذاته حتّى يقدر على النّظر.

٣٦

هل نُسيءُ إلى الفضيلة، نحن اللاأخلاقيّون؟ - بأقلّ ما هو مِن قِبل الفوضويّين إلى الأمراء. إنّهم ما جلسوا بقوّة على عروشهم إلاّ منذ أن عادوا يطلقون النّار عليهم. الخُلقيّة: إطلاق النّار على الأخلاق.[١٢]

٣٧

أنتَ تَعدُو قُدّام الآخرين؟ - أَتفعلُ هذا كراعٍ أم كاستثناء؟ في حالة ثالثة قد تكون المُهاجر... *أُولَى* حالاتِ الشّعور.

٣٨

هَل أَنتَ صادقٌ؟ أم أنّكَ لستَ إلاّ مُهرّجا؟ هل أنتَ مُمثّلٌ، أم أنتَ بذاتكَ ما نُمثّلُهُ؟ في نهاية الأمر لعلّك مجرّد تقليد لمُهرّجٍ. الحالة *الثانية* للشّعور.

٣٩

خَائبُ الظنّ يتكلّم، - بحثتُ عن أُناس عظماء وما وجدتُ أبدًا غير العلامات عن مُثُلِهُم.

٤٠

هَل أنتَ مِن الذين يتأمّلُون، أم مِن الذين يحقّقون أعمالاً؟ - أم أنتَ من الذين يغضّون النّظر ويقفون على المسافة؟. . . الحالة *الثالثة* للشّعور.

٤١

هَل تُريد أن تَصحب؟ أم تريد أن تَسبق؟ أم تُريد أن تذهب في اتّجاهك؟. . . علينا أن نعرف ماذا نُريد وإن كنّا نُريد. - الحالة *الرابعة* للشّعور.

٤٢

كَانوا بالنّسبة إليَّ درجات. ولقد استخدمتُهم للصّعود، - ولذلك كان عليَّ المرور فوقهم. لكنّهم تصوّروا أنّني سأرتاح فوقهم.

٤٣

مَا همَّ أن أبقى *أنا* على صواب؛ أنَا على صوابٍ كبير. - ومَن يَضحك اليوم أَفْضَلَ آخِرًا يَضحك.

٤٤

عُنوانُ سعادتِي: نَعم، ولا، وسطرٌ مُستقيمٌ، وغايةٌ. . .

كيفَ صار العالَم الحقُّ أخيرًا مهزأة

حكايةُ غلطة[١٣]

١

العالَم الحقّ، مُمكنُ إدراكه مِن قِبلِ الحكيم، ورجالِ الدّين، وأصحابِ الفضائل، - إنّه يحيا في ذاتهِ، إنّه هو ذاته العالَم.
(إنّه الشّكل الأقدمُ للفكرة، الفطنة نسبيّا، والبسيطة، والمُقنِعة. كنايةُ الافتراض: «أنَا أفلاطون، أنَا الحقيقة.»)

٢

العَالَمُ الحقّ مُتَعَذِّرٌ إدراكُهُ الآن، لكنّهُ موعودٌ به للحكيم، لرجلِ الدّين، الفاضل («للآثم يُقضّي عُقوبته»).
(تطوُّر الفِكرة: تُصبح أكثرَ نَفاذًا، أكثرَ مُخاتلة، يستحيل المسكُ بها أكثر، - تُصبح امرأةً، تُصبحُ مَسيحيّة. . .)

٣

«العَالَم الحقّ» مُتَعذِّرٌ إدراكُهُ، لا يُمكنُ البَرهنة عليه، لاَ يمكنُ الوعدُ بهِ حتّى ولو لم يكن إلاّ مُتخيَّلاً، إلاّ تعزية، إلاّ ضرورة، إلاّ آمرًا.
(الشّمس القديمة في القاع، لكنّها محجوبة بالضّباب والشكّ: صارت الفكرة سامية، شاحبة، شمالية، كانطية.)

٤

العَالَمُ الحقّ- متعذّرٌ إدراكهُ، وفي كلِّ الأحوال هو لَم يُدرك بعدُ، وإذن فهو، بما هو كذلك، مجهول، ولذلك فهو لا يُعزّي، ولايُنقذ، ولا يُجبر على شيء: كيف لشيء مجهول أن يُجبرنا على شيء؟ . . .

(فجرٌ رماديّ، أوّلُ تثاؤب للعقل، نَشيدُ ديك الوضعية.)

٥

«العالَمُ الحقّ» - فِكرةٌ ما عادت تصلُح لشيء، حتّى أنّها ما عادت تُجبرنا على شيء - فكرةٌ باتت غير نافعة وباتت غائمة، وبالتّالي باتت مفنّدة: فلنعدِمها!

(نهارٌ وضّاء؛ إفطارٌ، عودةُ العقلِ والبهجة، أفلاطونُ يَحمرُّ مِن خجلٍ وكلّ العقولِ الحرّة في ضجيج شيطاني.)

٦

«العالَمُ الحقّ» نحنُ ألغيناهُ: فما العالَمُ الذي تبقّى لنَا؟ عالَم الظّواهر رُبّما؟ ولا هذا! فمع العالَم الحقّ، ألغينَا أيضا عالَم الظّواهر.

(ظهيرةٌ؛ لحظةُ الظلّ الأقصر، نهايةُ الخطيئة الأُولى، أَوجُ الإنسانية؛ مُستهلُّ زرادشت.)

البندقية

على الجسر مُتّكئا
مِن فترةٍ كنتُ في الليل الدّاكن واقفا.
مِن بعيد،
يأتي إليّ نشيد،
قطرات من الذّهب تنساب
فوق وجه الماء المرتعد.
زوارقٌ، أضواء، موسيقى-
كلّها تندفع سكرانة نحو الغروب. . .

مُهجتي، تَساوُقُ القيثار،
في السرّ تغنّي لذاتها
أغنية صاحب الزّورق،
غير بادٍ تأثّرها،
من غبطة مزخرفة ترتعد.
- هل أحدٌ إليها استمع؟ . . .

الصيّاد المتوحّش

يا ريح الليل في السّيول، ماذا تقولين؟

*

الحنين، ليس إلى بلد، أو إلى عائلة وموطن، فما عندي هذا ولا ذاك:
لكنّ الحنين أنّي بلا موطن.

*

اليوم أنتم الرّاقون، أنتم: الإنسان الورع، الذي مات الله فيه، والذي يزخر مروءة في عصر الرّعاع، والمسافر بلا غاية، بلا رجوع إلى الموطن، والعالِم الحيّ ضميره، والسّاحر المتخلّص من سحره، المنكسرُ لأجل ذاته، والملك في لباسه الأرجواني، الذي هو صفر ويساوي عشره.
أيّها الملوك المزيّنون بالجوخ الأرجواني، يا من أنتم صفركم الذاتي وتساوُون عشرة، أنتم يا دقيقو التفكير!
بلا مال أيضا، يا زرادشت، أيضا بلا مال!
لا شيء يجعل الإنسان أبشع من أن يكون بلا مال!

لنكن مع بعضنا كائنات سعيدة وطيّبة: وفي ما يخُصّ اللّه، أيّها الرّاقون!...

*

عندما الخوف الكبير يفاجئ المتوحّد، عندما يمشي ويمشي، لا يعلم إلى أين!

عندما الأعاصير الهائلة تصفّر، عندما الصّاعقة تعاكسه، عندما كهفه يرعبه بأشباحه...

ليكن في علم المتشاعرين والكسلاء: أنّ الذي ليس له ما يُبدعه، قلامة تدفعه إلى الإبداع.

*

إنّ الإثارة المرحة لهؤلاء الرّاقين قد جاءته ريحا متثائبة: فلانت صلابته.
قلبه ارتعد حتّى جذرهُ.

هنا المستقبل دائريّا يسير، هنا الهوّة فاغر فوها متثائبة، هنا كلب جهنّم فاتحا فمه، هنا الأعظم حكمة يصيبه الدّوار.

*

ومن جديد تنهمر الأقمار والسّنوات، ويَبيضّ شعر زرادشت، لكنّه، قابعا في كهفه، كان إلى الخارج يرنو، ما كان يلمح الوقت. فهل نسي العالَمُ زرادشت، وهل نسي العالَمَ هو أيضا؟

لا تقربوني كثيرا إذا أردتم الدّفء منّي، وإلاّ ستحرقون قلوبكم. أنا غليان وبالكاد أُجبرُ لُهَبي على القفز خارج جسمي.

قد ربطوا قوائمك، الآن ما عُدتِ قادرة على الخدشِ، أيّتها القطّة الخدّاشة!
قد ربطوا قوائمكِ بسُيوف ظامئة، قاسية طالما لمعت على الحائط ـ بسُيوف شبيهة بالثّعابين المُرقّطة بالأحمر.

السّاحرُ

مُتعبا: بحَثتُ عن حياتي في رجل عظيم، ولكن، حتّى زرادشت ما عاد موجودا.

عرفتُك، قال زرادشت بوقار، أنتَ السّاحر عند الجميع، لكن يبدو أنّك حصدتَ التقزُّز لكَ وحدك.

شرف لك أنْ تطلُبَ العظمة، لكنّ هذا يخُونُكَ أيضا: أنتَ لستَ عظيما.

من أنت؟ قال هذا بهلَع، بنظرة كراهية، من يتجرّأ على مُخاطبتي هكذا؟

ضميرك الرَّديئ ـ أجاب زرادشت، وأدار ظهره للسّاحر.

❋

ميّت في الحياة، مطمورا ـ الذي هو على هذه الحال، كمْ مرّة يظلّ عليه أن يُبعث!

أيّتها السّعادة، إنّي أدركتُ سطحي الخاصّ بالكراهية والحبّ: طويلا بقيتُ معلّقا في مناخ ثقيل من الكراهية والحبّ: هذا المناخ الثقيل دفعني وسحبني كمنطاد هادئ يستلذّ بموته مسبّقا.

ألم يتوقّف العالَمُ للتوّ صامتا؟ الصّمتُ يلُفّني كأغصان شجرة أوراقها قاتمه.

أيا روحي، أتريدين الغناء؟ ولكنّها السّاعةُ التي لا راع ينفخ نايه فيها. الظّهيرة على الحقول تنام. إنّها ساعة الحِداد المُذهّب لكلّ الذين أكثروا

من تذوّق جيّد الأشياء.

❋

كم من الوقت نِمتُ بعمقٍ؟ وكم من الوقت يلزمني أكثر حتّى أفيق تماما!

❋

في زرادشت ٤: الفكرة العظيمة *كقنديل البحر*: كلّ ملامح العالم تتحجّرُ، إنّها سكرةُ الموتِ المُثلّجه.

❋

هل تتكلّمُ عنك أمْ عنّي؟ ولكن أنْ يكونَ أنا من تخون او يكون أنت، فأنتَ إلى الخَوَنَةِ تنتمي، أنت، الشّاعر.

فاسقا بالنّسبةِ إلى ما عشتَهُ، مستغلاّ تجربَتَك، مُسلّما أغلى ما عندك إلى عيون متطفّلة، ساكبا دمَك في كلّ الأقداح الجافّة، المُفْرَغَة بشاربيها، أنت أيّها الأجوف!

❋

إلى أين ترغبُ في الرّحيل؟بأعلى الصّوت سأل، وغريبا متبدّلا صوتهُ عاد إليهِ ـ «لا أعرف» وحيواناتك ـ أين هي حيواناتك؟

يا زرادشت، مِن الآن لا أحد من الذين تُحبّهم قد ظلّ حيّا ـ وارتمى على الأرض من الألم، وأَدخل في التّرابِ يديهِ.

وكلّ شيء كان قد صار سدى.

❋

الأسد المرح ـ «ما زال هناك قَمران، لو أنّ قلبي يرتفعُ لرُؤيتهما»

❋

زرادشت يحطّم قلبه ضدّ أصحابه

ضدّ حيواناته.

ضدّ كلّ ما أحبّ

الكلُّ بالكامل إرادة قوّة

انتهى: **نشيد قلبه الذي يتحطّم.**

*

وهكذا نهض زرادشت كشمس صباح تُطلّ من خلف الجبال: وها هو يتقدّم نشيطا وقويّا نحو الظّهيرة التي يصبو إليها قلبُه ثمّ ينحدر باتّجاه غروبها.

كما الرّاعي من فوق الظهور المتحرّكة لقطعان الخرفان يرنو: بحرا من الأمواج الصّغيرة الرّمادية لا تهدأ، صارخا أضرب على رصيف إسفافكم وصريري موجة وحشية تعضّ الرّمل مُكرهة.

كلاب مداهنة متملّقه

مجاملة، شهوانية، بلا ذاكرة: لا تساوي الواحدة منها أكثر من بغي يتحمّسون للبقول الخضراء، ويمتنعون عن ملذّات اللحوم، هذه الأشياء النّاعمة: كيف تجرؤون على لمسها بحوافر الخرفان؟ ليست كلّ كلمة مُلكا لأفواهكم: فبؤسا لهذا الزّمن المريض والعاجز! بؤسا لهذا الوباء الهائل للأشداق والحوافر.

جُوف، كهوف تعجّ بطيور الليل، بالخوف يلتحفون، «هؤلاء الشّعراء! إنّهم مازالوا يتجمّلون عندما يتعرّون أمام طبيبهم! (وبما أنّ زرادشت لم يعترض على هذا ولكنّه ابتسم، ها أنّ الشّاعر وضع قيثارته من جديد بين ذراعيه، وفغر فاه من أجل نشيد جديد.)

برق أخضر من الخبث من عينيه ينبجس، من جديد يفتح فاه ويغلقه.

ممتطيا أمواجا ثقيلة خضراء: البحر على المساء ينزل، إنّه يتمايل، هذا الوُطانيّ، على ركائب من الأرجوان.

مسنودا إلى الأرض مرهقا كمركب يدخل مرفأه: ويكفي أن يمدّ إليه عنكبوت من الأرض خيطا، فلن يحتاج إلى ندًى أقوى!

إنّه شبيه ريح تنير كلّ السّماوات وتجعل كلّ البحار تجأر.

أيّها المرميّ بكم هنا وهناك، أيّها السّاخطون كزوبعة، أيّها المتقلّبون، لقد نمتم ذات يوم على كلّ السّطوح، يا غبارا على زجاج كلّ النّوافذ وكلّ المرايا عديمة الجدوى. إنّه يغنّي: لقد حلّق بعيدا عن بؤسه ذاته، ذلك الطّائر الحرّ؟ لأنّ البائس يصمت.

اسمحوا لي أن أُخمّن: ببرهانكم ترهقون شاهية ذهني.

لقد ابتدعوا لذواتهم السّأم المقدّس ورغبة بداية الأسبوع وأيّام العمل.

هنا، أشياء رهيبة تدوّي وتدوّم، هنا تفتح الهاوية، وينبح كلب الجحيم الذي يُدعى المستقبل، هنا أعظم الأرواح تبيد.

أيّها المحكومون بالثّراء، ألا تقرقع أفكاركم مثل سلاسل باردة؟

محرومون من النّساء، سيّئو التّغذية، يتأمّلون سررهم ويقيسون أنفاسهم، هؤلاء الذين يسأمون: ما الذي بإمكانهم ابتكاره لأنفسهم أفضل من لذّة الربّ؟

متجوّلا بين الأفكار الأكثر بعدا والأشدّ برودة كما شبح على سطوح الشّتاء وحيث القمر ينام، في ضيائه أحدهم يرتاح حيث لا يجد الأعداء ما يرضيهم: لأنّه بسرعة يعاود الضّحك.

هو الذي على علاقة بالفضيلة، بلا كلفة يحادثه، بطريقة أكثر سخرية.

*

زرادشت: وجبت رؤية الربّ عن بعد، هكذا فقط يبدو أجمل. لهذا السّبب يقف الشيطان بعيدا عن الربّ، ، إنّه بالفعل صديق المظاهر الجميلة.

*

السّاحر.

جاثيا أمام الفضائل والتّضحيات على غرار العامّة، ولكن متفرّدا أمام العفّة العظيمة، التي صلّبت تبالتها وارتميتُ أمامها.

ما كان غريبا عنّي، ما لَمْ أستطع معرفته، قلته في الكثير من الاحترام المقدّس: لقد اختارت مناخيري استنشاق ما كان عندي مستحيلا.

قال زرادشت: وجب أن تكون على الكثير من الابتذال: من كان هنا في راحة تكلّم دون كلفة، وبأكثر سخرية.

هؤلاء الخرقى، المهمومون، المتذمّرون بتأثير ضمائرهم: إنّهم يتعذّبون دوما بوحشهم الباطني، في الأجواء الغائمة، عندما نرمي بالسّهام وأفكار الموت ضدّ أعدائنا.

أزمنة أكثر تعقّلا، أزمنة فكرها أكثر تفجّرا ممّا عليه ماضينا وحاضرنا.

هذا الزّمن: لكأنّه امرأة عليلة وجب عليها أن تهذي، أن تصيح، أن تُعول كي تستعيد هدوءها.

عقول عنيدة حقيرة متعصّبة

آه، كم أنتم حزانى، كلّكم! آه، حتّى مهرّجوكم حزانى!

أيّها اليائسون، إنّكم لا تثيرون أدنى شجاعة لدى من يُخاطبكم!

الأمر أسوأ ممّا تتخيّلون: بعضهم يعتقد أنّه يكذب وعندها فقط يلاحظ أنّه يتلمّس الحقيقة!

أنتَ مفرط الثّراء، يا زرادشت، أنت تفرطُ في الافساد، إنّك تجعلنا حسّادا لك!

إنّهم يجرحون أنفسهم بأنفسهم لأنّه لا أحد يرغب في فتح الذّراعين لهم «ألا يوجد فيّ إذن ما يُحبّ؟.»

هكذا يهتف يأسهم.

نحو هذا تنزع أرواحهم الحقيرة:

تلك المتزلّفة، إنّها تريد أن تذلّ العظمة إلى حدّ إجلاسها على نفس الطّاولة معها.

وا أسفي، إنّهم يعاودون السّقوط في غرابة الكلمات الكبيرة والأعمال

السّطحية! ها هم للأسف يدعون أنفسهم بالفضلاء!

لقد ابتدعوا ربّهم من لا شيء: فما العجب أن يصبح لديهم عدما!؟

تقولون: «للأسف كلّ الأشياء مظاهر!» ولكن كلّ هذا كذب. تقولون «كلّ شيء ألَم وانحطاط!»

لكنّكم لا تقولون كفاية: لأنّ الكلّ يرغب في الإيلام والسّعي إلى السّقوط!

دون ربّ، دون خيرات، دون فكر - لقد ابتدعناه أقبح البشر!

وا أسفاه يا إخوتي! أين إذن خير الطيّبين وإيمانهم! أين إذن براءة كلّ هذه الأكاذيب!

أخرق ومُجْفِلٌ، مثل نمر أخفق في وثبة.

لقد نسي عادة أكل اللحوم وكذلك اللهو مع نساء العامّة الطّائشات، إنّه يُفرط في التأسّف على-الماضي-: آه كم نأى ذلك الماضي!

ما أعذبها، تلك الكلمة «في سالف الزّمن» كنغم ناقوس ضالّ في قلب غابات كثيفة.

أي نعم، أيّها الإنسان، أيّها الإنسان- إنّه حبل طويل، وزرادشت كان فيه العقدة التي أَحكم رباطها (النّبيّ).

مهزأة - كمتفسّح تاه في أفكار بعيدة يتعثّر بكلب نائم على طريق مقفرة: يا للحقد في النّظرات المتبادلة بين الإثنين وهما يموتان خوفا من بعضهما! وكان الأمر لا يحتاج في الواقع إلى الكثير من الودّ كي يتلاعبا ويتلاطفا!

انطفأ النّهار، وحان الوقت أكثر من أيّ وقت مضى كي نفترق.

*

أيّتها الرّؤوس الشّوكيّة، أيّها المغالون، أيّها المفرطون في الدقّة، أيّها المفرطون في العجلة أشباه القِردة تثب بين النّغوش والنّجارة.

كلاب مسعورة وأوغاد يائسون من حولي

حمّام بارد: هل ترغب أن تغمس فيه الرأس والقلب؟ سترى كيف سريعا تصبح أحمر كسرطانة! ذلك المثابر، الوفيّ، الذي من أجله، مضيئا كما الذّهب، يطلع النّهار وفي الحال ينصرم مُحاطا بأزليّة وليدة، وفوقي سكون بلا غيوم

ذلك الذي يهب أجنحة للحمير، ويجعل مِن ثالبيه النّاطقين باسمه، الذي يحلب اللبوات

إنّ الأمواج التي تحيطني تزداد دوما عُلوّا: قريبا يرفع قاربي أشرعته.

ربطّتموني بسلاسل، لكنّ الجلاّد والمعذِّب هما أفضل براهين الإقناع عندما تمّ تكميمنا

ما تظنّونه بي حقير: إنّكم تنتقمون منّي لأنّني أريد أن أجعلكم أكثر عظمة!

في هذه السّاعة حيث لا راع يشدو بنايه: لأنّ الظّهيرة في الحقول تنام.

امرأة تريد أن تقول ما تعشق

أيّها المتسوّل باختياره – وهذه التّقوى المهترئة إذ تقول: «أن تهب الفقراء هو أن تقرض الربّ: فكونوا أفضل الصّيارفة.»!

ولئن شاطرتك الإيمان، فإنّي أرغب أيضا في اتّباع طريقتك في الحياة.

لأنّ إرادته تشترط الظّهيرة العظيمة ثمّ غروبها.

*

تقولون إنّي شخص يضحّي بنفسه؟ لكنّ من قدّم يوما قربانا يعلم أنّ ما يهبه ليس بأضحية.

وحش إسهاب وحكمة، معطاء بألف يد، لا مبال عندها مثلما شمس.

ذات يوم أعلن امرؤ «أنا الحقيقة» وأبدا ما وقع الردّ على معتزّ بمثل هذا الأدب.

أيّها الشّاعر – إنّ فكري ورغبتي يتعلّقان بالقليل من الأشياء ولكن بما له أهمّية كبرى: كم أزدري جمالياتكم التّافهة والعابرة!

«لاشيء حقيقي، كلّ شيء مباح، هذا ما تقولونه؟»

من المؤسف أنّ هذه القولة هي الأخرى صحيحة أيضا: فما همّ أن تكون مباحة!

فلنتكلّم عبر الصّور، والرّقصات، والأنغام والسّكون: فما النّفع من عالم إن لم يكن كلّ العالم رمزا وصورة!

ها هي تلك القطط الثقيلة من الصوّان قيم الأزمنة البدائية: من يقدر على قلبها!

رجل عظيم كذلك الذي، لأجل طموحه، يتخلّص من شفقته ويعرف كيف يحطّم قلبه العادي: من يجرؤ ويطالبه أن يضحّي بالكثير من البشر، بالكثير من الأشياء كي يتمكّن، هو، من الفوز.

منتصبا كعمود في صحراء الحزن الكبير، وقد صار متصلّبا، ثابتا ومتحجّرا.

هادئا في حزنه الذّهبيّ كشخص تمتّع بكثير الملذّات.

سلطتي على النّاس، ألفيّتي، عصري الذّهبي، ألا تعرف ذلك؟

في كلّ نشاط تباشره، تتكرّر قصّة كلّ ما حدث بإيجاز: فكرك خاطئ، دعابتك، دعابة مشروطة.

*

غيورٌ حتّى في الضّغينة: تريد أن تحتفظ بعدوّك لنفسك دون غيرها!

كم ستكون المعرفة غير مثيرة إن كان علينا تجاوز الكثير من الخزي للوصول إليها!

إنّكم تحبّون ما هو نفعيّ لأنّه الأداة لنوازعكم: ولكن، ألم يعد ضجيج عجلات هذا النّفعي بالنّسبة إليكم شيئا أبدا لا يحتمل؟

يكشف المسعى إن كنّا نسلك دربنا الخاصّ: وهذا يُرقّص مَن يُقارب هدفه.

تتحدّثون عن وفائكم: غير أنّ نمط عيشكم الشّهوانيّ يمنعكم من مغادرة الفراش.

أنت تتعلّق بفضيلتك: إذن منذ الآن لا تسمّها فضيلتك، بل سمِّها ذوقك-وهذا بالفعل ما يتطلّبه الذّوق السّليم!

قال الثّعبان: ولكن يا زرادشت، وأنت الذكيّ، كيف تصرّفت على هذا الشّكل! لقد كانت حماقة من قبلك - لقد صار هذا بالنّسبة إليّ صعبا جدّا.

ضميرك المؤنّبُ داخلك: هي طريق أقدم روّادك الذي يُحاول إقناعك.

«الخطيئة الأولى»، يا صاحبي، هي بلا شكّ برهان على الفضيلة الموروثة.

لِمَ إذن تتحدّثون عن المشاعر السّامية!

إنّ العلوّ هو المقرّ حيث أشعر بأنّي نهائيّا متجذّر في أرضي وفي عمقي الخاصّ.

إنّ الأب الرّوحيّ هو من لا يأخذ شيئا على محمل الجدّ إلاّ بالنّسبة إلى تلميذه، حتّى بالنّسبة إلى شخصه ذاته.

النّباهة لا تكفي: لا بدّ أيضا من الاضطلاع بها وهذا يتطلّب الكثير من الشّجاعة.

*

آه بخصوص هذا الربّ المدهش والقاسي والذي هو عندكم «محبّة»!

هل كانت المحبّة أقلّ سموّا، عندما ظهر هذا الربّ الأوحد؟

أُناس باردون وجامدون، حماقاتهم لا تُصدّق.

جنس مريض.

أليس المديح أكثر إزعاجا من أيّ تأنيب؟

كنتم تعلّمتم سابقا أن تعتقدوا في هذا دون مبرّر: كيف تريدون الآن أن أقلب هذا المعتقد باعتماد المبرّرات!

- «أحبّ إلهي من أعماق روحي»: كيف يُمكنني أن أُطالبه بأن يحبّني بالمثل! لن يكون إيمانا كبيرا إن هو آمن بي! كما يفعل كلّ العشّاق.

أنتم يا من تعانون من الحمّى، كلّ شيء يبدو كما ظلّ أجوف: ومع ذلك فبرغم اختلافاتكم تعتمدون ذات الكلمات.

«لقد أنجزتُ ذلك تقول ذاكرتي»، لكنّ كبريائي يضيف «أنا ما استطعت إنجازه» ولا يتراجع، وفي الأخير، الذّاكرة هي التي تتنازل!

عيناه باردتان وناضبتان: بالنّسبة إليه، الكلّ عارٍ بلا ألوان، بلا أغصان: وتعتقدون أنّ عجزه عن الكذب هو «حبّ الحقيقة!»

ما تأمّلتم الحياة جيّدا إن أنتم ما رأيتم مَن بيديه الحذرتين- يقتل!

إنّه يتحرّك، ينظر حواليه ويحكّ رأسه-فتصفونه عندئذ بالعالِم! لكنّ من يتحرّر من كلّ حمّى لا يعني أنّه بعدُ قد صار عالما.

إنّ عالِمَ اليوم هو من يُعلِّم: في ما مضي كان الربّ يرغب أن يكون حيوانا: أرأيتَ، إنّه الإنسان: - الربُّ يُخلق حيوانا!

إنّ المحبّة الفائقة ترفض الانتقام والثّأر، لقد غرق الانتقام في هذا البحر من المحبّة الفائقة.

علِّموني أخيرا «كلّ شيء له جوانب جيّدة.»

أنتم جميعا يا من تغرقون، أتظنّون أني جاهـل بما تتمنّون؟ أن تتعلّقوا بسبّاح قويّ، الذي أنا ذاته.

أتظنّون أنّي راغب في أن أجعل الأشياء أكثر سهولة للرّاقي، وأن أدلّهُ على دروب أكثر إمتاعا؟ وجب لذلك أن يندثر على الدّوام أكبر عدد من جنسكم، وأن أرغب في تعلّم السّخرية منكم أكثر.

بإمكانكم أيضا أن تقودوا أقوى البشر إلى الهاوية: بكلّ العماء وكلّ التبلّد، هكذا تتعلّقون بمنقذ!

تعلّمتُ رؤية أشدّ الآلام ولست غاضبا من رؤيتكم تولولون.

وما همّني بؤسكم! ولتكن خطيئتي أنّي أشفقتُ عليكم!

أو تظنّون أنّي هنا لكي أُصلح ما أتلفتموه؟

ها أنا أرمي إذن بشباكي الذّهبيّة بعيدا عن هذا البحر المظلم: مُصفِّرا يأتي سهمكم منقّبا في أحشاء بؤسي.

منذ الآن سأُغري بطعمي أغرب الأسماك-البشر وأريد لضحكتي السّمراء الذهبيّة أن تستهدف مَن هناك في الأسفل وُلد ملتويا

فلتنفتح يا رحم الجنون البشريّ المدنَّس! أيّها البحر السّحيق، ارمِ على رملي أكثر وحوشك نضارة، سرطاناتك الوضّاءة!

*

أيّها المشوَّهون، أيّها الشاذّون، أيّها النّاقصون، ما همّني ألمكم إذا ما كان موضوعا للسّخرية منكم أكثر!

أن أعطف عليكم- لتكن هذه آخر ما تبقّى لي من خطايا.

أنتم جميعا، يا من تغرقون، أتظنّون أني جاهل بما تنتظرونه منّي، ما يقف بي على مرتفعي: البحر يعانقكم ويجذبكم: أتريدون التعلّق بسبّاح ماهر؟

وفعلا، أنتم تصنعون بكلّ غباء وتوحّش أرجلاً وأيادٍ كي تمسكوا بمنقذ ما، إلى حدّ أنّكم تجذبون أكبر السبّاحين قوّة إلى هاويتكم.

والآن، لا أكفّ عن السّخرية: سبّاح ماهر لا يمدّ لكم حتّى مجرّد إصبع صغير: لأنّكم إذا تمكّنتم مِن مسكه فستسلبونه يده وحتّى قلبه.

هذا هو غروركم: أن تعيشوا، أن ترغبوا في العيش حتّى وإن كان السّبب هلاكي.

العشاء السرّي

هكذا تكلّم الملك وتقدّم الجميع نحو زرادشت وعبّروا له من جديد عن تقديرهم: لكنّ زرادشت أمال رأسه وأبعدهم عنه بيده.

«مرحبا بكم هنا! قال لضيوفه، أقول لكم، أنتم أيّتها الكائنات الغريبة، مرحبا مرّة أخرى! حيواناتي أيضا تحيّيكم بكلّ إجلال ورهبة: لأنّها لم تقابل أبدا ضيوفا بهذه المكانة الرّفيعة! ومع هذا فإنّي لا أرى فيكم خطرا رديئا -هذا ما تهتف لي به حيواناتي.

يقول لي الثّعبان الجاثم على صدري: «حذار من هؤلاء الذين يقودون إلى اليأس!» - فلتصفحوا له هذا التّحذير المحتشم، فإنّ محبّته لي تدفعه إلى ذلك.

عن الذين يغرقون يحادثني ثعباني في السرّ: البحر يمتصّهم - ولذلك يريدون التعلّق بسبّاح قويّ.

وفعلا يصنع هؤلاء الغرقى، بِكلّ غباء ووحشيّة، أرجلاً وأياد كي يمسكوا بمنقذ سامريّ طيّب، يجتذبونه معهم على أنّه الأقوى - أيغرق أمثال هؤلاء؟

ها أنّي أمدّ لكم إصبعا صغيرا. الويل لي! ما الذي ستسلبونه أيضا كي تستحوذوا عليه!»

هكذا تكلّم زرادشت ثم بدأ في الضّحك بكلّ خبث ومحبّة، بينما كان يداعب بيده عنق نسره: وهذا الأخير كان واقفا إلى جانبه، منتفشا، كأنّ عليه أن يحمي زرادشت من زائريه. ولكن بعد ذلك مدّ يده إلى

الملك الذي يجلس إلى يمينه كي يقبّلها؛ وهذه عاودها بكلّ وقاحة.

*

لكن، عندما وجد زرادشت، المبتهج من جديد، ضيوفه يتبادلون الحديث، غادرهم، وفي صمت ترك كهفه. «إنّهم سعداء، لقد شفيتهم، قال لذاته: لينته هذا اليوم في الفرح، هذا الذي بدأ سيّئا! لقد نزل المساء إلى البحر بعدُ، إنّه يتأرجح، مسكونا بالحنين، ممتطيا سرجه الأرجواني. السّماء ترسل بنظراتها المشعّة، والعالَم بعيدا يرتاح في الأسفل: آه أيّتها الكائنات الغريبة! أيّها القادمون إليّ وكنتم على حقّ في ذلك: فإنّ الأمر يستحقّ أن تعيشوا معي!».

هكذا حاور زرادشت ذاته وهو يزداد صمتا: ولكن في الأثناء كان ضيوف زرادشت قد خرجوا تباعا من الكهف، وما رأوهُ خارج الكهف أسكتهم جميعا.

لقد وقفوا الواحد إلى جانب الآخر، مُمسكين بأيدي بعضهم في صمت، ناظرين أمامهم: لقد طلع من الأعماق خفية لحن تلك الأجراس المجلجلة العتيقة والثقيلة، أجراس منتصف الليل، أجراس زرادشت المستمتع بإحصاء ضرباتها والمتابع لإيقاعها المنتظم؛ هذه المرّة أيضا تثاقل رنينها من الرّغبة والشّجن: - عندها شعر الجميع أنّهم يرتعشون في أعماق ذواتهم. لكن زرادشت، الذي لم يجد أيّة صعوبة في التكهّن بكلّ هذا، تحدّث بنفس الخبث والمحبّة - دون أن ينظر إليهم، كأنّه يحاور ذاته، بصوت خافت لكنّه واضح بما يكفي -: «آه، انظروا هؤلاء اليائسين! آه انظروا هؤلاء اليائسين!»

وما سمع ضيوفه هذه الكلمات حتّى وعوا فجأة تحوّلهم وشفاءهم: عندئذ سخروا من أنفسهم وأسرعوا جميعا إلى زرادشت، شاكرين له معروفه، مجلّين له ومحبّين، أو مقبّلين يديه، كلّ على طريقته: حتّى أنّ بعضهم كان أيضا يبكي. أمّا النّبيّ فقد كان يرقص من الانشراح،

وحتّى إن اعتقد البعض أنّه كان ثملا من الخمر اللذيذ، فالأكيد أنّه كان كذلك من لذّة الحياة ولأنّه كان أطرد كلّ ضجر من حياته.

انتبه زرادشت إلى طريقة رقص النّبيّ، وبإصبعه أشار إليه: لكنّه بعد ذلك، أفلت من حلقة الذين يفكّرون ويحبّون، ولجأ إلى جرف وعر صعد إليه رويدا رويدا مقتطفا خلال ذلك ورودا وبراعم ورود. من ذلك المرتفع وباليدين مملوءتين ورودا، أخذ الكلمة للمرة الأخيرة في ذلك المساء: كان من الأعلى يتأمّل ذلك المزيج من اليائسين الذين تخلّص منهم كلّ يأس، من رجال كانوا للتوّ غرقى وقد وجدوا الآن طمأنينة الأرض الصّلبة؛ وضحك ملء شدقيه ثمّ صنع من وروده طوقا وألقى خطابا عنوانه

خطاب الورود

تاج الضّاحك هذا، هذا الطّوق من الورود: أضعهُ بنفسي على رأسي، لقد أعلنتُ بنفسي أنّ ضحكي قدسيّ، وما وجدتُ اليوم أحدا غيري قادرا على ما فعلتُ.

ولكن، كم هو جيّد أنّكم جئتم إلى كهفي كي تتمكّنوا من مشاهدة *مثل هذا الشيء*! كم أنا شاكر لانشغالكم ولرغبتكم هذه التي دفعتكم لعبور هذه الجبال والتّوجّه إلى المكان المناسب لتسألوا: «أمازال زرادشت حيّا؟» إنّ السّؤال الجيّد في حدّ ذاته نصف الإجابة. وفي الحقيقة، إنّ أفضل ردّ هو ما تتمكّنون مِن رؤيته هنا بأعينكم: زرادشت مازال حيّا، وكما لم يكن من قبل:

زرادشت الرّاقص، الخفيف الذي يرفّ بجناحيه، المستعدّ للانطلاق، المتواطئ مع كلّ الأطيار، الجاهر والمعافى، المتهيّئ كإله خالي البال - بنفسي أوشّح جبيني بهذا التّاج!

زرادشت، نبيّ ما يعلن من حقيقة، زرادشت، النّبيّ الأبكم للصّمت الأصيل، لا هو بالمتلهّف ولا هو بالعنيد، مثيل شخص يحبّ الوثبات

والمغامرات -بنفسي أضع هذا التّاج على جبيني!

بإمكانكم إرباكي بكلّ دموع الأرض وكلّ الشّكاوي الإنسانيّة: عليكم دوما سأنتصر، كما الزّيت على الماء.

وحتّى إن صادف وحقدتُ على الأرض: فستقتلع نجوم السّماء خبثي لترمي به إلى الأرض- هذا هو كلّ انتقام زرادشت.

وإذا كان في الأرض ركود وبلبلة، إذا كان في الأرض بحر من الرّعاع العكرين، فبإمكان من يملك رجلين خفيفتين أن يسير فوق الوحل - بالسّرعة التي يمشي بها على الجليد النّاعم.

وإذا احتجتُ إلى أعداء، واذا كنت مرارا لذاتي أسوأ الأعداء: فليس بإمكان الأعداء التّعاطي معي إلاّ نادرا؛ لأنّي أستعيد ضحكي سريعا بعد كلّ زوبعة.

وبرغم أنّي عرفت العديد من الصّحاري والعديد من الأصقاع الموحشة والخاوية، فأبدا ما كنتُ المتزهّد في المكان المقفر، وليس ذلك أنّني أبله ومخبول كمثل سارية: فإنّي على عكس ذلك -أمشي. وإنّ المسيرة تكشف إن كان المرء قد أدرك دربه الخاص.

انظروا إليّ أمشي إذن، وعلى من كان قريب الهدف، عليه - أن يرقص!

ملتوية هي الدّروب التي تقطعها الأشياء الجيّدة حين من أهدافها تقترب، مثيلة قطط تتكوّر، تتحفّز وتهرّ في داخلها لشعورها بقرب سعادتها: كلّ الأشياء الجيّدة تضحك!

ما هي أكبر الأخطاء التي ارتُكبت على الأرض؟ تلك كانت كلمة الذي قال: «الويل للذين في الأسفل يضحكون!»

ألم يجد هو ذاته سببا للضّحك؟ ذاك لأنّه لم يجهد ذاته في البحث: إنّ طفلا لواجد في هذا ما يضحكه. آه ليته على الأقلّ عرف كيف- يجد ذاته.

إنّهُ - لايحبّ بالقدر الكافي، فقد كان بإمكانه أن يحبّنا أيضا، نحن الضّاحكون. لكنّه ما كان يشعر نحونا إلاّ بالبغضاء والسّخرية؛ دموع وصرير أسنان، هذا ما يتوعّدنا به نحن الضّاحكون! وعندما نحبّه، هذا العنيد، فإنّه فورا يريد أن يسلق ويحرق. إنّه ذاته لا يحبّ بالقدر الكافي: لهذا كان قليل الرّغبة في أن يكون محبوبا.

ابتعدوا عن هؤلاء العنيدين! إنّهم جنس تافه ومريض، جنس سوقي. إنّهم لا ينظرون إلى الحياة بعين الرّضى، سيقانهم ثقيلة وكذلك قلوبهم.

تساموا بقلوبكم يا إخوتي، أعلى فأعلى! ولكن لا تنسوا أرجلكم، حرّكوا أرجلكم أيضا، أيها الرّاقصون المبدعون، والأفضل أيضا: أن تقفوا على رؤوسكم!

في السّعادة يوجد حتّى الأجلاف والثّقلاء بالفطرة. إنّهم ينهكون ذواتهم في جهود عجيبة هؤلاء السّعداء، كمثل فيل يحاول الوقوف على رأسه.

لكنّه من الأفضل للمرء دوما أن يجنّ من السّعادة، على أن يجنّ من الشّقاء!

أن نرقص بارتباك أفضل من أن نعرج!

هيّوا إذن لتعلّم حكمتي: «كلّ شيء سيّئ له جانبان إيجابيان.»

انسوا إذن قِرَبَ البؤس هذهِ، وكلّ حزن الحارس الليليّ هذا! كم يبدون لي اليوم حزانى هؤلاء المهرّجون أنفسهم! هذا اليوم هو يوم الرّعاع: انسوا إذن هذا - اليوم!

اقتدوا إذن بالرّيح التي تنطلق هنا من كهوفها الجبليّة. إنّها ترغب في الرّقص على أنغام نايها الخاصّ؛ إنّ البحار ترتعش وتثب على وقع أقدامها. هي التي تهب الحمير أجنحة وتحلب اللبوات: فلتكرّموا إذن هذه الرّيح الجامحة التي تقبل زوبعة تزعزع كلّ حاضر وكلّ رعاع،- عدوّة - هي الرّؤوس الشّوكية والمغالية في الدقّة، عدوّة كلّ تلك

البذور السيّئة والمتذمّرة والحقيرة أيضا، هذه الرّيح الطيّبة الحرّة والمتوحّشة، التي تنفث عاصفة غبارها في أعين كلّ المتشائمين وكلّ عشّاق الدّمامل:

إنّها التي تمقت الكلاب الميّتة للرّعاع وكلّ سلالة الشّؤم غير المتأصّلة: فلتكرّموا إذن هذه الرّوح للعقول الحرّة، هذا الإعصار الضّاحك، الرّاقص فوق المستنقعات وفوق الأحزان كما يرقص فوق المروج.

بعيدا، بعيدا أيّها الإعصار الجامح! عمّن تواصل الحديث؟ بعيدا فلتحلّقي أيّتها الرّيح المندفعة! كصيحة، كفرحة، فوق البحار حلّقي، بعيدا، إلى أن تجدي جزيرة السّعداء.

قبّلي أطفالي في جزائرهم، وبلّغيهم تحيّة جار للشّمس، جار للثّلج، جار للنّسر، هبيهم محبّة أبيهم كتحيّة!

يا أطفالي، يا سلالتي الأصيلة، يا نوعي الجديد والجميل: ما الذي يشدّ أطفالي إلى جزائرهم؟

أما حان الأوان، أما حان بالفعل الأوان-هذا ما يجب أن تهمسي به في آذانهم، يا روح العاصفة الطيّبة-أن يعودوا أخيرا إلى أبيهم؟ ألست أنتظر أطفالي كمن شاب شعره ثمّ ابيضّ تماما؟

بعيدا، بعيدا، يا روح الزّوبعة الجامحة!

اخرجي من كهوفك الجبليّة وذوبي في البحار، ولتسرعي قبل أن يحلّ المساء، ولتباركي أطفالي-

هبيهم برَكة سعادتي، بركة هذا التّاج من الورود الذي يعني الفرح!

القي بهذه الورود على جزائرهم، كإشارة استفهام تسأل: «من أين جاء مثل هذا الفرح؟» - حتّى يتعلّموا إلقاء هذا السّؤال: «أمازال والدنا حيّا؟ ماذا، والدنا زرادشت مازال حيّا؟ أمازال والدنا زرادشت يحبّ أطفاله؟»

احملي إليّ أطفالي بعون فرحي الأعمق! أغريهم حتّى تأخذ منهم رغبتي الأبويّة، الوفيّة والذّهبيّة! واسكبي على قلوبهم عسل حبّ أبويّ عميق، عميق!

الرّيح تعصف، الرّيح تعصف، يطلع القمر- آه، أيّها البعيدون عنّي، يا أطفالي، ليتكم الآن إلى جانب والدكم؟ الرّيح تعصف، السّماء خالية من السّحب، العالَم يرتاح-آه يا للفرح! آه يا للسّعادة!

ولكن ما إن نطق زرادشت ببعض الكلمات حتّى ارتعش من أعماق روحه: فقد لاحظ، وهو ينظر إلى رجليه، أنّه كان تماما وحيدا. كان قد نسي ضيوفه - فهل نسيه ضيوفه أيضا؟ «أين أنتم؟ أين أنتم؟» صاح في الليل زرادشت: لكنّ الليل كان قد صمت. «أين أنتِ؟ أين أنتِ يا حيواناتي؟» صاح زرادشت في الليل من جديد. لكنّ حيواناته أيضا ظلّت صامتة.

لأجل «أشدّ النّاس قبحا»

إيه روحي! لا تكوني محبطة بسبب الإنسان! بل واصلي التغذّي من كلّ صنوف أذيّته، من كلّ، غرائبيّته ومن كلّ مفزع فيه!

«شرّير هو الإنسان» - هذا ما ظلّ يردّده عليّ، لتعزيتي، أنبغ الحكماء في كلّ العصور. آه ليتني اليوم قادر على أن أتمتم: «ماذا؟ أهذا القول على الدّوام حقّ؟»

«ماذا؟ أما عادت هذه التّعزية كذلك؟» هذا ما قالهُ متنهّدًا جُبني. لكنّ هذا الرّائع وسط الرّائعين كان منذئذ قد عزّاني.

❊

عامّة، وهو ما يعني اليوم خليطا. كلّ ما يوجد صار معناه، خبطا عشوائيّا: أوغاد وقدّيسون ونبلاء ويهود وكلّ ماشية سفينة نوح.

ونسوة هذه الأيّام - ألسنَ أيضا وبحقّ سافلات ورعويّات؟ طيّعات، طالبات لذّة، عديمات الذّاكرة، غفورات-إنّهنّ لا يختلفن كثيرا عن العاهرات.

❊

أنتَ، أيّها السّاحر العجوز المقيت، إنّ أفضل ما فيك، وأكثر ما فيك من نزاهة أحترمها: هو أنّكَ انتهيت متعَبا من ذاتك وأنّك أقررت: «لستُ عظيما.» لقد تأخّرتَ كثيرا في الوصول إلى هذه النّزاهة. أيّها الذي لن يَعرف السّلام، والخلاص، أيّها المزيّف، كم مرّة همس لك شيطانك: «اعمل أوّلا بحيث يعتقد الآخرون فيك؛ ثمّ

أعلن أنّك بذاتك قادر على خلاصهم، فإنّك مُزيّف بما يكفي لذلك!»

❊

أمّا الآن فاتركوا لي غرفة الأطفال هذه، كهفي، واخرجوا! اذهبوا لتبريد مزاجكم الفائر خارج كهفي، وتعلّموا الهدوء بفضل السّعادة.

الليل وضّاء، ولا سحابة في السّماء.

اسألوني، اسألوا أنفسكم، أيّها الغرباء، إن كان يستحقّ - أن يعيش

لكنّ زرادشت نطق بالكلمات التي كان نطق بها عندما قال نعم للحياة حتّى الخلود وعندما وهب الخلود لذات الحياة: لكنّ صوته كان قد غيّر من رنينه.

كلّ الذين استمعوا إلى أسئلة زرادشت من أعماقهم أجابوا، ولكنّ أحدا ما قال كلمة. كانوا جلوسا إلى جانب بعضهم، ممسكين بأيديهم، صامتين، وإلى الخارج ينظرون.

المتسوّل الطّوعي

الآن فقط يعود إلى الطّبيعة.

هل أنتَ من المتحمّسين للخضر الطّازجة، من المعادين لكلّ عشّاق اللحوم؟ مُلقيا مواعظ على الجبل وفلسفة على الماشية الوديعة؟

إنّهم باردون: ليضرب البرق طعامهم وستتعلّم أفواههم التهام النّار!

من ذاتي صرتُ متعبا: وانظر كيف أنّ سعادتي عندئذ تدركني، سعادتي التي كانت منذ البدء في انتظاري.

ها هيَ، قوائمها مشدودة، هذه القطط ذات البراثنِ؛ منذ الآن، ما عاد بإمكانها الخدش، لكنّ عيونها الخضراء تقطر سمّا.

أكثر من واحدة قد ارتمت بعدُ من أعلى مكانها. عطفُها على الوضيعين دفعها إلى التّجربة: والآن، ها هي ترقد، محطّمة قوائمها.

ما نفعي من هذا التصرّف؟: قد انتظرتُ صدًى، وما وجدتُ غير المديح!.

عيون اللصوص عيونهم، كأنّهم كانوا يسبحون في الثّراء.

بجُمّاع الخرق وبيّاعي اللحوم الفاسدة أصف أغلبهم.

رأيتهم، أوفياءً للعادة الموروثة عن آبائهم، يطيلون أصابعهم: عندها فضّلتُ جذب أقصرها.

نظرات حاقدة، أرواح ضاغنة.

أفضّل مشاجرة عن هذه البدايات!

بالقفّزات وجب تناول المال والصرّاف!

الحسنة المتواضعة تُجرح حين الكبيرة تكاد تُغتفر.

أيّها المفرطون في الثّراء، نقّطوا كما القوارير المستديرة ذات المؤخّرات الضيّقة جدّا: وحذار، إنّ نفاذ الصّبر يلوي غالبا أعناقا كهذه القوارير!

خجلتُ من الثّراء حين رأيت الأثرياء، فرميت بكلّ ما ملكتُ ورميتُ بنفسي في الصّحراء.

يا عزيزي الغريب، أين كنتَ تُقيم؟ ألا يحاول اليوم كلّ منّا أن يتكسّب؟ يمكن شراؤهم جميعا، ولكن ليس بأيّ ثمن: إذا أردتَ شراءهم فلا تعرض سعرا بخسا، بذلك ستدعّم فضيلتهم. سيقولون لك لا! وسيذهبون، متبجّحين كما النّزهاء - كلّ أساتذة اليوم الواحد، كلّ هذا الذّباب من ورق!

نفوس ضيّقة، نفوسُ حانوتيّين: عندما المال يقفز في علبة النّقود، روح الحانوتيّ أيضا على ذاتها تنغلق.

«مع هؤلاء تعرّفتُ على من يفيض ثراء: إنّه يشكر من يأخذ.» قال زرادشت.

سجناء الثّراء، هؤلاء الذين تُدوّي أفكارهم، كما السّلاسل باردة.

يبتدعون السّأم الأكثر قداسة ولذّة مع بدايات الأسبوع وأيّام العمل.

كمتفسّح، حالما بأشياء جدّ بعيدة، يتعثّر عن غير قصد بكلب نائم على طريق مقفرة: كعدوّين لدودين، ينظران عندئذ إلى بعضهما، مفزوعين إلى حدّ الموت: وقد كان بالإمكان أن يتلامسا وأن يتلاطفا، أعني هذين المتوحّدين، بأبعد من هذا العطف الفقير والقديم والفظّ الذي يأمر: «أن تعطوا للفقراء، فأنتم تُعيرون الله. كونوا صيارفة جيّدين!»

تحبّون النّافع لأنّه تشابكُ ميولِنا، ألم يبدُ صرير عجلاته لا يُحتمل؟ أحبّ النّافع.

نساؤهم: طيّعات، شهوانيات، عديمات الذّاكرة: لسن ببعيدات عن العاهرات.

أحبّ الصّمت وهؤلاء يحبّون الضّجيج [...]

*

«هكذا لن تكونوا كما الأطفال» - لا! لا! ثلاث مرّات لا! كفى. نحن أيضا لا نريد الصّعود إلى السّماوات.

رجالا، هذا ما صرنا، ومملكة الأرض هي ما صرنا نريد.

(لا! لا! ثلاث مرّات لا! وما همّنا من هذه السّماوات المضطربة، والمخمورة! أُوّاه! لا نريد مملكة السّماوات: يا مملكة الأرض كوني لنا!)

«سيدفع بكم إلى الأعالي، نحوي: قولوا للشّعب إنّكم «تصعدون».

إنّكم نحوي مدفوعون!

في عصر يَحكمه رضى العامّة، وحيث التقزّز يعرّف الرّاقي.

الغُزلة في سبعة

وإذا كان عليّ في ذات يوم أن أصرخ مع الذّئاب، فإنّني سأفعل؛ ومن وقت إلى آخر يكون الذّئب قد قال لي: «أنت تصرخ أفضل منّا نحن الذّئاب».

أغنية للشّرب

بعد أن ظلّوا طويلا واقفين، وبما أنّ حميميّة الليل كانت تخترق شيئا فشيئا قلوبهم، وقع ما كان في هذا النّهار الطّويل الحدث الأغرَب.

ففي البداية أعاد أشدّ النّاس قبحا تذمّره وهو يلهث: وعندما توفّق في إعطاء تذمّره شكلا لغويّا طرح فمُه بوضوحٍ وتميُّزٍ سؤالا هزّ قلوب كلّ الذين كانوا إليه يستمعون.

أصدقائي، قال أشدّ النّاس قبحا، ما رأيكم؟ إنّ هذا اليوم هو ما جعلني على رضًى بأنّني عشت كلّ هذا الوجود. وأقول أيضا: إنّ ذلك ما كان بالنّسبة إليّ كافيا.

على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة: يوم واحد قضيّته مع زرادشت علّمني أن أحبّ الأرض.

«أهذهِ هي – الحياة؟ صرختُ حتّى الموت. جيّد جدّا! مرّة أخرى! باسم زراد. . .شت!».

أصدقائي، ما رأيكم؟ ألا تريدون، مثلي، أن تصرخوا حتّى الموت: «أهذه هي – الحياة؟ باسم زرادشت – جيّد جدّا! مرّة أخرى!»

أنت طبيبنا وأرض خلاصنا – فاتركنا، يا زرادشت، نواصل السّير وراءك!

هكذا تكلّم أشدّ النّاس قبحا، وكانت السّاعة حينها تقارب منتصف الليل.

عندها قبض زرادشت بعنف على يده وضغط عليها بيديه، وبكلّ تأثّر

صرخ بصوت من تلقّى بلا انتظار، من السّماء هديّة ثمينة، من تلقّى جوهرة:

«كيف؟ أأنتَ من يقول هذا؛ أيّها الصّديق؟ أهذا ما تريد؟ أهذه كلّ إرادتك، وأفضلها، وأكبرها، وآخرها؟ قلها مرّة أخرى!». . .

وأعاد أشدّ النّاس قبحا ذلك كما لو أنّ أحدا كان قد طلبَهُ منه: ولكن ما أن سمع كلّ الرّاقين مديحه حتّى أدركوا فجأة تحوّلهم وشفاءهم، وتبيّنوا من كان تقدّم إليهم بهذا الشّفاء هديّة: فانطلقوا نحو زرادشت، معترفين له بالجميل، مقدّمين له دواعي التّبجيل، ملامسين أو مقبّلين يديه، كلّ على طريقته: بحيث أنّ البعض كان يضحك والبعض الآخر يبكي.

لكن العرّاف العجوز كان يرقص من الفرح، وحتّى إن كان، كما ظنّ البعض، سكرانا بلذيذ النّبيذ، فإنّه بالتّأكيد كان أكثر سكرا بعذوبة الحياة، وكان التّعب قد غادره. بل إنّ البعض يروي أنّ الحمار كان في هذه اللحظة يرقص، لأنّ أشدّ النّاس قبحا سبق أن كان سقاه نبيذا عوضا عن الماء، حين كان يتوجّه إليه بصلواته كما لو أنّه يتوجّه بها إلى آلهته الجديدة. وسواء حدث الأمر أم لم يحدث فإنّ كلّ الذين يروون حكاية زرادشت لن يصدّقوا ذلك –: لكنّ المؤكّد أنّ أشدّ النّاس قبحا كان قادرا على هذه الرّداءة أيضا.

انتبه زرادشت إلى الطّريقة التي كان العرّاف بها يرقص وكان يشير إليه بإصبعه: ثمّ تخلّص من حشد المعجبين به والمحبّين له، ووضع إصبعه على فمه وأمر بالصّمت.

في هذه السّاعة المتقدّمة من الليل شرع زرادشت في إنشاد أغنية الشّرب الكبرى التي ردّدها كلّ ضيوفه، الواحد تلو الآخر؛ وكان الحمار، والنّسر، والثّعبان يستمعون إلى الأغنية، وكذلك كهف زرادشت والليل ذاته. وها هي الأغنية:

تساموا بقلوبكم، يا إخوتي، عاليا، عاليا أكثر! -لكن لا تنسوا أرجلكم! ارفعوا أرجلكم أيضا، أيّها الرّاقصون المهرة، والأفضل أن تقفوا على رؤوسكم.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!

عندئذ تقدّم العرّاف العجوز وقال: «في السّعادة توجد حتّى حيوانات ثقيلة، وهناك أرجل ثقيلة منذ ولادتها. والغريب أنّها تجهد النّفس، كالفيل يجهد كي يقف على رأسه.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم أشدّ النّاس قبحا وقال: «الأفضل للمرء أن يرقص مثلما الأخرق على أن يمشي بأرجل مشلولة، والأفضل أن نجنّ من السّعادة على أن نجنّ من التّعاسة. وها هي أفضل حقيقة لزرادشت: حتّى أكثر الأشياء رداءة لها وجهان جيّدان.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم السّاحر العجوز وقال: «منذ الآن نسيت أن أشير إلى ما أبعد من أسى الحارس الليليّ وحزنه. مثيل الرّيح تضيءُ كلّ السّماوات وتُهيج كلّ البحار أريد أن أكون: منذ الآن أريد أن أكون مثيل زرادشت.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم ملك الميمنة وقال: «زعزعوني وخلّصوني من كلّ دموع الأرض وكلّ أنين الإنسانية، أريد أن أكون دائما في القمّة كما الزّيت فوق الماء. وهذا تعلّمته من زرادشت الذي أمامكم يقف.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم ملك الميسرة وقال: «وما أدراني أنّ الأرض لن تشمئزّ في ذات يوم: إنّ أذيّتي تختطف النّجوم من السّماء وتلقي بها على الأرض: تلك هي طريقة زرادشت في الانتقام.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم الأوروبيّ الطيّب وقال: «وحتّى إن كانت على الأرض مستنقعات، وحزن وبحار وُحُولها سوداء: فإنّ من كانت رجله خفيفة، كما زرادشت، لقادر على القفز فوق الوحول سريعا كما لو كان فوق سيوف مصقولة.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم المتسوّل الطّوعيّ وقال: «إنّ المسار يُثبت إن كان المترجّل يتّبع طريقه الحقيقي: انظروا كيف يسير زرادشت! إنّ كلّ من يقترب من هدفه -يرقص!
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم العقل المتردّد وقال: «إنّه عن طريق الدّروب الصّلبة تحقّق الأشياء الجيّدة هدفها، وكما القطط عندما تتكوّر وتموء في صمت من سعادتها القادمة، كلّ الأشياء الجيّدة تضحك.
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

عندئذ تقدّم الخوريّ العجوز وقال: «ما هي أعظم خطيئة ارتكبت إلى حدّ الآن على الأرض؟ إنّها كلمة من قال: «البؤس للذين في هذه الدّنيئة يضحكون!»
استمع! استمع! إنّ منتصف الليل العميق يقبل!»

الخطيئة الأخيرة

١

لكن ما الذي حدث لزرادشت ذاته؟

ومن يمكنه أن يخمّن ما حدث بداخله طوال تلك الليلة؟ - فعندما رأى الفرح على رجاله المتفوّقين، انهار فجأة، كسنديانة صمدت طويلا أمام جهود العديد من الحطّابين، وفجأة صارت مرعبة وثقيلة حتّى لهؤلاء الذين أرادوا قطعها. لكنّ الفأس التي حطّمها زرادشت كانت تُسمّى شفقة، وذلك انسجاما مع سعادة رجاله الرّاقين.

٢

تسارع الرّجال الرّاقون، عندما وقع على الأرض، بغاية مساعدته على النّهوض: لكنّه كان قد نهض بمفرده، ونهر كلّ الذين تسارعوا حوله صارخا: «ابتعدوا! أبعد! أبعد!»، «اتركوني!» صاح في ألم وبطريقة مخيفة حتّى أنّ قلوب أصحابه تسمّرت؛ وقبل أن تمتدّ يدٌ لتمسكه، غطّى رأسه بردائه ودخل الليل الأسود واختفى.

هناك ظلّ أصدقاؤه لوقت طويل مذهولين وصامتين، لأنّ هذا الجبل كان مجهولا لديهم، ولا أحد في هذه السّاعة كان بإمكانه أن يجد طريقه في دائرة المائة متر، فقد كانت السّاعة منتصف الليل تقريبا. وعندما أدركوا أنّهم لن يستطيعوا ولن يعرفوا ما يفعلون، قرّروا العودة إلى كهف زرادشت برغم أنّه كان بائسًا وكثير البرد، هناك أمضوا

ليلتهم، وما ناموا إلاّ قليلا، فقد كانوا محاطين بأفكار معتمة وأشباح سوداء.

ولكن مع أُولى ساعات الفجر، غادر المسافر الذي كان تسمّى ظلّ زرادشت أصحابه سرّا، ومن أمام الكهف أخذ يتقصّى الأرباض بحثا عن المختفي. وبعد وقت قليل، صاح باتّجاه الكهف: «هناك! هناك! هذا زرادشت قادم!» عندها نزع الجميع عنهم النّعاس والأفكار المعتمة، وانطلقوا مفعمين أملا بطلوع النّهار. ولكن عندما صاروا جميعا هناك ينظرون إلى البعيد - وكان الحمار أيضا قد خرج معهم وأخذ ينظر باتّجاه زرادشت - عندها تمثّل مشهد غريب في البعيد. كان زرادشت بالفعل يعبر الدّرب الضيّق ببطء شديد: ثمّ توقّف ونظر خلفه: وراءه كان يصعد حيوان هائل أصفر، بخطوات متردّدة على غرار زرادشت، في مشية بطيئة، كثير الالتفات إلى الخلف. لكنّه كان، كلّما أدار زرادشت رأسه باتّجاهه، يقوم بخطوات سريعة ليتردّد مجدّدا. ما الذي يجري، تساءل الرّاقون وقد صارت قلوبهم تنبُض بقوّة، فقد ظنّوا أنّ هذا الحيوان الهائل الأصفر واحد من أسود الجبل. وهاهم يلمحون الأسد فجأة: هاهو يُطلق زئيرا وحشيّا ويثب نحوهم: بحيث اجتمعت أفواههم في صرخة واحدة وفرّوا.

في لحظة، وجد زرادشت نفسه وحيدا على عتبة كهفه جامدا مندهشا. «ما الذي حدث لي إذن؟» قال في نفسه، بينما كان الأسد الهائل وجلا يجثم على قدميه.

«يا لها من صرخة استغاثة هذه التي كنت للتوّ أسمعها!»

لكنّ الذّاكرة أسعفته فأدرك كلّ ما وقع. هاهي الحجارة، قال في فرح، ها هي الصّخرة التي جلست عليها صباح أمس: في تلك اللحظة سمعتُ نفس الصّرخة. آه يا أنتم، أيّها الرّاقون، لقد كانت فعلا صرخة استغاثتكم!

لقد سبق لهذا العرّاف العجوز أن حذّرني صباح الأمس، كان يحثّني على خطيئتي الأخيرة، على الانسجام مع استغاثتكم.

لكنّ سعادتكم كانت بالنّسبة إليّ خطرا - الانسجام مع سعادتكم هذا ما لم - يعرف تكهّنه!

ما الذي استطاع هؤلاء الرّاقون أن يتكهّنوه عندي!

جيّد جدّا! أنّهم نأوا - وأنّي ما ذهبتُ معهم: يا للتّصر! يا للسّعادة! كم توقّقتُ في هذا!

أمّا أنت، يا حيواني ويا علامتي على الحقيقة، أنت الأسد الضّاحك، ستبقى إلى جانبي!

جيّد جدّا! لقد جئتَ إلى سعادتي وفي الوقت المناسب، أنت ثالث الحيوانات المبجّلة عندي!

هكذا تكلّم زرادشت إلى الأسد وجلس متنهّدا على الصّخرة التي كان اتّخذها عرشا في الليلة الماضية -: ثمّ توجّهت نظرته نحو الأعالي متسائلة - كان للتوّ يستمع إلى نداء نسره القويّ.

حيواناي يعودان، حيواناي القديمان المبجّلان، صرخ زرادشت في بهجة عميقة: سيبلّغاني إنْ كان أطفالي على الطّريق إلي. ولا بدّ أنّهم قد وصلوا ما دام الأسد الضّاحك قد وصل. يا للنّصر! يا للسّعاده!

الغداء الجيّد

كان العشاء قد طال بنا، فقد كنّا بدأناه منذ الظّهر، عندمَا قال أحدهم: «استمعوا بأيّة قوّة تئنّ الرّيح خارجا وتصفّر! من منّا يرغب أن يكون الآن في الخارج. جيّدٌ أن نكون الآن في كهف زرادشت. فحتّى وإن كان مجرّد كهف، فهو يظلّ بالنّسبة إلينا، نحن أشباه السّفن، ميناء آمنا. ما أجمل أن نكون هنا - في الميناء!»

نُطِقَ بهذه الكلمات فما أجاب عنها أحد، بل ظلّ الجميع ينظرون إلى بعضهم. لكنّ زرادشت نهض من مكانه، وتفحّص ضيوفه واحدا بعد آخر بنظرته المستقصية والبشوشة، وأخيرا قال:

«يا أصحابي الجدد! إنّكم تثيرون اندهاشي. اليأس عليكم غير بادٍ. من يصدّق أنّكم منذ لحظات كنتم تصرخون طلبا للنّجدة من داخل هذا الكهف بالذّات.

تخمينى أنّكم بالنّسبة إلى بعضكم رفقة سوء، هل صرتم نكديّ المزاج بسبب جلوسكم إلى جانب بعضكم؟ لقد حان الوقت ليأتي أحدهم ويفرحكم:

مهرّج مُبتهج، راقص باليدين والرّجلين دوّامة، شيطان صغير، عجوز، تقريبا مجنون، وزرادشت- ما رأيكم؟»

عندها وقف ملك الميمنة وقال: «لا تحمّل كلامك ألفاظا وضيعة عندما تتكلّم باسمك يا زرادشت، فإنّك بهذا تجرح حياءنا! انظر! لقد بتنا نعرف جيّدا، إن صحّ القول، كيف نُسكت صراخَ النّجدة، وكيف

تكون نظراتنا وروحنا منفتحة، مفتتنة، وشجاعتنا بالجرأة منتصرة.

آه، يا زرادشت، لا شيء ممّا ينمو على هذه الأرض قد ظلّ مُفرِحا أكثر من إرادة قويّة وعالية: إنّها نبتتها الأجمل، وإنّه لتكفي شجرة واحدة كهذه حتّى يتمدّد هنا مشهد بأكمله.

أقارنهُ بشجرة صنوبر من كان يا زرادشت مثلك، ينمو ويسمو: عاليا، صامتا، صلبا، متوحّدا، قُدّ من أفضل الخشب الليّن، سيّدا

لكنّه بالفعل يغزو هيمنته الخاصّة بدفعات أغصان قويّة وتذكيريّة، ويطرح أسئلة قويّة على الرّياح وعلى العواصف وعلى رفاق الأعالي.

مُقَدِّما إجابات أكثر شدّة، آمرا، منتصرا: آه، ومن لا يتسلّق القمم العالية لتأمّل مثل هذا الشّجر؟

بالقرب من شجرتك، يا زرادشت، حتّى الإنسان المعتم، النّاقص، يستعيد هدوءه؛ برؤيتكَ روح الحزانى تطمئنّ وترتاح.

ومع ذلك فكم كان جيّدا أنّنا كنّا صرخنا مستنجدين: فقد اضطررنا عندئذ أن نرفع أنظارنا نحوك! وكم نحن معترفون بالجميل مذّاك لكلّ هذا التقزّز، لكلّ هذا الهواء الثّقيل، فكلّ هذا علّمنا أن نطرح الأسئلة، أن نبحث، أن نربّي ذواتنا.

كلّ هذا علّمنا طرح الأسئلة في مجالها الأنسب، في القمّة المناسبة: «أمازال زرادشت حيّا؟ كيف يحيا إذن؟»

مَن طُرح عليه سؤال جيّد فقد تحصّل بعدُ على نصف الإجابة. وفي الحقيقة، إنّ سؤالا كاملا هو ما نتأمّله هنا: مازال زرادشت يحيا، وبأفضل من أيّ وقت مضى.

زرادشت الرّاقص، زرادشت الصّامت، لا فاقدا صبره ولا متصلّبا، مثيل من يعشق الوثب والهروب.

من يحمل تاج الضّحك، تاجا من الورود يحمل.

وأنت بالذّات، يا زرادشت، وشّح جبينك بهذا التّاج، فلا أحد غيرك

أقدر منك اليوم على ذاتك! وحتّى لو رأت عينك أسوأ وأكثر سوادا من أيّ متشائم، حتّى ولو لم يعبر أيّ قدّيس جحيمك،

وحتّى لو تسترّتَ محاطا بالعتمات الجديدة غير عابئ بالغوص في عمق ضباب كثيف وجليديّ نحو هُويٍّ أُخرْ: فإنّك ستنتهي دوما بأن تنصب فوقك خيمتك متعدّدة الألوان.

أنت تنشر ضحكتك على الليل والجحيم، على الهُويِّ المملوءة بالضّباب؛ وحيث تنتصب شجرتك القويّة والعالية، فإنّ السّماء أبدا لا تبقى طويلا مغطّاة.»

في هذه اللحظة قاطع زرادشت خطاب الملك، فوضع إصبعه على فمه وقال: آه، هؤلاء الملوك!

إنّهم يتّفقون على تقديم ولائهم وعلى الأقوال الفخمة: إنّهم بذواتهم متعوّدون! لكنّ ذلك لا يشغل أُذنيَّ.

إنّ أُذنيّ لا تكفّان عن التّحقير، أما لاحظتم ذلك بعدُ؟ إنّها تتقلّص أمام كلّ الخطب الفخمه.

بمثل هذا المديح، بمقدوركم، أيّها الملوك، الإطاحة بأقوى الرّجال؛ إنّ القدح الذي يحتوي على مثل هذه الخمر لا يجب اقتسامها مع أحد. إلاّ معي *أنا*: لأنّني أهزأ من كلّ مديح، بفضل جبيني البرونزي؛ بفضل إرادتي البرونزيّة: لأنّ ما تشرطه قويّ، عال، رقيق: وهذا لا يقدر عليه المديح والاحترام.

وهذا صحيح: ما صرتُ ناسكا في الصّحراء برغم أنّني أقمتُ في الكثير من الصّحاري، وفي الكثير من الأنحاء المتوحّشَة والعارية؛ ولكنّني ما وقفت بعدُ مذهولا، متبلّدا، مُجمّدا كسارية.

إنّي أشبه الشّجرة التي تتكلّم عنها، شجرة عالية وقويّة، وهذا صحيح: كثيرُ العُقد وصلبٌ، وعلى شيء من المرونة في صلابتي، منارةً حيّة أُهيمن على البحر أنا.

وإنّه عن طيب خاطر، يا أصحابي الجدد، أن أرغب في الإشارة لكم كهذه الشجرة، ذات الأغصان الكبيرة، ذات الإرادة القويّة: اصعدوا إليّ، إنّي أرغب أن أكلّمكم، وتأمّلوا معي هذه الأبعاد الشّاسعة!»

عندها حدثت، على التّوالي، أشياء كانت الواحدة منها أغرب من الأخرى.

ولقد حاول عبثا أن يصرّ على أسنانه وأن يعضّ على شفتيه، غير أن الرّحمة غمرته كما سحاب ثقيل، وكما فتور عميق.

هنا - النّسر! - أين أنا!

إنّه طار.

من كتابات أوتوبيوغرافية

السّداسي الأوّل من أكتوبر ١٨٦٥ إلى عيد الفِصْحِ ١٨٦٦.

فصل الشّتاء. الإقامة عند «رنْ»، بلُومِنْ قَسُ ٤. في الحديقة.

إنّ «شوبنهور» أصبح معروفا.

«كِيرِي» لُحِّنَ.

كتاب التأمّل

تأسيس الجمعية.

محاضرة حول «التيوقْنِيدْيَا»

التعرّف على رِتْشِلْ

معاشرة «مُوسْهَاكِي فُونْ قَرِسْ دُورفْ»

ابن العمّ «شِنْكِلْ»

جمعية «رِيدَلْشِرْ»: موهبة «يُوهَنسْ»، قمة الموسم «تِيُودُورْ فُونْ أَرْنُولدْ»، «تسِكُونفْتِسْ مَاتِنَيِنْ»

ملك إقليم «سَاكْسِنْ» «بلِيبْتْسِيخْ».

وليمة الخمّارة لعلماء اللغات المنتمين «لِلَيبْسِخْ».

مباشرة عطلة عيد الفِصْحِ.

****

السّداسي الثّاني: من عيد الفِصْحِ ١٨٦٦ إلى أكتوبر ١٨٦٦.

فصل الصّيف. الإقامة عند «رِيدِقسْ»، نهج إِلِيزَابِيثْ ٧ - «بَارْتَارْ»

اضطرابات سياسية.

تقدير «بِسْمَارِكْ بِلَيْبْتسِشْ»

الحرب الألمانية.

دخول جيش البْرُويْسِنْ «بِلَيبِتسِشْ»

تحوّل العقائد السّياسية.

محاضرة حول أَصْلِ «السويدَاسْ»

إنجاز عمل «التِيُوقْنِيدْيَا» لمتحف الرَّاينْ «بِسَادُوفَافُوخْ» «هَادْفِيقْ رَابْ» بِلِيبْسِشْ.

معاشرة رُومُونْد، فِنْدِشْ - رُوشَارْ - هُوفَارْ - كلِينْ بَاوِلْ «كَانْ بَارْتِينْ»

عرض «دِينْدُورفِشْ»

قضاء العطلة بـ«كُوسِنْ» والفرار من مرض الكوليرا.

دراسة المفردات.

محاولة في طريقة تحريف النّصوص في المأساة اليونانية.

ديونيزوس.. الأناشيد

مجرّد مجنون! مجرّد شاعر!

أتذكر
عندما الوردة في الفضاء الجليّ
في تخفّ وهدوء
على الأرض صبّت تآسيها
أيّها القلب الملتاع! هل تذكر؟
كم كنتَ ظامئا في ما مضى
إلى الدّموع السّماوية
إلى قطرات ندى
ظامئا ومتعبا. . . آه! كم كنتَ ظامئا
كانت أشعّة الشّمس النّائمة
وسط الأعشاب، وعلى الدّروب الذّابلة
في خبث، وسط الأشجار السّوداء
حواليك تركض. . . أشعّة محرقة ماكرة.

أمدّعٍ للحقيقة أنت؟ / كذا سخروا/
لا! مجرّد شاعر!
دابّة محتالة، زحّافة، متوحّشة
عليها أن تكذب
متشهّية للطّريدة بالألوان مقنّعة

قناع ذاتها، طريدة ذاتها.

أيكون هذا هو المدّعي للحقيقة؟!!

لا! مجرّد مجنون، مجرّد شاعر
في صُوَر ملوّنة يتكلّم،
خلف قناع مجانين متعدّد الألوان يصرخ،
على قناطركاذبات البيان يتيه
تحت أقواس قزح كاذبة،
تحت سماوات كاذبة محلّقا يتيه.
مجرّد مجنون، مجرّد شاعر!..

أيكون هذا هو المدّعي للحقيقة؟

لا صامتا، ولا متصلّبا، ولا أملس، ولا باردا،
ولا بالمتحوّل إلى صورة، إلى نصب ربّاني
ولا بالماثل أمام المعابد حارسا عتبات الرّبّ. لا!
عدوٌّ لهذي الصّروح أنتَ،
صروح الفضيلة
وأنت أليف الصّحراي
أكثر ممّا أليف المعابد أنت،
ممتلئا رشاقة، واثبا عبر النّوافذ...
آه: يا من تركض وسط الغابة العذراء
بين النّمور المرقّطة
قويّا، ملوّنا وجميلا كما الخطيئة ذات الفم الشّبقي

في ربّانية ساخرا، جهنّميا، دمويّا،
أنت يا من تركض، متوحّشا، زاحفا، كذّابا...

أو شبيه النّسر أنت
مُطوَّلا ينظر في الهاوية...
يا لتحليقه الدّائري!
نازلا دوما إلى أسفل، إلى أعمق الهاوية.

ثمّ
فجأة
في تحليق مستقيم، مضموم الأجنحة
يحطّ على الخرفان جوعانا،
مأخوذا بشهوة الخرفان، كارها روح الخرفان
حاقدا على كلّ ما له نظرة فاضلة
نظرة عين الشّاة، ذات الصّوف المجعّد
يحطّ على كلّ بليد وعطوف كما الخروف.

كذا هي
شبيهة النّسر والنّمر
رغبات الشّاعر،
كذا هي رغباتك، بين ألف قناع
أنت المجنون، أنت الشّاعر!..
يا من رأيت الإنسان شبيه اللّه، شبيه الخروف
يقطّع اللّه في الإنسان،
يقطّع الإنسان في الخروف، ضاحكا يقطّعه

هي ذي غبطتك
غبطة النّسر والنّمر، غبطة الشّاعر والمجنون.

عندما
في الفضاء الجليّ
عندما
يكون هلال القمر قد دسّ بعدُ أشعّتَه الخضراء
بحسد في أرجوان الغروب
عندما
عدوّ النّهار بخطوه يحصد أكمام الورود
إلى أن تسقط في الليل ذابلة
كذا وقعتُ أنا ذاتي في ما مضى،
من فتنتني بالحقيقة، من رغباتي الضّوئيّه
متعبا بالصّباح، عليلا بالضّياء
عميقا وقعتُ نحو الغروب والظلّ: حقيقة أوقعتني
ظامئا ومحترقا.
أتذكر!
أيّها القلب الملتاع هل تذكر،
كم كنتَ حينها ظامئا؟
عوفيتُ من كلّ حقيقة!
مجرّد مجنون، مجرّد شاعر!

بين بنات الصّحراء

I

عندها، قال المسافرالذي تسمّى ظلّ زرادشت، لا ترحل، اِبق بيننا وإلاّ اجتاحنا قلقنا القديم والثّقيل من جديد.

لقد أغدق علينا السّاحر العجوز أردأ ما عنده، انظر الخوريّ التقيّ جدّا، انظر الدّمع في عينيه وقد أبحر من جديد في محيط الشّجن.

وهؤلاء الملوك الذين يتظاهرون بالبشاشة، لو لم يكن لهم شهود، لراهنت أنّ اللعب الرّدئ قد عاودهم، همُ أيضا.

اللعب الرّدئ للغيوم العابرة، للحزن النديّ، للسّماء المحجّبة، للشّمس المختَلسة، لرياح الخريف المعوِلة.

اللعب الرّدئ لصيحاتنا واستغاثاتنا: يازرادشت! اِبق بيننا فإنّ هنا شقاء مخفيّا يريد أن يتكلّم، وسحبا وهواء كثيفا.

لقد أطعمتنا الغذاء الإنسانيّ النّافع، والآيات الواهبة للقوّة، فلا تسمح للأرواح المتراخية أن تفاجئنا في ختام الوليمة من جديد.

وحدكَ تعلم كيف تجعل محيطك قويّا ونقيّا! وهل وجدتُ أبدا على الأرض هواء نقيّا كالذي في الكهف عندك؟

مع أنّني جبت بلدانا عديدة، وأنفي تعلّم اختبار الكثير من الهواء وتعلّم تمييزه: فإنّه بالقرب منك أحسّ بالرّغبة الكبرى.

ليكن، ليكن، واغفر لي هذه الذّكرى القديمة: اغفر لي، نشيدا قديما،

نشيد ختام وليمة كنتُ قد أبدعته بين صبايا الصّحراء. فعندهنّ نتنفّس دوما هواء الشّرق الجيّد والنّقيّ.

هناك، كنتُ أبعد ما يكون عن أوروبّة العجوز، الغائمة والرّطبة والحزينة.

آنذاك أحببتُ مثيلات هؤلاء الصّبايا من الشّرق، ومن ممالك أخرى سماواتها زرقاء، لا تحلّق فوقها سحب ولا أفكار. ولكُم أن تتصوّروا كم كنّ عِذابا، حين، بعد الرّقص، جلسن في هيئة عميقة، لكن بلا أفكار، كما الأسرار الصّغيرة، كما الألغاز الملفوفة، كما الجوزاء تُكسّر بعد العشاء.

ملوّنة وغريبة حقّا، لكن بلا سُحب: كما ألغاز يسهل حلّها: إكراما لهؤلاء الصّبايا، أبدعتُ مزموري لما بعد العَشاء.

هكذا تكلّم المسافر الذي تسمّى ظلّ زرادشت، وقبل أن يجد أحدهم الوقت لإجابته، كان قد أخذ قيثارة السّاحر العجوز، ونظر حوله في هدوء وحكمة شابكا ساقيه. لكنّه كان من فتحتَي أنفه يستنشق الهواء في تأنّ كمن يسأله، كما لو أنّه الزّائر لبلدان جديدة يتنسّم فيها هواء جديدا، ثمّ شرع في الغناء كأنّه يزأر.

II

إنّ الصّحراء تمتدّ فويل لمن أراد احتواء الصّحراء.

III

آه!

يا للاحتفاء!

يا للبداية تليق بحفل إفريقي!

وتليق بأسد،

أو بمنذر أخلاقي...

لكنّ هذا لا يشغلكنّ ياصديقاتي العِذاب،

يا من أتيح لي، أنا الأوروبيّ أن أجلس عند أقدامكنّ تحت النّخيل.
يا الله!

يا للغرابة!
ها أنّني الآن أجلس
قريبا من الصّحراء
ومع ذلك
أجدني عنها بعيدًا
وما دمّرتني الواحة، وما ابتلعتني،
وكانت في تثاؤب تفتح فمها العذب الصّغير،
فمها المعطّر أكثر من أيّ فمٍ صغير.
هناك وقعتُ
عميقا، ودون قرار مررتُ بكنّ، صديقاتي العِذاب. يا الله!

المجد
المجد لهذا الحوت السّاهر على راحة ضيفه
هل وعيتنّ إشارتي الذكيّة..؟
المجد لجوفه،
إذا كان شبيها بجوف هذه الواحة.
لكنّني أشكّ في ذلك،
لأنّني من أوروبّة قادم،
من أكثر الزّوجات غيرة، أصلحها اللّه، آمين!

شبيه حبّة التّمر
أجلس في أصغر الواحات،

مُتسمّرا، في لون الذّهب، مملوءا سكّرا،
ظامئا لثغر فتاة مكوّر،
وأكثر:
لقواطع حادّة، كما الثّلج بيضاء،
كلّ نويّ التّمور الحارّة وراءها تلهث. يا الله!

شبيها
بغلال الظّهيرة هذه، أستلقي هنا،
ومحاطا
بالحشرات الصّغيرة المجنّحة حواليّ تمرح،
وأيضا بالأفكار والرّغبات الأصغر منها،
والأكثر منها جنونا ومكرًا،
ومطوّقا
بكنّ يا صغيرات القطط.
أيّتها الصّامتات والممتلئات فهما،
يا دودو! يا زليخة...
أصير، لغزا، إن ملأتُ اللفظة الجديدة بالمشاعر
(ليغفر لي الله هذه الزلّة في اللسان!..)
وها أنّي هنا أجلس
أتنشّق الهواء الأنقى،
هواء الفردوس النّاعم، والنّاصع، والمخدّد بالذّهب النّقي
الذي ما ألقى بمثله القمر.
أكان هذا صدفة؟
أم حدسا، كما روى الأقدمون من الشّعراء؟
لكنّني، أنا الشّكّاك، أحترز،

فإنّي من أوروبّة قادمٌ
من أكثر الزّوجات غيرة، أصلحها الله، آمين!

مرتويا بأنقى الهواء
مثلما الأقداح منتفخ المعاطس
بلا غد أو ذكريات،
هكذا هنا أجلس، يا صديقاتي العذاب.
وأرى النّخلة، مثلما راقصة
تتثنّى، تتكوّر،
نطيل النّظر إليها فننتهي في التّماهي معها!..
وأرى النّخلة مثلما راقصة،
تبدّت، مطوّلا واقفة
طويلا في خطر،
تقف على ساق واحدة.
لعلّها نسيت، كما يبدو، ساقها الأخرى؟
عبثا فتّشتُ عن توأم الكنز الضّائع،
عنيت ساقها الأخرى،
في الجوار المقدّس لفساتينها الفتّانة والمُدعكة
الطّافية في هيئة المروحة.
صدّقنني، ياصديقاتي العِذاب إن قُلت إنّها قد ضيّعتها!..
أوّاه، أوّاه!
لقد رحلت الرّجل الأخرى، وإلى الأبد.
وا أسفي على الرّجل الأخرى الظّريفة جدّا!
أين تراها قد حلّت مُهمَلة في حِداد، هذه الرّجل الوحيدة؟
لعلّها مذعورة

من غول خبيث، من أسد مصفرّ، مخروم بالذّهب!
ولعلّها منخورة
واحسرتاه! ولعلّها مقضومة! يا الله!

لا تبكيا
قلباكما ليّنان فلا تبكيا.
يا قلبين من تمر، يا نهودا من حليب.
لا تبكيا
يا قلبين من سوسن.
زليخة! كوني كما الرّجال، شُجاعة، شجاعة
ويا دودو الشّاحبة كفّي البكاء،
أم أنّه لا بدّ ممّا يُصَيِّر القلب شديدا،
حكمة للاحتفاء معطّرة؟
أوّاه!
فيا أيّتها الكرامة انهضي!
أيّتها الكرامة الخيّرة! كرامة الأوروبي!
واعصفي، واعصفي،
يا مذلّة الفضيلة
أوّاه!
واصرخي، واصرخي
في هيئة أسد أخلاقيّ أمام صبايا الصّحراء
فإنّ صرخات الفضيلة، أيّتها العِذاب!
حماسةُ الأوروبيّ أكثر من غيره، وهي لهفته.
وها أنذا الأوروبيّ لا أقدر على غير هذا، أعانني اللّه!
آمين!

إنّ الصّحراء تمتدّ: ويل لمن أراد احتواء الصّحراء!

الحجارة تصطدم بالحجارة
الصّحراء تلتهم وتخنق،
الموت الرّهيب يرمي بنظرة عنيفة داكنة
ويلوك حياته، تلك علكته...

يا رجلا قد أيبسته الرّغبة:
لا تنس أنّكَ أنت الحجارة والصّحراء
لا تنس أنّك أنتَ الموت...

الإرادة الأخيرة

يَموت
كما رأيتهُ قبلاً يموت
الصّاحبُ الذي،
في شبابي المعتم
كان في إتقان ربّانيّ،
يرسل بالنّظرات وبالبروق
عميقا، متهوّرا، راقصا في المعركة.
كان بين المحاربين أكثرهمُ حبورا،
وبين المنتصرين أكثرهم وقارا،
كان فوق أقداره يرفع قدرا
رصينا، حذرا،
مستشيطا غضبا قبل انتصاره.
متحمّسا للنّصر وهو يموت
آمرا وهو يموت،
وكان يأمر بالتّدمير.

يموت
كما رأيته قبلاً يموت: منتصرا، مدمّرا. . .

بين الجوارح

من يرغب النّزول هنا
سريعا تمتصّه الأعماق،
لكنّك يا زرادشت
تحبّ الهاوية كما تحبّ الصّنوبرة.

بجذورها ترمي الصّنوبرة
حيث الصّخرة ذاتها،
في الأعماق تنظر مرتجفة
تتردّد الصّنوبرة عند حافّة الهاوية
حيث كلّ ما حولها يهمّ بالنّزول،
قرب لهفة الحصاة المتوحّشة
قرب السّيول المتهوّرة
صبورة، متسامحة، صلبة، صموتة، متوحّدة.

أيّها المتوحّد!
من يتجرّأ على النّزول ضيفا هنا؟
من يتجرّأ على أن يكون ضيفك؟

طير جارح ربّما،
تعلّق في فرح

بجمّة شهيد رصين
في ضحكة تائهة
ضحكة الطّير الجارح.

لمَ كلّ هذي الرّصانة؟
في بشاعة يسخر: لا بدّ من أجنحة إذ نعشق الهوّة
لا نفع من البقاء معلّقا كما تفعل.

يا زرادشت!
يا أقبح مِن نَمرود!
يا من تظلّ صيّاد آلهة!
يا شراك الفضائل كلّها، يا سهم الشّرّ!
والآن
مطارَدا من ذاتك،
ها أنت فريسة ذاتك، مبرَّحا بسهامك...

والآن
متوحّدا مع ذاتك،
ها أنتَ
نافرا من حلمك وسط المرايا المئة.
مُخطّئا ذاتك
حائرا وسط الذّكريات المئة
بكلّ الجراحات متعبا،
بكلّ المتجمّدات مُخمدا،
بحبالك مختنقا،

يا عارفا ذاتك!.. يا معذّبا ذاتك!

لمَ ارتبطتَ بحبل حكمتك؟
لمَ انجذبتَ إلى فراديس الثّعبان العجوز؟
لمَ انسحبتَ داخل ذاتك؟
ها أنّك الآن عليل،
سمُّ الثّعبان عليلا صيّرك.
ها أنّك الآن سجين
أتعس الأقدار حظّك
محنيّا تشقى
في قاع منجمكَ المحفور في ذاتك، ها أنّك
بالفأس تُغير على ذاتك،
أيّها المتصلِّب، أيّها الأخرق!
جثّة صرتَ مثقلة بمائة حمل جمّعتها،
أنتَ العارف ذاتَكَ
أنت الحكيم زرادشت!
فتّشتَ عن الحمل الأثقل،
غير ذاتك ما وجدتَ
فما عدتَ تعرف منك خلاصك..

مترصّدا في مكمنك
بتّ لا تعرف الوقوف منتصبا،
مغشّى تنتهي في قبرك، يا فكرا تشوّه.

إلى زمن قريب

كنتَ مزهوّا بذاتك
على سواري عزّتك
كنتَ منتصبا.
إلى زمن قريب
كنتَ وحيدا بلا آلهة
متوحّدا مع الشّيطان كنتَ
مع الأمير القرمزيّ، أمير كلّ المغالات.

والآن
مقهورا
بين عدمين
أمسيتَ سؤالا،
لغزا متعبا أمسيتَ، لغزا للجوارح
ستنجح الجوارح في تقطيعك، فهي إلى ذلك ظامئه.
لقد بدأتْ حواليك ترفرف
حواليك، أيّها المشنوق! تنثر ألغازها.
يا زرادشت!
يا عارفا ذاتك!... يا معذّبا ذاتك!...

علامة النّار

هُنا، حيث الجزيرة وسط البحار انبجست
حجارة أضحية وقفت مائلة،
هُنا، تحت السّماء السّوداء زرادشتُ
يشعل ناره في الأعالي.
علامة من نار للنّوتيّين في خطر،
علامة استفهام للذين عندهم الإجابة.

هذه الشّعلة
ذات التّجاويف البيضاء - الرّمادية
إلى أبعد ما يكون البرد
ترفع ألسنة رغبتها،
كثعبان تروّض
من عدم الصّبر وقف منتصبا،
تُحوّل عنقها
إلى المرتفعات الأنقى،
هذه العلامة نَصْبَ عيني وضعتها.

هذه الشّعلة
هي روحي ذاتها: شرهة

إلى أقاصٍ جديدة يعلو اضطرامها الهادئ
لمَ هجر رزرادشتُ الحيوانات والنّاس؟
لمَ فجأة فرّ من كلّ برّية؟
لقد عرف من صنوف العُزلة ستّة،
لكنّ البحر ذاته
ما كان على الكثير من العزلة التي يأملها،
فصعد الجزيرة،
وعلى الجبل أصبح شعلة،
وها هو الآن
يرمي بصنّارته المنقّبة من فوق رأسه
إلى عزلة سابعة.

أيّها النّوتيّون!
أيّها الذين هم في خطر!
يا أطلال النّجوم القديمة،
وأنتِ يا بحار المستقبل،
يا سماوات بعدُ أغوارها لم تُسبر
نحو كلّ ما بات وحيدا، أرمي الآن بصنّارتي، فأجيبي
عن لهفة الشّعلة واصطادي لأجلي،
للصيّاد على الجبال العالية عزلتي السّابعة- الأخيرة.

الشّمس تغرب

١

سوف يزول عنك الظّمأ،
أيّها القلب الذي من عطش يضطرم،
في الأفق الهواءُ مفعم بالوعود،
ونسائم الشّفاه المجهولة من فوقي تمرّ،
هي ذي النّضارة الكبرى تجئ. . .

فوق رأسي
كان اضطرام الشّمس عند الظّهيرة يمثل.
أيّتها العائدات، أهلا،
يا رياحا تقبل فجأة،
يا أفكارَ ما بعد الظّهيرة النّضِرة!

نقيّة وخفيّة،
تمرّ النّسائم في نظرة مائلة
بالإغراءات ممتلئة
إشارة من الليل إلَي؟
قويّا فلتبق،
أيّها القلب الشّجاع، ولا تسأل: لِمَ؟

٢

يا يوم مولدي!
إنّ الشّمس تغرب، والمياه
تمدّدت على طبقات من الذّهب،
والصّخرة تتنفّس الدّفء.
أليس عند الظّهيرة
تقضّي السّعادة قيلولتها؟
بارقاتُ الزمرّد
وانعكاسات السّعادة،
ما زالت تتلاعب فوق الهوّة الدّاكنه.

يا يومَ مولدي!
الليل يقترب!
عينك التي استعدّت بعدُ للانطفاء
تلقي بومضتها الأخيرة.
دموعك الطلّ
قطرة، قطرة تترصّع،
وعلى بياض البحار
صامتا، أرجوان حبّك ينتشر:
وداعك الأخير،
لسعادتك التي تبطئ في المجيء.

٣

أيّها الصّحو المذهّب!
تعال

أيّها الذي من أعمق الموت
تهب الشّعور المسبق بالأكثر لذّة ونفاذا
هل تراني
تسرّعتُ في قطع الطّريق؟
الآن
وقد أضحت القدمان مرهقتين،
الآن
نظراتك تلحق بي.

حواليّ لم يبق إلاّ الموج يلعب،
وما بدا لي في الماضي ثقيلا،
في هوّة النّسيان اللازوردية قد غرق.
الآن
متراخيا، توقّف مركبي.
أيّتها العاصفات!
أيّتها العاديات!
كيف أمكنه النّسيان!
رغبات وآمال،
كلّ شيء قد غرق.
هادئة روحِيَ، والبحر ساكن.

أبدًا
أيّتها العزلة السّابعة!
أبدًا
ما شعرتُ، كما الآن، باليقين العذب منّي أقرب،

أيّتها العُزلةُ السّابعة!
أمازال جليد قمّتي محمرّا. . هناك على قمَمي العالية؟
أمازال بالفضّة مغشّى، خفيفا، كما سمَكة؟
أيّتها العُزلة السّابعة!. . بعيدا يجذّف مركبي الآن.

شكوى أريان

من يدفّئني؟ من يزيدني حبّا؟
أعطوني أياد دافئة
أعطوني قلوبا - مواقدَ.
ممدّة، مرتعدة
كمحتضر يدفّئون له القدمين، مرتجّة
وا أسفي، من الحمّى المجهولة،
أمام الجليد الحادّ مرتعشة
مطرودة منك أيّتها الفكرة
أيّتها التي لا اسم لها،
أيّتها المحبوبة، أيّتها الفزعة!
أيّتها القنّاصة من خلف السّحب!
مصعوقة بك
أيّتها العين السّاخرة!
النّاظرة إليّ في العتمة
ها أنّني قابعة
أتكوّر، أتمدّد، معذّبة بكلّ الآلام الأبدية
أتلقّى ضرباتك،
يا أعنف القنّاصين!
يا إلهًا - مجهولا . . .

اضرب أقوى،
اضرب مرّة أخرى،
اخترق هذا القلب، مزّقه
لمَ بالسّهام المثلومة تعذّبني؟
ما الذي تطيل إليه النّظر،
بهذا البريق الإلهيّ
الماثل في عينيك السّاخرتين؟
يا من لا تملّ العذاب الإنساني!
يا من لا رغبة لك في القتل ولكن،
لهفة التّعذيب تسكنك، لمَ تعذّبني؟
أيّها الإله السّاخر المجهول! ولمَ؟
وسْط هذا الليل، زاحفا تقترب؟
ما الذي ترغبه؟
تكلّم! إنّك تدفعني، وتشدّني،
آه! قد صرتَ قريبا!
تسمع أنفاسي، تراقب قلبي... فيا لك من غيور!
فممّ تغار؟
ابتعد! ابتعد!
لمَ هذه السلّم؟
أترغب في الدّخول؟
في التسرّب إلى قلبي وأفكاريَ الأكثر سرّا؟
أيّها المتجرّئ! أيّها المجهول! أيّها السّارق!
ما الذي تريد سرقته؟
ما الذي تريد سماعه؟

ما الذي تريد ابتزازه؟
أيّها المعذِّب!... أيّها الجلاّد!
أم هل عليّ الارتماء، كالكلب، على قدميك،
مستسلمة، سكرانة، غاضبة،
أن أهديك حبّي - غاضبة؟

عبثا تحاول؟
اضرب أيضا،
يا أكثر المتحفّزين للعنف اضرب!
لستُ كلبا،
ما أنا إلاّ طريدتك،
إلاّ سجينتك الأكثر كبرياء،
يا أعنف القنّاصين!
يا قاطع الطّرقات من خلف السّحب...
تكلّم!
يا من تتخفّى وراء البروق!
أيّها المجهول تكلّم!
قل ما تريده؟
أيّها المتربّص على الطّرقات، قل ما تريده منّي!
أفدية تريد؟
أطلب أكثر
كبريائي ينصحك،
وبإيجاز تكلّم
ذي نصيحةُ كبريائي الآخر!
آه وآه!

أأنا التي ترغبها،
فيا لك من مجنون إذ تعذّبني!
أتعذّب كبريائي؟

ماذا لو أُعطِيتُ حبّا!
من يدفّئني أكثر؟
من يزيدني حبّا؟
إليّ بالأيادي الدّافئة،
إليّ بالقلوب المواقد،
إليّ أنا الأكثر عزلة
أنا التي
وا أسفي!
جعلَتها الثلوج تذوي
سبع مرّات خلف الأعداء،
وسلّمني نفسك
يا أعنف الأعداء!..

رحل!
فرّ من ذاته
رفيقي الوحيد
عدوّي الكبير، مجهولي، إلهي وجلاّدي!..

لا!
عُد!
بكلّ عذاباتك عُد!

دموعي كلّها، إليك تتجّه،
وآخر شعلة في قلبي، لأجلك تستفيق.
أوّاه عُد!
إلهي المجهول!
يا ألمي! يا سعادتي الأخيرة!..
(برق: ديونيزوس يطلع في بهاء الزمرّدة.)

ديونيزوس

يا أريان كوني يقظة!
لك أذنان صغيرتان،
ضعي فيهما كلمة متبصّرة:
أليس علينا أن نتباغض أوّلا
إن نحن رغبنا محبّة بعضنا؟..
يا أريان! إنّي متاهتكِ...
يا أريان! كوني يقظة.

مجد وخلود

١

منذ متى
جالس أنتَ على حظّك النّحس؟
حاذر!
عظّاءةً تفقس من طول قنوطك!

لِمَ يتسلّل زرادشت حذو الجبل؟

محترزا
مقروحا وغامضا،
من زمن
بدقّة يترصّد،
فجأة
بريق، مضيء، رائع،
من الهوّة يطلع نحو السّماء:
الجبل ذاته، يحرّك أحشاءه. . .

حيثُ الحقدُ
وضربةُ الصّاعقة
في لعنة قد اتّحدا،

غضبُ زرادشت
الآن فوق الجبل يمثلُ.
محاذيا طريقه
شبيها برعد منذر يتسلّل.

ليختبئ تحت الأغطية
من بقي له غطاء أخير!
وإلى النّوم أيّتها الكائنات الواهنة!
الآن فوق القباب، تمرّ الصّاعقة.
الآن
ترتعد الجسور والحيطان
الآن
كبريتا أصفر تنبجس البروق،
وتنبجس الحقائق
إنّها لعنة زرداشت. . .

٢

من لمسها أحترزُ
هذه العملة المعتَمَدة
من الجميع لاقتناء المجد
أدوسها بازدراء.

مَن راغبُ في أجره؟
أيّها النّسل المرتشي. . .

ومن للبيع تأهّل؟
بيد مُتشحِّمة
أمسكُ بريق المجد الفظّ والخدّاع.

أتريد ابتياعهم؟
كلّهم للابتياع تأهّلوا،
فاقترح ثمنًا جيّدا، واصدح به على الملأ
وإلاّ فأنت تؤكّدهم... تؤكّد فضيلتهم.

جميعهم أفاضلُ.
/المجد والفضيلة! هذان يتطابقان/
ما دام العالَمُ يحيا
فسيدفع ثمن الفضيلة
بطنطنات المجد.
إنّ هذا اللغط يُحيي العالمَ...
مَدينا أرغب أن أكون
أمام أصحاب الفضيلة، مَدينا بأكبر الدّيون.
أمام الصّادحين بالمجد
دودةَ أرض يصير طموحي.
أمام هؤلاء
أرغب أن أكون أكثرَ النّاس وضاعة...

هذه العملة المعتمدة
من الجميع لاقتناء المجد،
من لمسها أحترزُ، أدوسها بازدراء.

٣

سكوتا!
أمام الجِسام،
علينا بالصّمت أو بالكلام الصّارخ.
تكلّمي عاليا... يا حكمتي المفتتنة!

أرنو إلى أعلى،
سيول من الضّوء تنهمر.
يا ليلُ! يا صمتُ! يا غمغمة الموت!...
علامةٌ بانت من الأقاصي الأبعد،
رويدا رويدا
كوكبةٌ من النّور وضّاءةً تنزل نحوي.

٤

يا كوكبة الوجود الوضّاءة العالية!
يا مذبح الرؤى الخالدة!
أأنتِ القادمة إلَيّ؟
كيف لم يهرب جمالك الأبكم،
جمالك الذي لا أحد رآه... من صوبِ أنظاري؟

يا رمز الضّرورة!
يا مذبح الرّؤى الخالدة!
لكنّكِ تعلمين جيّدا ما يكرهه الجميع،
ما أنا وحدي أحبّه،

أنّكِ خالدة، وأنّك الضّرورة
وأنّ حبّيَ لا يشتعل أبديّا. . . إلاّ للضرورة.
فيا رمز الضّرورة، يا كوكبة الوجود الوضّاءة العالية!
يا من لا أمنية تدركها، ولا نفيٌ يلطّخها!
أيّها الجَزم الأبديّ بالكائن!
أبديّا، أنا ما يؤكّدكِ. . . لأنّني أحبّكِ، أيّتها الأبديّة.

في فقر أكثر النّاس غنًى

عشرة أعوام مرّت
ولا قطرة واحدة قد وصلتني،
لا ندى حبّ، لا ريح رطبة
موطن قاحل. .
أتوسّل الآن حكمتي
ألاّ تكون ضنينة بهذا القحط.
تجاوزي ذاتك، انتشري ندًى
وكوني مطرا على الصّحاري الذّابلة. . .

قديما كنتُ آمرُ السّحبَ
أن ترحل عن جبالي،
قديما قلتُ لها
زيديني نورا أيّتها الكالحات
واليوم أغريها،
إليّ فلتقبلي
اسدلي من أثدائك حوليَ العتمة
أريد أن أحلبك،
يا بقرات المرتفعات! يا حكمة كما الحليب دافئة!
يا ندى الحبّ اللذيذ!

بحرا على الأرض أنشركِ.

أيّتها الحقائق ابتعدي! وابعدي
عنّي نظراتِك المُظلمة
لا أرغب أن أرى فوق جبالي، حقائق خشنة برِمة.
لتقترب الحقيقة اليوم منّي،
محلاّة بالشّمس، مصقولة بالحبّ، ذهبيّة البسمة.
الحقيقةُ النّاضجة!.. أجنيها وحدي من الشّجرة.

واليوم
إلى منعطفات الصّدفة، أمدّ يدي
فطِنا بما يكفي لأخدعها
/كطفل كنّا للتوّ نخدعه/
اليوم
أريد أن أكون مضيافا
حتّى تجاه من يزعجني،
لا أريد مواجهة أقداري كما القنفذ... فما زرادشتُ بالقنفذ.

بلسانها الشّرهِ
لعقت روحي الأشياء كلّها
جيّدها ورديئها،
وفي كلّ عمق غاصت.
لكنّها شبيهة الفلّين دوما
فوق سطح الماء تطفح،
مثلما الزّيت على البحار الدّاكنة.

بسبب هذه الرّوح... ينعتونني بالسّعيد.

من أبي؟ ومن أمّي؟
أليس الرّخاء أبي؟ وأمّي، أليست البسمة الهادئة؟
ألستُ نتاج التقائهما... أنا الحيوان المعمّى،
شيطان النّور، مبذّر كلّ الحِكم، زرادشت؟

واليوم
معتلاّ من حنانه،
كريح تُذَوِّبُ الثّلج
زرادشت يلين،
ويهيج في نسغه
يجلس منتظرا،
على جباله منتظرا،
تحت قمّته، تحت جليده
متعبا وسعيدا
كمبدع في يومه السّابع.

سكوتا!
شبيهة بسحابة،
حقيقةٌ فوقي تحلّق
بصواعق لامرئيّة تضربني،
بخطوات عريضة وبطيئة
نحوي ترفع غبطتها
إليّ أيّتها الحقيقة... إليّ أيّتها الحبيبة.

سكوتا!
إنّها حقيقتي
نظرتها تعترضني،
نظرة عينين مرتبكتين،
مخمليّة، عذبة، ماكرة
كما نظرة كاعب...
تسبر عمق حبوري، تتنبّؤني.
أوّاه! ما الذي تبتدعه؟
تتّينا أرجوانيّا
في عمق نظرة كاعب يترصّد!
سكوتا!.. حقيقتي تتكلّم.

يا زرادشت انتبه
إنّك تشبه مبتلع الذّهب:
سينتهون إلى بقر بطنك!
أنتَ جدّ غني! أنتَ يا متلف العالم!
ما أكثر الذين حسّادا تركتهم!
ما أكثر الذين جعلتهم فقراء!
إنّ نورك
يرمي بالظّلّ عليّ، أنا أيضا، وإنّني أرتعش.
فيا أيّها الغني ارحل!
يا زرادشت! ابتعد عن شمسك وارحل.

أردتَ العطاء
أردتَ التخلّص ممّا عنك قد فاض،

لكنّ ذاتك أكثر فيضا! فيا أيّها الغنّي
تنبّه لذاتك
يا زرادشت! هب ذاتك لذاتك أوّلا.

عشرة أعوام مرّت
ولا قطرة واحدة قد وصلتك؟
لا ريح رطبة، لا ندى حبّ... فمن إذن سيحبّك؟
أنت الغنيّ جدّا!
سعادتك من حواليك تجفّ،
إلى الحبّ تفتقر... موطن قاحل.

لم يَعد أحدٌ يُثني عليك
وتثني على الذين عليك قد حملوا
بهذا تعرّفتُ عليك.
أنت الغنيّ جدّا...
أنت أفقر الأغنياء.

تضحّي بذاتك،
يعذّبك ثراؤك،
بذاتك تهب ذاتك
بلا ترفّق بلا حبّ،
يجبرك العذاب الكبير على ذلك،
عذاب القنوات الممتلئة
عذاب القلب الطّافح.
لكنّ أحدا ما عاد يُثني عليك...

أفقر ذاتك
إذا أردت أن تكون محبوبا.
أفقر ذاتك... أيّها الحكيم بلا حكمة
فإنّنا لا نحبّ إلاّ المتألّمين،
ولا نعطي الحبّ إلاّ للجياع.
فيا زرادشت!.. هب ذاتك لذاتك أوّلا.

ويا زرادشت!.. إنّني حقيقتك...

آخر الأشعار

خريف ١٨٨٨

صمت البرونز

خمسُ آذان ـ ولا صوتَ فيها يرنّ!
لقد صارَ العالَم أخرس. . .
بأُذن فضولي استمعتُ:
خمسُ مرّات، بعيدا بصنّارتي رميتُ
خمسُ مرّات، وما عُدتُ بسمكة ـ
سألتُ ـ ولا إجابة رمت بنفسها في شباكي.
بأُذن حبّي استمعت.

*

أنت تعدو بأسرع ممّا وجب:
الآنَ وقد بتّ متعبا،
سعادتك تلحقُ بك.

*

روح مثلّجة
ونسيم يحاول أن يلاطفها
سَيلٌ لألاء يتراقص
وطبقة صخريّة عوجاء تسجُنه:
بين أحجار سوداء،
تَأتلق لهفتُهُ، وترتعدُ.

*

الجَسورُ
حذار أن تُوبّخهُ،
مواعظك تجعلهُ
يرمي بذاته في كلّ اللُّجج!

*

بإتقانٍ مُطارَد
ببَشاعة يُلقى عليه القبض.

*

يتّبع العُظماءُ والأنهُرُ المنعطفاتِ المعوجّة
لكنّها إلى غاياتهم توصلهم:
تلك هي شجاعتهم الأكبَر،
إنّهم لا يهابون الطُّرقات المتعرِّجة.

*

ماعزٌ وإوزٌّ ودوابّ أُخرى مختلفة
تطوفُ بالبحر مع الذين أبدا
ما استطاع الرُّوح القدسُ قيادتها.

*

أهُو عُكّازُ البهلوان؟
أمْ أنّها سيقانُ العزّة الصَّلبة؟

*

مُحطّمٌ، زاحفٌ، عفنٌ، ضنينٌ.

*

في عِدادكمْ، أنا زيتٌ على الماء:
دوما أنا المنتصرُ.

*

بالقُرب من كلّ مَتجر خمّارة.

*

واثقون نحنُ من موتنا:
لمَ لا نكون أصفياء؟

*

غيرُ مُؤتلف مع ذاته
غيرُ راض، خصيمُ امرأته الفظّة.

*

السّماءُ تشتعلُ، والبحرُ
علينا يتفلُ.

*

قدّامك أنتَ، كان البحر يَصُرُّ على أسنانه.

*

إلهكُم، قُلتم لي إله محبّة؟
عضّة الضّمير إذن عضّة إله هي:
فهل تعضّكم عن محبّة؟

*

تحت قمّتي وتحت جليدي
ما زال بأحزمة المحبّة يحزمكم.

*

إلى جانب من يقف الجمال؟
أبدا ليس إلى جانب الرّجُل:
الجمال يُخفي الرّجل،

لكنّ رجُلاً مَخفيّا لا شيء يساوى.
حُرّا تقدِّم...

❋

عليك بالرُّجوع إلى الزّحمه:
في الزّحمة يصبح المرء صلبا وأملس
الوحدةُ تُلدّن...الوحدة تتلف...

❋

لا تنخدع!
يقينا هو يضحك مثلما برقٌ:
ولكن، بعد ذلك، رعدُهُ
غُضوبا، طويلا يُزمجر.

❋

قد صار بعدُ مُحاكيا ذاته،
سئما قد صار بعدُ،
باحثا عن الطّرقات التي جابها،
لزمن قريب، كان يحبّ الفضاءات غير المنتهكة!

❋

مُحاكاةَ الشّمس أرادت حكمتي:
أردتُ إنارتهم
لكنّني أبهرتهم:
هؤلاء الخفافيش
شمس حكمتي أحرقت أعيُنَهم...

❋

قاسية رحمتهُ

ثِقلُ حُبّه يطحنُ
لجبّار، أبدا لا تبسُطوا الأيدي!

❋

كذا هي الآن إرادتي،
ومنذ أن صارت كذلك،
كلّ شيء يسيرُ كما رغبتُه
لأنّ حكمتي الكُبرى:
ما عليّ عدا ما أردتهُ.
كذا هزمتُ كلّ «واجب»
من ذلك الحين، صرتُ أجهل كلّ «واجب»...

❋

مُتعاليا، للرّديئين محتقرا
مكاسبي: حيث أشعر
بالأصابع جشعةً إلى الخضري،
لا رغبة عنديَ تبقى عدا: هجرةُ الموطن،
ميلي الرّفيع أوجبهُ علَي.

❋

مُتواضعون
ثقاة ومنفتحون
لكنّ الأبواب خفيضة جدّا،
وجب أن تكون وضيعا كي تُجاوزها.

❋

هل تقلّصت إرادتكَ في أن تكون مجرّد العلامة عن إلهك؟
أفكارُكَ الكبرى

التي من القلب تُقبل
وكلّ أفكارك الصّغرى التي
من الرّأس تأتي
أليستْ كلّها ـ إلى الظنّ مسيئة؟

*

حذارِ
أن توزّع بسخاء قدرَك
عن بهارج المجد ابتعد!

*

أترغب في تملّكهم؟
كلّمهُمُ
كما تُكلّم أطفالا ضلّوا.
«طريقكم، آه طريقكم، لقد ضيّعتموها»
فإنّهم يتّبعون من هكذا يُثني عليهم.
«وهل كانت لنا طريق؟» يقولون في سرّهمُ:
«كأنّنا بالفعل نمتلك طريقا!»

*

لا تعتبوا لأنّني نمتُ:
ما كنتُ إلاّ مُتعبا، ميّتا ما كنتُ.
في نفورِ صوتيَ كان يرنّ؛
وما كان ذلك إلاّ شخيرا ولهاثا
ونشيد امرئ تعِبٍ:
لا من نداء الموت ولا، من فتنة القبر.

*

ساكنا، كما جُثّة،
ميّتا كان في حياته، مكفّنا.

إلى الصّدف الأكثر رقّة مُدَّ اليد،
وتلطّفْ مع كلّ ما هو مُزعجٌ:
تجاه أقدارنا
وجب كبت لواذعنا،
إلاّ إذا كنّا من طبع القنافذ.

*

أيّها الرّاقون!
ألا تُبينوا عن ذواتكمُ،
أصحيح أنّكم تعلُون؟
ألستمُ ـ معذرة ـ كما الكرةُ،
بكمُ يُرمى إلى الأعلى بعنفٍ،
لِما لكُم من خسّة.
أليس هروبا عُلوُّكم، أيّها الصّاعدون؟. . .

*

لقاتل اللّه
لمضلّل الأصفياء
لصديق الشرّ. . .

*

هو ذا، أمين وعادل،
بأكثرِ ما للعدل من معنى.
في أُذنه الصّغيرة،
وبأكثر ممّا يمثل في رأسي:

مسخ من الفضيلة التفّ بالأبيض.

*

ما الجدوى؟ قلبهُ
قاس: كلّ فكره
في هذا القفص الضيّق
أسيرٌ ومحطّمُ.

*

أيّها الحكماء، أيّها المتصلّبُون،
كلّ شيء بات عندي لعبة.

*

نفوسٌ محدودة،
نفوس حانوتيّين!
حينما المال في الدّرج يسقط،
روحكُم للتّوِ تتبعهُ!

*

ما عُدتَ
لأقدارك القاهرة محتملا؟
أحِبها، فما عاد لك الخيار!

*

إرادة مخلِّصة!
ليس لها ما تفعله،
أيّة ترّهة تكفي لإشعاله.

*

الوحدة

لا تزرع شيئا: إنّها تجعل الأشياء ناضجة...
ما زال عليك أيضا مُصادقة الشّمس.

*

ارمِ إلى الهاوية ما أثقلَ عليك!
وانَس أيّها الإنسان، انس أيّها الإنسان!
ربّانيٌّ فنُّ النّسيان!
إذا أردتَ أن تحلّق،
إذا أردتَ أن تكون على المرتفعات في بيتك:
ارم في البحر حملك الأثقل!
هو ذا البحر ـ في البحر فلترم بنفسك،
ربّانيّ فنّ النّسيان.

السّاحرة

هل أسأنا الظنّ ببعضنا؟...
كنّا بعيدين عن بعضنا
لكنّنا الآن، في هذا السّجن الضيّق،
مكبّلين بنفس القدر،
كيف نقدر على البقاء أعداء؟
أليس علينا أن نحبّ بعضنا،
حين لا نستطيع الهروب؟

*

الحقيقة
إنّها امرأة، ولا شيء أفضل،
في حياتها ماكرة
ما تحبّه أفضل،
لا تريد معرفته،
بأصابعها تُخفيه...
إلى ماذا تخضع؟ فقط للقوّة!
اعتمدوا القوّة، كونوا أشدّاء، أنتم، يا أكثر النّاس حكمة!
وجب عليكم إرغامها،
الحقيقةُ المحتشمة!...
لسعادتها، لا بدّ من إرغامها،

إنّها امرأة، ولا شيء أفضل...

*

واحسرتاه، تظنّ نفسك مُلْزَمًا بالاحتقار
هناك حيث لا شيء تفعل، سوى أنّك تتخلّى!...

*

ساعة الغُروب
حيثُ جليدُ قِمّتي
يواصل احمراره!

عن المـاء
مديح

أيّتها الأمواج
أيّتها النّساء الصّغيرات
أيّتها المتقلّبات
أوَ تثرن عليّ؟
أوَ تنتصبن مزمجرات في ضراوة؟
إنّني بضربة مجذاف واحدة
جنونكنّ أصرعه.
وهذا الزّورق،
أنتنّ بالذّات اللواتي إلى الخلود تحملنهُ.

*

هذا ما لا يمكن دحضه ربّما:
هل أنّ مالا يُدحض حقّ؟
أوّاه!... مساكين أنتم أيّها الأبرياء!

*

حنين الأعاليَ أجهلهُ
فأنا، على القمم
أكون في بيتي،
منه لا أرفع طرفي،

أنا الكائن إلى الأسفل ينظر،
كائن وعليه أن يبارِك: كلّ المعمِّدين إلى الأسفل ينظرون.

*

بغيضا
بعدُ قد أصبح
بلا مودّه
يبسط منكبيه المقرّنين،
وصوته يُغيض... ونظرته زنجار.

*

عينٌ نبيلة
ستائرها من مخمل
نَادرًا ما تضئ،
مَن وجد فيه ذاتَه كرّمهُ.

*

حليبا تنبع روحهُم
لكنّهم، وآسفاه!
فكرهُم: ليس أكثر من مَصل اللبن!

*

نسمة محمولة تلفح وجهيَ وهي تتفل: أمرأةٌ أنا، فأرتبكُ!

*

في رقّة كهذه
يستثني من يهابُهُ،
ما نفعُ كشط الزّغب، لمثل هذه الأشياء؟

*

حقائق

ما وشّتها بالذّهب بعدُ ابتسامة واحدة.

شراسة وتوبيخ

وكم حقيقة برِمَة تقيم حصارها حولي.

❋

أوّاه يا أنتنّ

يا أيّتها الثّلوج المحمرّة!

يا شموسا

على قمّة سعادتي الوحيدة واقفة؟

❋

عيون بطيئة

نادرا ما تعشق

لكنّها إذ تعشق، ترسل بالوميض

كأنّه منجم الذّهب،

حيث التنّين: كنزا من المحبّة يحرس..

❋

أينتهي في الجحيم من سار خلفك؟

❋

وارد جدّا،

ولكنّ الطّريق إلى جحيمي

من جيّدات الحكمة، تترصّف.

❋

على الشّوك

تريد وضع اليد؟

أصابعك

باهضا تدفع الثّمن،

ضعها على الخنجر.

❋

إن كنتَ سريع العطب

فاحذر أيادي الأطفال،

لا يقدر الطّفل أن يحيا، دون أن يكسر شيئا.

❋

للدّخان أيضا نفعه

يقول البدويّ

/ وإنّي متّفق معه/

أيّها الدّخان!

ألستَ أنت المبلغ

عن موقدٍ مضيافٍ لعابر الطّريق؟

❋

من يضحك اليوم أفضل، آخر القوم يضحك.

❋

مُسافر مُتعب،

حتّى أنّ كلبا

في قسوة به رحّب... كان ينبح.

❋

سرطانات

لا أحمل الودّ لها:

إن مُسكت قَرصت

وإن تُركت، مشت متقهقره.

❋

طويلا
كان في الزّنزانة
هذا الهارب!
كان يخشى عصا السّجّان:
مفزوعا يأخذ الآن طريقه
بكلّ شيء يتعثّر... بظلّ العصَا يتعثّر.

❋

من هنا الشّمال
والثّلج، والآن،
من هنا الموت،
وعلى الحياد
حياتنا وسعادتنا!
وسواء أخذت طريق البرّ
أو طريق البحر، فلن تقدر
أن تجد الطّريق إلينا، نحن الهيبربوريّون(١٥)
هكذا من بيننا، فَمُ الحَكيم تنبّأ.

❋

هؤلاء الشّعراء!!!
عندهم خيول في عفّة تصهل.

❋

انظر أمامك!
إلى الخلف لا تنظر!

من شدّة التّوق إلى العميق،
تهوي الأشياء إلى الأعمق.

❋

على المنحدرات الشّتويّة
لطخة شمس تقف
مرحّبة بالنّاس والصُّدف.
برقًا حكمتي
بحسامها الذّهبيّ صارت تبدّد ظلماتي كلّها.

❋

يا هاويَ الألغاز خمّن
فضيلتي، أين تقيم الآن؟
لقد أفلتت منّي... خشية غدر صنّارتي وشباكي.

❋

سعادتي تُؤلمهُم
إنّها تُوحي إليهمُ بالقلق.
هؤلاء الحسّاد
إذ يرمون بالنّظرات الفجّة... يتجمّدون في إقاماتهمُ.

❋

أيّتها الأيّام الوحيدة،
عليكِ أن تتقدّمي خطوة أكثر جرأة.

❋

ويا أيّتها الأخرى
لا أراك ثقيلة إلاّ... حين أراني على ذاتي أثقل!

❋

أين يرحل؟
ومن ذا الذي يعلم؟
غير أنّ اليقين: أنّه يسقط.

*

في الفضاء المتصحّر،
نجم قد انطفأ... صحراء حقيقيّة صار الفضاء.

*

سحابة الاعصار مازالت تزمجر
لكنّها بعدُ مُعلّقة
وضّاءة، مثقلة، هادئة،
ثراء زرادشت على الحقول ينتشر.

*

هذا ما يُخلّص من كلّ الألم
ولك الاختيار: الموت العاجل، أو الحبّ البطيء.

*

باحثين عن كنوز جديدة
عن كائنات جديدة، سفليّة، نحفر الأرض.
فيما مضى
كان الأقدمون يرونه دنسًا،
أن تُقلّب أحشاء الأرض من أجل الكنوز،
وفي أيّامنا! يُولد التّجديف ثانيّة...
فهل تسمعون؟
أيّها الطّالعون من الأعماق، زفرة هذي القرقرات؟

*

أقويّ أنت؟
كمثل حمار، أم كمثل آلهَة؟
أفخور أنت؟
بما يكفي لكي لا تخجل من غرورك؟

*

من العدم سحبوا الآلهة:
ما العجبُ، إذا اختُزِلت، عندهُم، في العدمِ؟

*

بحّاثة كَلفٌ بغابر الأزمنة،
مهنةٌ لحّادٍ
عُمرٌ يُقضّى... بين النّشارة والتّوابيت.

*

ها هي الآن هنا منتصبه
قطط في كثافة الصّوّان،
قيمُ غابر الأزمنة: أوّاه! كيف يمكن قلبها؟

*

فهمهم لغوٌ
وحكمتهم: هوسٌ «بلكن» و«بلو».

*

مُتعجّلا
متودّدا
يطالعني النّهار،
وضّاء كما الذّهب... مماثلا لذاته، يطالعني.

*

بعميق الحذر ممتلئ

مغطّى بالزّبد، وحيد

صبورٌ في إرادته

جاهلٌ للشّبق، صَمُوت.

*

هل أنت بالفضولي؟

هل تعرف الرّؤية أبعد من حدود الأضلع؟

وجب: لكي ترى هذا، أن يكون لظهرك أَعيُنُ.

*

إلى هذا الحدّ يهدأ العلماء!

لتسقط الصّاعقة في أطباقهم!

عساهُمُ... أن يتعلّموا التّغذّي من الرّمضاء.!

*

كما قططٌ

مخدوشة قوائمها مقيّدةٌ،

مسمومِي النّظرات، يجلسون هنا.

*

لماذا

وما الذي أغراه؟

حين، من الأعلى إلى الهاوية ارتمى

عطفه على كلّ دنئ، ذاك ما أغراه.

والآن يقيم هنا: باردا، بلا جدوى، محطّما.

*

إنّه الذّئب الذي اعترف:

أنت تصرخ، قال لي، أفضل منّا جميعا، نحن الذّئاب.

*

رأيتَ

أكثر الأشياء رعبا وعتمه

رأيتَ ما لم يره الرّائي،

لذّةَ جهنّم التي، لا حكيم إليها بعدُ قد عبرَ.

*

صحارٍ جديدةً

قدمُكَ الأسديّةُ ابتدعت

عندما، بليال جديدة أنتَ تزنّرت.

*

لهذا الجمال مِن حجرٍ

ينتعش قلبي المحترق.

*

بسَعَادة جديدة يتعذّب.

*

بعيدًا وقدّامي،

إلى محيط القادم

أرمي بخيط الصّيد من فوق رأسي.

*

أنا من يُجدَّف بالوعد إليه: جدّفوا إليّ به!

*

لا لأنّك حطّمت الصّنم،
بل لأنّك حطّمت في ذاتكَ المُولع بالصّنم:
تلك كانت شجاعتُك...

*

سعادتي القُصوى!
أنّها من نورها تخلق الظلّ.

*

محمّلا بالخطأ الأثقل
وعلى كلّ الفضائل أن تركع لأخطائي.

*

أن تخون
في الحرب هذا كلّ شيء،
جلد الثّعلب: إنّه زرديَ المخفيّ جدّا.

*

الذي حفظ سُمعتَه مُهابٌ ولكن، بعد وقت ليس بالهيّن.

*

للطّموح الكبير
الأرض أضيق ما تكون.

*

هل الحيلة أفضل من القوّة؟
أَعطيتُ كلّ شيء،
كلّ ما أملك من خيرات
أيّها الأمل الهائل! عداك، لم يبق لي شيء.

*

أبدا بلا غضب لن يكون انتصارك على أيّ شيء.

*

حيث كان الخطر
أشعر أنّني في مائي،
هناك أكبُرُ، هناك خارج الأرض أنمو.

*

هكذا يتكلّم كلّ لواء:
لا *تتركهما في* سلام، لا *المهزوم* ولا *المنتصر!*

*

ساعة الموت حانت
خطر المخاطر... روحيَ باتت صامتة.

*

من يقدر
على إعطائك قدر حقّك؟
إذن خذ حقّك بيديك!

*

لا من أخطائه
لا من لحظات جنونه الكبرى،
بل من كماله أَتألّمُ... ذاك ما يعذّبني من الإنسان أكثر.

*

شَظَايَا أنجم
مِنْها، بنيتُ عالمي.

*

مُعلّقا على هذه الرّؤية: القادمُ إليّ أسحبهُ.

*

ما الذي يحدث؟
أهُو البحر يزجر؟
بل الأرض تعلو... نارٌ جديدةٌ ترفعُها!..

*

هي فكره
وهي حتّى الآن مُهْلٌ حارقُ
كلّ مُهلٍ،
يحيط بالأسوار ذاته، كلُّ فكره
بقوانينها تنتهي مختنقه.

*

الصّوت الجديد ما ارتفع
فجعلتم من سالف الكلام قانونا،
حيث تكلّسَتِ الحياة... انتصب القانون.

*

بهذا ابتدأتُ
تجاه نفسي، نسيتُ ما تعلّمتُ من رحمه.

*

حبّكُمُ الخدّاع للماضي،
حبّكمُ اللاجِد،
حبّكمُ هذا يعرّي الحياة: إنّكم تسرقون مستقبلها.

*

اعتراضي الأخطر
كنتُ قد أعلنته: مملّة أصبحت الحياة،
ردّوها عنكم... كذا تستعيدون التمتّع بالحياة.

*

هذا العمق الرّائق
هذا الذي
قديما، كان يُدعى النّجم،
اليوم صار: دنسا لا أكثر.

*

هذا العائق الأسمى،
فكرة الفِكَر هذه،
من الذي ابتدعها؟
هي الحياة التي ابتدعت لذاتها عائقها الأسمى.
والآن
هي ذي تقفز برجلين ملتصقتين فوق حكمتها.

*

حالمون
كائنات غسقيّة،
وكلّ ما بين المساء والليل
يزحف ويطير، وعلى أقدامها، يترنّح.

*

يمضغون الحصاة،
ينهارون
أمام أجسام ضئيلة مكوّره

يُذلّون أنفسهم،
إنّهم يعشقون ما لا يسقط
هؤلاء... الذين همُ، آخر خدم الآلهه.

*

ما ليس لنا،
لكنّنا نحتاجه، وجب تملُّكه: هكذا جيّدَ الوعي تَملّكتُهُ.

*

مُحترِقا في السرّ
لا من أجل إيمانه
لكن... ما ظلّت شجاعة عنده لأيّ إيمان.

*

الذي حواليكم يقيم
قريبا، على الإقامة بينكم يتعوّد:
حيث ثبتت إقامتك... ازدهرت عادات.

*

مجاري أنهرٍ جفّت
نفوسٌ قاسيّة... رملا قد امتلأت.

*

عقولٌ عنيدة، مستكينة، بارعه.

*

هل جمّد فتورُهُ ذاكرتي؟
هل شعرتُ إطلاقا بهذا القلب
من أجلي يدقّ، وبي يحترق؟

*

تحت الأشعّة الرّماديّة، للأنوار الأرضيّة، لانعكاس سعادة مجهولة...
عظّاية من الليل والقمر...

*

أحبب عدوّك،
اسمح للسّالب أن يسلبك
المرأة تسمع هذا وتفعله.

*

في سماء فضيلتي، لها كلّ الفصول.

*

هل اصطيادنا للحقيقة، كمثل اصطيادنا للسّعادة؟

*

لن نبقى طيّبين إلاّ متى نسينا:
الطّفل الذي لا ينسى العقوبة والتّأنيب، خفيّا وما كرا يصبح.

*

الفجر
من شدّة الطّهارة
وقحا يلقي بنظرة وينهار... أسراب الزّوابع تعقبه.

*

حزانى
كما الخيول
أليس ظلّنا يرقص إلى أعلى
إلى أسفل؟
فليقودونا إلى الشّمس... ضدّ الشّمس.

*

حقائق
على قياس أرجلنا
حقائق... بمقدورها الرّقص.

❉

تقطيبات مأساويّة
قرقرات أخلاقيّة... وخيالات مرعبة.

❉

يا أسراب العواصف!
ما حجمكِ عندنا
نحن الأفكارالحرّة والمرحة... كالهواء؟

❉

أنسوة أنتنّ
حتّى ترغبن، في تعذيب من تحببن؟

❉

عندما الفزع
يأخذ بالمتوحّدِ،
عندما العواصف
صارخة تتبعه،
عندما البرق يهاجمه،
عندما كهفُهُ، بخيالاته يُرعبُهُ
يركض... كالمجنون لا يعلم أين.

❉

ما أنا إلاّ صانع للكلام:
ما قيمة الكلمات إذن؟... وأنا ما قيمتي؟

❉

باكرا جدّا
أعود إلى الضّحك،
عدوٌّ يرافقني... الصّلح مع ذاته لا يشغله.

❉

في تجهّم
نرمي عدوّنا بالهجاء... ونرميه بالفِكَر القاتلة.

❉

كمثل جلاجل في الغابة شاردة.

❉

للشّجعان
للقلوب المرحة، للقانطين... أرتّل هذا النّشيد.

إشارات

يتألّف هذا العمل من ترجمات:

I للنّصوص الشّعرية التي تضمّنتها أعمال نيتشه الفلسفية (التي نُشرت في حياته وكذلك التي نشرت بعد مماته) والتي جاءت قصائد، ونثرا فنيّا، وشذرات، وهي:

- **الأصدقاء فيما بينهم**./ من: إنساني، إنساني بإفراط./
- **مُزاحٌ ومكائد وثأرٌ**./ من: العلمُ المرحُ./
- **أغاني الأمير الحرّ كما الطّير**... / من: العلم المرح./
- **أمثال وفواصل للتّسلية** / من: أبعدُ من الخير والشرّ./
- **سبعة أمثالٍ في النّساء**. / من: أبعدُ من الخير والشرّ./
- **من أعلى القمم**. / من: أبعدُ من الخير والشرّ./
- **أمثال ولذعاتٌ**. / من: غروب الآلهة./
- كيف صار «**العالَم الحقّ**» **أخيرا مهزأة**./ من: غروب الآلهة./
- **البندقية**. / من: هو ذا الإنسان./

II لمقاطع من المطوّلة الشّعرية / من: هكذا تكلّم زرادشت/ وهي الحاملة للعناوين التّالية:

- **مفتتح زرادشت**. / المقطع ١ - الكتاب الأوّل./
- **القراءة والكتابة**. / الكتاب الأوّل./
- **جنّ الليل**. / الكتاب الثاني./

- **عن العلماء**. / الكتاب الثّاني./
- **عن الشّعراء**. / الكتاب الثّاني./
- **عن الرّغبة الكبرى**. / الكتاب الثّالث./
- **العلامة**. / الكتاب الرّابع./

III - **مقطعان من مؤلّف** - كتابات أوتوبيوغرافية.

IV لكامل نصوص الدّيوان الذي نُشر بعد سنوات من وفاته كما جاءت في التّرجمة الفرنسية / طبعة غاليمار ١٩٩٧/ وهي:

- **قصائد الشّباب**. /١٨٥٨ - ١٨٧١/
- **مقاطع شعرية**. /١٨٨٤ - ١٨٨٥/
- **المقاطع الأخيرة**. /خريف ١٨٨٨/
- **المطوّلة الشّعريّة**: **ديونيزوس**. **الأناشيد**.

المراجع

Nietzsche. F: Poèmes.
Suivis de Dithyrambes pour Dionysos.
Traduit par Michel Haar.
ed /N.R.F Poésie /Gallimard/.Paris 1997.

Nietzsche. F: Œuvres complètes. Traduction de Jean Lacoste et Jaques le Rider.
Dithyrambes de Dionysos.
Traduit par Jean Lacoste.
ed /Robert Laffont /collection Bouquins/.Paris 1993.

Nietzsche. F: Ainsi parlait Zarathoustra.
Traduit par Marthe Robert.
ed /Union Générale d'éditions /Paris 1982.

مراجع التقديم العام

- ميشال هـار : من تقديمه للدّيوان / التّرجمة الفرنسية/ .
- عبد الرّحمان بدوي : نيتشه
وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٥ .
- عبد الرّحمان بدوي : شوبنهور
وكالة المطبوعات، الكويت؛ دار القلم، لبنان، بدون تاريخ .

Huisman.B et Ribes.F: Les philosophes et le corps.
ed /Dunod/Paris 1992.

Ducrot.O et Todorov.T: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage.
ed /du Seuil/.Paris 1972.

الهوامش

(١) ساليك: برج غوتي قديم قرب مدينة فورتا حيث كان نيتشه يدرس، وقد كان هذا البرج مكانا مألوفا لتفسّح التلاميذ/ كان المعهد ينظّم إليه الرّحلات العديدة في أيّام العطل./

(٢) في هذه القصيدة، ضمير المتكلّم غير محدّد، فلا نعلم بالضّبط إن كان رجلا أم امرأة أم شبحا، لكنّه في كلّ الحالات يعني «الرّاوي».

(٣) في - كتابات السّيرة - يذكر نيتشه أنّ شبابه الأوّل كان هادئا وسعيدا، «لكنّ السّماء فجأة أظلمت... مات أبي، وهذه الذّكرى مازلت إلى اليوم أعيشها في عمق وألم».

(٤) الخرفان أو الحملان إشارة إلى القطيع: إلى الرّعاع، وهي هنا تقابل النّسر الذي يرمز إلى مثال المتوحّد والنّبيل الذي يجسّد حبّه للحمل حين ينقضّ عليه ويمزّقه؛ والأقرب إلى الفهم أنّه يعني بذلك الحقيقة التي تقتل.

(٥) في هذه القصيدة يتّضح التّناقض الوجداني الذي يحمله نيتشه تجاه اسبينوزا، فهو المستعيد لبراءة الطّبيعة، والمثبت للحقيقة، والملحد، وهو أيضا الرّتيلاء التي تنسج شبكة الحقد لتحيط الأشياء بـ«شرنقة» الحقيقة.

(٦) يوريك هو «مهرّج الملك» الذي يمسك هاملت بجمجمته في المقبرة (في مسرحيّة شكسبير: هاملت) وهو هنا شخصيّة أسطورية خاصّة بنيتشه: شخصيّة «الشّاعر المجنون» الذي يستحضره في أكثر من عمل كمثال للمتوحّد، للمنفي، وأيضا للمكتشف، للمبدع... إنّه الصّورة التّمهيديّة لزرادشت في مختلف تحوّلاته، وبشيء من المجازفة نقول: لعلّه نيتشه ذاته كما يريد من القارئ أن يتمثّله.

(٧) في **هكذا تكلّم زرادشت** يعيش زرادشت عشرة أعوام متوحّدا في الجبل صحبة نسره وثعبانه، وهما عند نيتشه رمزان للكبرياء والحيلة.

(٨) فيما يخصّ الأسلوب والبناء، ليس لـ**هكذا تكلّم زرادشت** نموذج محدّد يستحقّ أن يسمّى كذلك. فبالرّغم من أنّه مؤلّف من عناصر عديدة متنافرة،

فإنّ له مع ذلك في الجملة نغمة وحيدة في نوعها لا تمتزج بغيرها... وإنّ التّأويلات التي أعطيت لهذه المطوّلة الشّعرية هي من التنوّع والاختلاف والتّنافر بحيث جاوزت تلك التي نتجت عن مجموع أعماله: لم ير البعض في هذه القصيدة أكثر من مجموعة متنافرة من الأمثال أسقط عليها نيتشه «من الخارج» إطارا شعريّا وبلاغيّا؛ ورأى بعض آخر، على العكس من ذلك، بنية فنيّة ممتازة الحبكة، كثيرة الموسيقى كأنّها سمفونيّة كلاسيكيّة بحركاتها الأربع وتنويعاتها المتعدّدة. ولأنّ هذه المطوّلة الشّعريّة تتضمّن أجزاء سردية وأخرى تعليميّة، وقصائد تقليدية البناء مدمجة في حركة المشاهد الدّرامية، فقد دفع ذلك بالبعض إلى تقريب هذا الانجاز من مبدأ فاغنر في «العمل الفني الشّامل» /عن بيتر بوتز... بتصرّف./

(٩) يحمل نيتشه تقديرا وإعجابا كبيرين لهيراقليطس الأفيزي (حوالي ٥٧٦ ق.م - ٤٨٠)، فقد وصفه بأنّه أبو جميع الكائنات، وأنّه «غيّر وجهة المعركة» فجعل من فكرة التّنافر عند - هزيود - مبدأ كونيّا.

(١٠) «هو ذا الإنسان» بهذه الكلمات أشار - بيلات - إلى عيسى عليه السّلام متوجّها بالحديث إلى الجمهور اليهودي، وكان عيسى ملتحفا برداء أرجواني وعلى رأسه تاج من الشّوك، بعد الجلد وقبل الصّلب.

هو ذا الإنسان هو أيضا عنوان الأثر الأوتوبيوغرافي لنيتشه (١٨٨٨).

(١١) «أغاني الأمير الحرّ كما الطّير» ترجمها جان لاكوست (نيتشه/ الأعمال الكاملة/ طبعة روبار لافون/): «أغاني الفارس الخارج عن القانون».

(١٢) في كتابه **هو ذا الإنسان** وفي فصل - لماذا أنا قدرٌ- يعتبر نيتشه نفسه لا أخلاقيا؛ وفي رسالة له (إلى كارل فوخس) يقول: **إنّ اللاأخلاقي هو الشّكل الأسمى للاستقامة التي لم تدرك بعد.**

(١٣) هذا النصّ أثار اهتماما كبيرا لدى الفيلسوف هيدغر في كتابه «نيتشه» /الجزء الأوّل، الفصلان: إرادة القوّة كفنّ، وقلب الأفلاطونية/

(١٤) **ديونيزوس.. الأناشيد**: يحتمل العنوان قراءتين:

أناشيد لأجل ديونيزوس: وهذه تفترض إنشادا موجّها إلى ديونيزوس، دعاءً وتكرمة وتمجيدا.

- **أناشيد ديونيزوس**: وهذه تفترض إنشادا يغنّيه الاله ديونيزوس لنفسه. ولهذا اخترنا تعريب العنوان «حرفيّا»، إن صحّ التّعبير، باعتماد صياغته الألمانيّة، لأنّها تفتح على القراءتين وتسمح للقارئ، بالتّالي، أن يتفاعل معها بأكثر حرّية.

ديونيزوس. .الأناشيد: رمزان في الميثولوجيا اليونانية يقولان الحال الثقافي في الزّمن الاغريقي أساسا هما: أبوللون الذي يُستحضر ليقول حقيقة الإنسان بما هو في الجوهر عقل؛ بما هو القدرة على تجريد العالَم، على تمثّله فكريا، وعلى صياغته نسقيّا؛ وديونيزوس الذي يُستحضر ليقول حقيقة الإنسان بما هو في الجوهر جسد، بما هو الرّؤيا النّاتجة عن توتّر الجسد في مختلف أحواله. وعند نيتشه أنّ أبوللون انتصر على ديونيزوس منذ اللحظة السّقراطيّة، وأنّ ذلك تسبّب في خطيئة إنسانية فادحة لعدّة أسباب أساسها أنّ الحقيقة العقليّة لا تقول العالم أو الذّات ضرورة؛ وإذن يكون المطلوب استحضار ديونيزوس، لأنّه القادر على قول الذّات والعالم، وعلى احتضان أبوللون، على عكس الأخير الذي لايكون إلاّ على حساب ديونيزوس.

ديونيزوس. .الأناشيد: نشيد جاء في لغة «افتتانيّة» تحتفل بآلام وانتصارات الإله ديونيزوس؛ وهذا النّوع من القصائد، الذي يقرّبه أرسطو من ولادة المأساة ليس له شكل منضبط في نظام الإيقاع أو البيت، ويعتبر الشّاعر أريون (حوالي القرن السّادس قبل الميلاد) مبدع هذا الجنس الذي تطوّر خاصّة مع **بندار وسيمونيد**... ولكن منذ القرن الخامس قبل الميلاد، اتّخذ هذا الشّكل الطقسي للشّعر نبرات دنيويّة، وهذا التطوّركان مصحوبا بفوضى في تتالي المقاطع، وفي تحوّل المضمون... حتّى فقد شيئا فشيئا كلّ علاقة مع التصوّرات التّقليدية للفكرة بما هي نسق. ونحن نجد أمثلة حديثة عن هذه الأناشيد عند **غوته وهولدرلين** وخاصة **نيتشه** في هذا النّشيد ذي الأقسام التّسعة والذي أتمّه عام ١٨٨٨ (آخر أعوامه الواعية)، ثلاثة منها (مجرّد مجنون! مجرّد شاعر!، و، بين بنات الصّحراء، و،شكوى أريان.) نُشرت أوّل مرّة في الكتاب الرّابع من **هكذا تكلّم زرادشت** قبل أن تنقّح وتنضمّ إلى المقاطع الستّة لتصدر في ديوان عام ١٨٨٩، ولكنّ الدّيوان لم يُنشر(بسبب موت النّاشر) إلاّ عام ١٨٩١، وكان نيتشه قد فارق عندها حياته الواعية نهائيّا. (عن ميشال هار من تقديمه لديوان: قصائد/متبوعة بأناشيد من أجل ديونيزوس، طبعة غاليمار ١٩٩٧/).

(١٥) الهيبربوريّون هم في الميثولوجيا اليونانيّة شعب يقيم أقصى شمال الأرض «في ما بعد ريح الشّمال» (تسمّى بوري)، وحسب الأسطورة أو حسب بعض صياغاتها، كان أبوللون قد أقام بينهم لفترة تعلّم فيها السّحر، وهو الجزء السرّي في قدرته على العلاج.

ملاحظات

تضمّن الدّيوان جملة من النّصوص تنتمي إلى «النّثر الفنّي» أو إلى «قصيدة النّثر» وهي: الصيّاد المتوحّش/ السّاحر/ العشاء السرّي/ لأجل أشدّ النّاس قبحا/ المتسوّل الطّوعيّ/ العزلة في سبعة/ أغنية للشرب/ الخطيئة الأخيرة/ العلامة/ الغذاء الجيّد/ .

هذه النّصوص تنتمي إلى ما اتّفق على تسميته بمضمونية أو بحلقة زرادشت، وبخصوصها وجب التّمييز بين مجموعتين: نصوص هي أقرب إلى الرّسوم الأوّلية لعمل يُراد له أن يكون مواصلة لـ**هكذا تكلّم زرادشت**، الذي قال عنه نيتشه أكثر من مرّة إنّه مجرّد استهلال أو تمهيد أو معبر... وأخرى هي بمثابة إعادة كتابة لبعض المقاطع كما تضمّنتها المطوّلة الشّعرية المذكورة؛ ولإعطاء صورة، ولو جزئية، عن إعادة الكتابة عند نيتشه، قمنا بترجمة مقطع - **العلامة** - كما ورد في **هكذا تكلّم زرادشت** وكما تضمّنه الدّيوان.

الشّذرات التي تحمل عنوان **أمثال وفواصل للتّسلية**، تبدأ بالرّقم **٦٣** وذلك لأنّها جاءت بعد **٦٢** مقطعا نثريّا / من كتاب العلم المرح/ وتلك طريقة نيتشه في كتابة بعض القصائد: تراه يشرع في الكتابة «التفسيرية» أو «الوصفيّة» ثمّ يتوقّف فجأة ليقول شعرا، وكأنّه المختنق بالنّثر يطلب من الشّعر نجدة؛ لذلك جاءت بعض نصوصه الشّعرية مقاطع مستقلّة بين أخرى نثرية، وبعضها افتتاحيات لفصول نثريّة أو جاءت اختتاميات، وفي مختلف وضعياتها هذه جاء كلّ مقطع محافظا على

وحدته، بحيث لا يضطرّ القارئ لقراءتها أن يعود إلى كامل الأثر.

من الصّعوبات التي اعترضتنا خلال التّعريب: تعدّد الأصوات في النصّ الواحد، وخاصّة في الشّذرات، لذلك وجب التّنبيه إلى أنّ ذلك إراديّ من قبل الشّاعر.

إنّ المطّات وإشارات التعجّب والاستفهام ونقاط الاسترسال... تخرج في قصائد نيتشه عن مدلولاتها السّائدة لتتضمّن أخرى غير محدّدة، ما عدا المطّة التي يضعها حتّى يتوقّف القارئ عندها، ولو في منتصف الجملة، ليوجّهه إلى الإيقاع الذي يرغبه، ولقد حافظنا على مواقعها بقدر الإمكان.

في التّرجمات الفرنسيّة التي اعتمدناها في هذا العمل /انظر المراجع/ هوامش عديدة تختلف من ترجمة إلى أخرى، ولأنّها لا تعبّر إلاّ عن إرادة المترجم في توجيه القارئ إلى غاية دون أخرى/ بدليل أنّ الأصل الألماني يخلو من أيّ هامش/ فإنّنا لم نبق منها إلاّ المعرفيّة الصّرفة.

بيو/بيبليوغرافيا

- ١٨٤٤: الولادة في روكن قرب ليبسيغ، والاسم الكامل: فريدرش فلهلم نيتشه
  كان والده كارل لودفغ قسّ من أتباع المصلح لوثر، وأمّهُ ابنة القسّ دَيفد أوشلر، وكذلك كان جدّهُ لوالده.
- ١٨٤٩: موتُ والدهِ المبكّر بمرض التهاب الدّماغ، بعد أشهر قليلة يموت أخوه الأصغر.
  في نفس العام يتحوّل مع أمّه وأخته الصّغرى إلى نامبورغ للاقامة عند جدّته لأمّه.
- ١٨٥٧: يشرع في كتابة القصائد وتأليف القطع الموسيقية.
- ١٨٥٧- ١٨٦٤: سنوات التّعليم الثّانوي في المعهد الشّهير «بفورتا»: من هذا المعهد تخرّج فيختة، وشليغل ونوفاليس... في السّابعة عشرة من عمره كان نيتشه يتقن وبطريقة جيّدة اللاتينيّة واليونانية القديمة.
- ١٨٦٥: دراسات متميّزة في الفيلولوجيا اليونانية بجامعة بون. ينتبه الفيلسوف ريتشل إلى مواهبه الخارقة، فعلاقة تقدير متبادلة تنشأ وتتعمّق بينهما: عندما ينتقل ريتشل إلى ليبسيغ للتّدريس يتبعه نيتشه للدّراسة في نفس الجامعة.
  وهو طالب، يكتب العديد من الدّراسات تلفتُ إليه انتباه رجالات الفكر: كتب عن الشّاعر دي مِيغاري، عن هوميروس، عن هزيود، عن ديوجين اللايرسي...

في ليبسيغ وفي سنّ الحادية والعشرين يكتشف عن طريق قراءة حماسية لشوبنهور، موهبته الفلسفية.

- ١٨٦٩: بتوصية مُلحّة من ريتشل، يُعيّن استاذا للفيلولوجيا الكلاسيكية بجامعة بازل.

يتعرّف على ريتشارد فاغنر وتتعمّق الصّداقة بينهما.

خلال إقامته في مدينة بازل كان يزوره باستمرار، وكان يكنّ لزوجة الموسيقار-كوزيما- حبّا أخفاهُ عن الجميع لم يكشف عنه إلاّ في حالات غيبوبته في سنوات مرضه العنيف. وإليهما أهدى نصوصه الأولى، وفي عام ١٨٧١ قرأ عليهما مخطوط **ولادة التّراجيديا**.

- ١٨٧٠: يتطوّع كممرّض للحرب الألمانية الفرنسية، ويصاب بمرض الدّفتيريا، ويصاب بكسر يبقيه مُقعدا لفترة، على إثر وقوعه من فوق حصان./وهن البدن بسبب الكسر سيجعل انتصار الدّفتيريا سهلا، وهو الذي، ربّما، سبّب له مرض الزهري، الذي لن يفارقه طيلة حياته./

- ١٨٧٣ - ١٨٧٤: صدور **اعتبارات غير آنية I وII وIII. في الكتاب** III («شوبنهور معلّما») لا يقول شيئا عن فلسفة شوبنهور، التي قطع معها دون أن يُعلن عن ذلك على الملأ.

- ١٨٧٦: القطيعة مع فاغنر على إثرِ عروضه التي قدّمها في بايرويت: وجد نيتشه في تلك العروض ردّة مُحزنة عمّا كان فاغنرقد وعد به، وبشّر به انجازا في أعماله السّابقة، وخاصّة أوبريت - برسفال- وجد: التقاء البورجوازية القوميّة البسماركية، وإعادة بعث تتصنّع الجمالية لمواضيع مسيحية: **أنتَ أيضا وقعتَ عند أقدام الصّليب!**... في لقاء مصالحة حضّره لهما صديقهما - ملفيدا فون مايزنبوغ- يدرك نيتشه أنّ فاغنر لم يفهم كلمة مِن

فلسفته، أو أنّه ربّما يحتقرها، فيجعل قطيعته علنيّة (سيحاكمه، إن صحّ القول، في أكثر من عمل: قضيّة فاغنر، نيتشه ضدّ فاغنر، هذا هو الإنسان...)

- ١٨٧٨- ١٨٧٩: صدور جزأين مِن: **إنساني، إنساني بإفراط**.

- ١٨٧٩: بسبب اشتداد المرض وإدراكهِ أنّ مهنة تدريس الفلسفة اليونانيّة تتناقض مع تعميق رسالته كفيلسوف، يطلب إحالته على التّقاعد وينالها، ويكون مردوده المادّي متواضعا جدّا: مَا يكفي بالكاد لتجاوز بؤس العيش.

تبدأ حينئذ عشرة أعوام من التنقّل المتواصل ومن الاقامات القصيرة الموزّعة بين ضفاف المتوسّط والمناطق العُليا للألَب حيث كان يأمل أن يجد المناخ الأكثر ملاءمة لصحّته ولتعميق تفكيره.

- ١٨٨١: هناك، أي في المناطق العليا للألب (دافوس، سيلس ماريا...) وخلال إحدى جولاته اليومية على ضفّة سيلفا- بلانا، أمام صخرة هُرلاي «على علوّ آلافِ قدم من الإنسانية»، تحقّق من تجربته الخاطفة **للعودِ الأبدي**. في تلك اللحظة أيضا انبجس «إلى جانبي» «صنوي»: زرادشت - الذي سيدعوه «لسان حال العود الأبدي» والذي لن يكفّ عن ملازمته.

- ١٨٨٢: ينجز الأجزاء الأربعة الأولى من **العلمُ المرِحُ**.

يتعرّف على الموهوبة- لُو أندرياس سالومي- (التي ستصدر المؤلّف الأوّل ولعلّه الأجمل عن حياته وأعماله). ولقد آمل بحرارة أن تُصبح في ذات الوقت المريدة، والمؤتمنة على الأسرار، والصّديقة الحميمة، لكنّ مشروعه فشل - وبنسبة كبيرة بسبب رعونته الشّخصية.

- ١٨٨٣-١٨٨٤: ينجز الأجزاء الأربعة لـ**هكذا تكلّم زرادشت**، تباعا في

رابااللو، ونيس (I) وسيلس ماريا (II)، ونيس (III) و(IV).

- ١٨٨٦: ينجز **محاولة في النقد الذّاتي**، و، **أبعدُ من الخير والشرّ**.
- ١٨٨٧: ينجز الجزء V من **العلمُ المرح**، و، **جينيالوجيا الأخلاق**.
- ١٨٨٨: وهي سنتة الأثرى (والأخيرة في الانتاج): **هو ذا الإنسان، غروبُ الآلهة، نيتشه ضدّ فاغنر، المسيح الدجّال**، ويكملُ مجموعته الشّعريّة: **ديونيزوس. الأناشيد**.
- ١٨٨٩: يغرق في صمت سريعا ما صار كاملا بعد إقامة قصيرة في عيادة مدينة إيّنا (قسم الطبّ النفسي). ترعاه أمّه حتّى وفاتها (١٨٩٧) ثمّ ترعاه أُخته التي تترك نومبوغ منذ موت الأمّ إلى الاقامة في فايمر.
- ١٩٠٠: يموت نيتشه في فايمر يوم ٢٥ آب/أغسطس/ في بيت أخته الذي سيتحوّل إلى مركز أرشيف نيتشه تاركا آثارا هائلة صدرت بعد وفاته، ونذكرُ منها إضافة إلى القصائد والتأليفات الموسيقية والمراسلات:
  - الأعمال الفيلولوجيّة حتّى نهاية مرحلة بازل (١٨٦٤-١٨٧٦)
  - مقاطع إضافية للعناوين التي صدرت في حياته، وأيضا، للتي تركها غير منشورة تحت عناوين مختلفة منها: **إرادة القوّة، سذاجة المصير، فلسفة المستقبل، العود الأبدي**... /

عن ميشال هار: الدّيوان/

الفهرس

شكر وإهداء

أكثرُ مِن صديق وصديقة تدخّلوا في إنجاز هذا العمل وبأكثر من معنى: بجدال مضمون بعض القصائد، بالعودة ببعض المقاطع إلى أصلها الألماني، بافتراض بعض المرادفات لبعض المفاهيم، باقتراح ترجمة أُولى لبعض الفقرات، بالتّنبيه إلى بعض الاختلافات في التّرجمات الفرنسية لنفس النصّ، بطباعة النصّ ومراجعته. . .

لهم جزيل الشّكر والعرفان بالجميل، وإليهم جميعا أُهدي العمل.

